Kurdī, Murtadā Bak Ibn-Mustafā Ibn-Hasan al- [Verfasser]

Kitāb Hadīyat al-faqīr li-hadrat al-wazīr - BSB Cod.arab. 605

1721



1.

سطر
٢١

كتاب هدى الفقير

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي زين قلوب اهل التوحيد بمعرفة العلم
والادب • وروي قريحتهم بمناهل فضله العميم
ولاخلاقهم هذب • وجملهم بالعقل الذي هو لسعادة
المرء اقوي دليل وسبب • من اقتبس بنوره وتحلي
بشعوره فقد ارتقي الي اعلا الرتب • حتي انتهي به
جواد عزمه واوصله بلوغ الارب • واغناه عن كثرة
المال وكثرة النشب • واشكره علي نعمه التي لا تحصي
ولا تحسب • واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له كاشف الهموم والكرب • لا معطي لما منع
ولا مانع لما وهب • واشهد ان محمدا عبده
ورسوله النبي المنتخب • المبعوث من اشرف قبيلة
في العرب • الذي اسري به من المسجد الحرام الي المسجد
الاقصي الي السدرة المنتهي والمقام المقرب • وشاهد
الحق سبحانه بعيني راسه لا بعين القلب • الموحي
اليه في محكم التنزيل فاذا فرغت فانصب • والي

ربك

ربك فارغب ● صلى الله عليه وعلى آله الذين تقربوا
ببركته الى الرب ● وسلم تسليما كثيرا كلما لاح
كوكب اما بعد فيقول العبد الفقير الى الله المعيد
المبدي ● مرتضى بيك بن مصطفى بيك بن حسن
بيك الكردي ● من امراء الاكراد اصلا ● الدمشقي
مولدا ومسكنا ● غفر الله له ولوالديه ● واحسن
اليهما واليه ● ولمشايخه ولسائر المسلمين
اجمعين ● آمين يا رب العالمين لما قدر الله
علي بالاغتراب ● وابعدني عن الوطن والاحباب ●
وعزمت نحو مصر القاهرة ● وشاهدت ربوعها
الزاهرة ● ثم لم ازل اتعهد الجامع الازهر ● واتردد
على كل درس فيه اوضح تقريرا من الشمس وانور ●
فاتعبت فكري في تحصيل علم الادب ● لانه اشرف
علم يقتنى ويكتسب ● فتعلقت بسببه ● وجدت
في طلبه ، حتى حصلت منه على شيء يسير كالبلل ●
على مقدار ما افهم الصواب من الخلل ● لعلمي ان
العلم لا يدرك له كنه ولو سامره المرء دهرا طويلا ●
لقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا ● ومع
ذلك لم ينتبه حظي من النعاس ● ولم اجتني باكورة
ذلك الغراس ● وكنت لما دخلت الجامع صفر اليدين ●
وخاليا من الدنانير والدراهم واللجين كما قال الطغرائي

نايءٍ عن الاهل صفر الكف منفرد ، كالسيف عري متناه عن الخلل
فلا صديق اليه مشتكى حزني ، ولا انيس اليه منتهى جذلي
والشروط غير متوفرة ، والدواعي متعذرة ومتعسرة ،
كيف لا وقد قال الامام الشافعي لو كلفت الى بصل ما
لما فهمت مسئله ، واني ذلك مع اشتغال البال ،
واشتغال البلبال ، فعند ذلك اردت ان اسعى في
طلب المعاش ، لاكتسب في الوري المجد والانتعاش ،
والمكاسب ، تدرك بالمتاعب ولله در القايل
كالبدر لما ان تضاءل جد في ، طلب الكمال فحازه متنقلا
فهمت ان اعزم نحو قسطنطينية ، واشاهد مشاهدها
السنية ، ولعمري انها دار الخلافة والمراد ، رجوت
ان ينتبه فيها حظي من الرقاد ، فدخلتها وانا مسرور
اجر ذيول الفرح والحبور ، فقلت الان قد قرت العين ،
وطويت شقة البين ، ثم جعلت اجوب في شوارعها ،
واجتلي بدورها من مطالعها ، واستوطنت بها
مكانا ، واتخذت من بنيها اخوانا ، واخترت منهم
رجلا من اهل الدين والصلاح ، وفي وجهه الخير
قد لاح ، وقصصت عليه شرح حالي ، وبينت له
ما بباالي ، وقلت له سيدي الى الرشد اهدني ، وبمحض
نصحك داوني ، لانني امرءٌ اصبحت غريبا ، عسى ان
تكون لجرحي طبيبا ، ولم اجد غيرك دليلا ولا مشيرا ،

كما

كما قيل الغريب كالاعمى ولو كان بصيرا، فقال اقبل سعدك،
واشتد عضدك، حيث اتيتني تستشير، ولا ينبئك مثل
خبير، وانا دايما في الخير اسعى، وان ليس للانسان الا ما سعى،
وقال قد جربت امور الزمان كثيرا، حتى غدوت شيخا كبيرا،
وقد رويت من كلام العلما، ومن وصايا الحكما، ان الحازم
الغريب، اذا دخل بلدا واراد ان عيشة فيها يطيب،
فليصحب حاكمها ويتخذ له عونا، لينفعه بصحبته عند وقوع
الشر، فقلت لا فض فوك، ولا شمتت فيك حاسدوك،
حيث هديتني الى الصواب، وبينت النصح بالخطاب،

قول الاصمعي

النصح ارخص ما باع الرجال فلا، ترد على ناصح نصحا ولا تلم
ان النصايح لا تخفى مناهلها، على الرجال ذوي الالباب والفهم
ثم قلت له باي وسيلة ننتسب اليه، ونرمي امورنا وكلنا عليه،
وقد جعل الله لكل شي سبب، وامرنا بسعيه والطلب
والاسباب لا تنكر، كما قال رب البشر، واتيناه من كل شي
سببا فاتبع سببا، فقال نعم ما به نطقت، وعلى ذلك كنت
عولت، فعليك بالوزير الذي وقفت سفن الفضايل الجمة دون
ساحله، ونزلت رتبة الثريا الغرا عن منازله، البحر الذي لا يدرك
لمحاسنه قرار، والبدر الذي تم في سماء الكمال واستدار،
جامع اشتات الفضايل، كنز الادب الذي تقطعت دون
ادراكه الوسايل، ناظر مملكة العثمانية، وحافظ

الامور الخاقانية، الا وهو الوزير المكرم، والمشير المفخم،
وسلك نظام العالم، حضرة ابراهيم باشا مالك الختام،
من انتسب اليه نال القصد والمرام، وهو متزوج كريمة من هو
جالس سرير السلطنة الاعلى، لابس العدالة والتقوى، حارس
ثغر الاسلام، فارس هيجاء الاعتصام، مفتح ابواب البر على الخلائق
مفيض فيوضات الحكومة في المغارب والمشارق، اتقى السلاطين
علماً وفضلاً، اصلح الخواقين قولاً وعملاً وفعلاً، الا وهو السلطان
الاعظم، وخاقان الاعدل الاكرم، السلطان بن السلطان
السلطان الغازي احمد خان، بن السلطان محمد خان،
ادام الله ملكه وسلطانه، واعز انصاره واعوانه، فعليك
ببابه، وانتسب الى جنابه، فانه بالكرم فاق حاتم وبنو ابرمك
من قصده تهب اليه كل شيء قد ملك، واما في المروة والغيرة والحرية،
ليس له نظير في البرية، فلما سمعت منه هذا المقال، قلبي الى نحوه
قد مال، فقلت جزاك الله خيراً يا خليل، حيث هديتني سواء السبيل،
فاهداني الفكر السليم ان ارتب له كتاباً في الادب، واضع فيه من كل
فن غريب عجيب، وان كان جنابه الشريف مستغنياً عن هذا المقام
لكن اردت ان يبقى ذكره مدة الليالي والايام كما قال الشاعر

لو كان في بابه للنظم مفخرة ، الّفت في مدحه الفاً من الكتب
لكن البحر في كل الفنون فما ، اهدي درّاً الى بحر من الادب

ويسرح فيه النظر في كل حين، لان الذكرى تنفع
المؤمنين، واتحف جنابه على سبيل الهدية، كما

قال

قال طه خير البرية، تهادوا تحابوا، فان كان هذا يا الخلق
عرض يفني، فان هديتي الى آخر الدهر تبقي لمؤلفه في المعنى

الملا يهدون مالاً، جملة يفني و يلقي
فانا اهدي كتاباً، في مدا الايام يبقي

وقال المتنبي

لا خيل عندك تهديها ولا مال، فليسعد النطق ان لم يسعد الحال
فشرعت مستعيناً بالله في ذلك مع قلة البضاعه، واقراري
باني لست من اهل هذه الصناعه، لكن تمثلت بقول
العلما الاكابر، كم ترك الاول للآخر، وجمعته من
كتب فرين، ومجلدات عديده، ارجو الله سبحانه ذو الفضل
العميم، ان يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وان يتلقاه الانام
بعين القبول، وان يشرق شمسه على الطلاب من غير افول
وسميته هدية الفقير لحضرة الوزير، ماملا ان يتلقاه بعين الرضي
ويهتم بانجاز مصالح مرتضي، ورتبته على خمس
وعشرين باباً، لازيل بتفصيله عن عيون الافهام حجاباً،

ولنشرع في المقال، وعلى الله الاتكال

الباب الاول

في العلم في الدين، ومعرفة حدود رب العالمين قوله

عزّ وجلّ شهد الله انّه لا اله الّا هو والملائكة واولوا العلم
فانظر كيف بدأ بنفسه عزّ وجلّ وثنّى بالملائكة وثلّث
باهل العلم وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وجلالاً ونبلا
وقال عزّ وجلّ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات وقال الله تعالى هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال عزّ وجلّ انّما
يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى يؤتي الحكمة
من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً يعني
العلم روى الامام علي بن ابي طالب كرّم الله وجهه
عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم انه قال العلماء مصابيح
الارض وخلفاء الانبياء وورثتي وورثة الانبياء
ومعلوم انه لا رتبة فوق رتبة النبوّة ولا شرف فوق
شرف الوراثة لتلك الرتبة وعن انس رضي الله عنه
عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم انه قال العلماء ورثة الانبيا
يحبّهم اهل السماء ويستغفر لهم الحيتان اذا ماتوا الى
يوم القيمة واي منصب يزيد على منصب من تشتغل
ملائكة السموات والحيتان في البحر بالاستغفار له فهو
مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال
صلّى الله عليه وسلّم ان الحكمة تزيد الشريف شرفاً
وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وقال صلّى الله

عليه وسلم افضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج
اليه نفع وان استغني عنه اغنى نفسه **وقال** صلى الله
عليه وسلم من تفقه في دين الله كفاه الله تعالى همه
ورزقه من حيث لا يحتسب **وقال** صلى الله عليه وسلم
اوحى الله الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام يا ابراهيم
اني عليم احب كل عليم **وقيل** له يا رسول الله اي الاعمال
افضل فقال صلى الله عليه وسلم العلم بالله عز وجل
فقيل اي الاعمال تزيد فقال عليه الصلاة والسلام
العلم بالله سبحانه فقيل نسال عن العمل وتجيب عن العلم
فقال صلى الله عليه وسلم ان قليل العمل ينفع مع العلم
وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل **وقال** صلى الله عليه
وسلم يبعث الله عز وجل العباد يوم القيمة ثم يبعث
العلما ثم يقول يا معشر العلما اني لم اضع علمي فيكم
الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لا عذبكم اذهبوا فقد
غفرت لكم **وعنه** صلى الله عليه وسلم انه قال رحمة
الله على خلفائي قالوا وما خلفاوك يا رسول الله قال
الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله ومن حضره الموت
وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبيا
درجة وجلوس ساعة عند عالم احب الى الله تعالى
وافضل عنده من عبادة الف سنة لا يعصى الله فيها

كهرفة

طرفة عين حكي عن هارون الرشيد رحمه الله انه دخل
الدار ومعه المهدي وفي كل ناحية من نواحي الدار جماعة
يتذاكرون نوعاً من العلوم فقال له كيف تري هؤلاء وما
هم فيه فقال يا امير المؤمنين اشتغلنا عنه صغاراً
وشغلنا عنه كباراً فقال ما لك لا تتعلم فقال يا امير
المؤمنين ايحسن بمثلي التعلم الآن فقال الرشيد لان
تموت متعلماً احب الي من ان تعيش جاهلاً فقال يا امير
المؤمنين الي متي يحسن بي التعلم فقال ما حسنت بك
الحياة وقال الشاعر

العلم زين وتشريف لصاحبه، فاطلب هديت فنون العلم والادبا
العلم كنز وذخر لا نفاذ له، نعم القرين اذا ما صاحب صحبا

وقيل لعمرو بن العلا هل يحسن بالشيخ ان يتعلم
قال ان كان يحسن به ان يعيش يحسن به ان يتعلم وقال
عروة بن الزبير لبنيه يا بني اطلبوا العلم فان تكونوا صغار
قوم لا يحتاج اليكم فعسي ان تكونوا كبار قوم لا يستغني
عنكم وقال ملك الهند لبنيه وكان له اربعون
ولداً يا بني اكثروا من النظر في الكتب وازدادوا ولو في
كل يوم حرفاً فان ثلاثة لا يستوحشون في غربة الفقيه
العالم والبطل الشجاع والحلو اللسان الكثير مخارج الراي
وقال رجل لابي هريرة رضي الله عنه اريد ان اطلب
العلم فاخاف ان اضيعه قال كفاك بترك العلم اضاعة

له وقال عبد الله بن مسعود ان المرء لا يولد عالما وانما العلم بالتعلم كما قال الشاعر

تعلم فليس المرء يولد عالما ، وليس اخا علم كمن هو جاهل

وقال اخر

ولم ار فرعا طال الا باصله ، ولم ار بدء العلم الا تعلما

وقال سفيان الثوري رحمه الله خير الملوك ما جالس اهل العلم ويقال ان جميع الاشيا تتجمل بالناس والناس يتجملون بالعلم وتعلوا اقدارهم بالعقل والفهم وليس للملوك شي خير من العلم والعقل فان في العلم بقا العز ودوامه ، وفي العقل بقاء السرور ونظامه ، ومن اجتمع فيه العلم والعقل فقد اجتمعت فيه اثنتا عشر خصله الفقه والادب ، والتقى والامانه ، والصحبه ، والحيا ، والرحمة وحسن الخلق ، والوفا والصبر ولحلم والمداراة ، وهذه من خواص اداب الملوك وينبغي ان يعلم هذه الاداب تحتاج الى نظايرها وقواينها لتصح في استعمالها فينبغي ان يكون العلم مع العقل ، ومع الشجاعة الصبر ، ومع النعمة الشكر ، ومع المصاحبة الحلاوة ، ومع الاجتهاد الدولة ، واذا جاءت الدولة حصل المراد وقد قال الشاعر

العلم يحيي قلوب العالمين كما ، تحيا البلاد اذا ما مسها المطر
والعلم يجلوا العمى عن وجه صاحبه ، كما يجلي سواد الظلمة القمر

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه تعلموا العلم فان

تعلمه

8.

تعلّمه حسنةً وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث
عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله
قربةً لانّ العلم منار اهل الجنّة وهو المونس في الوحشة
والصّاحب في الغربة والمحدّث في الخلوة والدّليل على
السرّآء والمعين على الضرّآء والزّين عند الاخلّاء والسّلاح
على الاعدآء والهادي الى الرّشاد والظّهير عند الموت
والقرين في القبر والشّفيع في القيمة والقآئد الى
الجنّة يرفع الله به اقواما فيجعلهم للخير قادةً وفي
الدّين ائمّة ويقتفي باثارهم ويقتدي بافعالهم يلهمه
الله السّعدآء ويحرمه الاشقيا نسال الله ان يجعلنا من
الّذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال
بعض الحكما العلم احسن حليه والعقل افضل قنيه
العلم افضل خلف والعمل به اقوي شرف لا سمير كالعلم
ولا ظهير كالحلم الجهل مطيّة من ركبها ذلّ ومن
صحبها ضلّ تعلّم العلم فانّه يقوّمك صغيرا ويسدّدك
ويقيم ميلك ويصحّح عملك تعلّم العلم تكن في نفسك
كبيرا وفي قومك اميرا تعلّم العلم فانّه يصلح
فاسدك ويرغم حاسدك ويقوم ميلك ويسدد
خللك تعلّم العلم فانّه عزّ لا يبلي جديده ولا يفني
مزيده من لم يتعلّم في صغره لم يتقدّم في كبره من
عاشر العلمآء وقر ومن خالط الانذال حقر كما

كبيرا
صح

قال بعضهم واجاد

من عاشر الاشراف عاش مشرفا ، ومعاشر الانذال غير مشرف
او ما ترى الجلد الحقير مقبلا ، بالثغر لما صار جلد المصحف

وقال آخر

اذا شئت ان ترضى لنفسك صاحبا ، فجالس اديبا تحظى منه بانسه
واياك ان تصحب سفيها فاجرا ، فمن عاشر الانذال غش بنفسه

وقال بعض الحكماء اصل العلم الزهادة ، وثمرته العبادة
العلم كنز عظيم لا يفنى ، والعقل ثوب جديد لا يبلى ،
منازعة العلماء تنفي الاصل ، وتثبت الجهل ، الجهل هو الموت
الاصغر ، والعار هو الموت الاكبر ، احسن العلم ما كان
مع العمل ، واحسن الصمت ما كان عن الزلل وقال عبد الله
بن الهندي

عقل الفتى ممن يجالسه الفتى ، فاجعل جليسك افضل الجلساء
والعلم مصباح الفتى لكنه ، يا صاح مقتبس من العلماء

وقال داود لابنه سليمان صلوات الله عليهما
لف العلم حول عنقك واكتبه في الواح قلبك وقال له
ايضا اجعل العلم مالك والادب حليتك وقال الشريف
شرف الاشرف بن الاعرابي

بني بارك فيك الله من ولد ، هذاك للخير جد صالح واب
تعلم العلم وابغ الخير مجتهدا ، فالعلم ينفع ما لا ينفع النسب

وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بن

داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار
العلم فاعطي المال والملك معه **وقال** الامام علي رضي
الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن **وقال** ايضا كرم الله
وجهه يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت
تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال
تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق **وقال** ايضا
العالم افضل من الصايم القائم المجاهد واذا مات
العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه
وقال رضي الله عنه نظما

ما الفخر الا لاهل العلم انهم ، على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ، والجاهلون لاهل العلم اعداء
ففز بعلم ولا تجهل به ابدا ، فالناس موتى واهل العلم احياء

وقال ابو الاسود ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على
الناس والعلماء حكام على الملوك **وسئل** ابن المبارك
من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل
فمن السفلة قال الذي ياكل بدينه ولم يجعل غير العالم
من الناس لان الخاصية التي تميز الناس عن ساير البهايم
هو العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس
ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظم
جسمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان
السبع اشجع منه ولا لاكله فان الجمل اوسع بطنا منه

ولا لمجاهدته فان احسن العضا اين اقوى على الفساد منه بل لم يخلق الا للعلم **وقال** بعض الحكما ليت شعري اي شي ادرك من فاته العلم واي شي فاته من ادرك العلم **وقال بعضهم واجاد**

العلم اوفى حلية ولباس ، والعقل اوفى جنة الاكياس
كن طالبا للعلم تحيى انما ، جهل الفتى كالموت في الارماس
والعلم ثوب والعفاف طرازه ، ومطامع الانسان كالادناس
والعلم نور يهتدي بضيائه ، وبه يسود الناس فوق الناس

وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدوا يموت قالوا نعم قال كذلك القلب اذا منعت عنه الحكمة والعلم ثلاثة ايام يموت ولقد صدق فان غذا القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما ان غذا الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر بموته اذ حب الدنيا وشغلها ابطل عنه احساسه كما ان غلبة الخوف قد تبطل احساس لم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اعبا الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس الامن من خوفه والمفيق عن سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر والخوف فنعوذ بالله من شر يوم كشف الغطا فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا **وقال** ابن الوردي في قصيدته

أي بني اسمع وصايا جمعت ... حكما خصت بها خير الملل
اطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعد الخير على أهل الكسل
فاحتفل في الفقه في الدين ولا ... تشتغل عنه بمال وخول
واهجر النوم وحصله فمن ... يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصل
في ازدياد العلم إرغام العدا ... وجمال العلم إصلاح العمل

وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء التي تقتني قال الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما ومن عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار وقال الشافعي رضي الله عنه من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح ومن دفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله تعالى رداء محبة فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فإن اذنب ذنبا استعتبه وإن أذنب ذنبا استعتبه وإن أذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداء ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الأحنف كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لا يوطد بعلم فإلى ذل يصير وقال سالم بن أبي الجعد اشتراني مولاي بثلثماية درهم واعتقني فقلت بأي

حرفة احترف فاحترفت بالعلم فلما مضت لي ستة
حتى اتاني امير المدينة زايرا فلم آذن له **وقال الشاعر**
العلم يرفع بيتاً لا عماد له ، والجهل يهدم بيت العز والكرم
وقال الزبير بن بكار كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم
فانك ان افتقرت كان لك مالاً وان استغنيت كان لك جمالا
وحكي ذلك في وصايا لقمان لابنه وقال يا بني
جالس العلما وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيي
القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السما **وقال**
بعض الحكما اذا مات العالم بكاه كل شي حتى الحوت في
الما والطير في السما ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره
وقال الزهري العلم ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال
واعلم ان الشي النفيس المرغوب فيه ينقسم الي ما يطلب
لذاته والي ما يطلب لذاته ولغيره والي ما يطلب لغيره
فقط وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره
والمطلوب لغيره الدنانير والدراهم فانهما حجران لا منفعة
لهما في اعيانهما ولولا ان الله عز وجل يسر قضا الحاجات
بهما لكانا والحصبا بمثابة واحدة واما الذي يطلب
لذاته فالسعادة في الاخرة ولذة النظر الي وجه الله العظيم
واما الذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان
سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انها سلامة عن
الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الي المارب والحاجات

وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في
نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار
الاخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا
يتوصل اليه الا به واعظم الاشياء رتبة في حق الادمي
السعادة الابدية وافضل الاشياء ما هو وسيلة ولا يتوصل
اليها الا بالعمل والعلم ولا يتوصل الى العمل ايضا الا
بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادات في الدنيا
والاخرة هو العلم فهو اذا افضل الاعمال وكيف لا وقد
يعرف فضيلة الشيء ايضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان
ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق
الملائكة ومقارنة الملأ الاعلى هذا في الاخرة واما في
الدنيا العز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام
في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون
طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم
بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها
توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز
لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا **في فضيلة التعلم**
اما الايات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم
طائفة ليتفقهوا في الدين **وقوله** عز وجل فاسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون **واما الاخبار** عن النبي المختار
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك

بطبعها

طريقا يطلب فيه علما سلك الله تعالى به طريقا إلى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين الاثار قال ابن عباس رضى الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس وجها واذا تكلم فاعرب الناس لسانا فاذا افتى فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكما اني لا ارحم رجالا كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال ابو الدرداء لان اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عمر رضى الله عنه موت الف عابد قائم الليل وصائم النهار اهون من موت عاقل عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضى الله عنه طلب العلم افضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك رضى الله عنه اقرا عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي

فمت

قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا اصحت النيه **وقال**
ابو الدردآء من راى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد
نقص في رايه وعقله **ومن** الشواهد العقليه فاعلم
ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم
ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق
المراد منها لم يمكن ان يعلم ان وجودها صفة للعلم
او لغيره من الخصال ولقد ضل عن الطريق من طمع ان
يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يفهم معنى
الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو
الزيادة فاذا تشارك شيان في امر واختص احدهما
بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما
هو كمال ذلك الشي كما يقال الفرس افضل من الحمار
بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه في قوة الكر
والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمارا
اختص بسلعة زايدة لم يقل انه افضل لان تلك زيادة
في الجسم وهي نقصان في المعنى وليس من الكمال في شي
والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فالعلم
فضيلته في ذاته على الاطلاق من غير اضافة فمن تحلى
بالعلم فقد نال سعادة الدارين واصبح عزيزا في الورى
كما جاء في الحكايه **حكى** انه ما كان في خلفا بني
العباس خليفة اعلم من المامون في جميع العلوم وكان

له كل اسبوع يومان يجلس فيهما للمناظرة مع الفقها
وكان يجتمع عنده الفقها والمناظرون والعلما والمتكلمون
فدخل بعض الايام الي مجلسه رجل غريب عليه ثياب رثه
فجلس في اخر الناس وقعد من وراء الفقهاء في مكان
مجهول فلما ابتدوا في المسايل وكان رسمهم انهم يديرون
المسالة علي جماعة الفقهاء اهل المجلس فكل من عرف
زيادة لطيفة او نكتة ظريفة ذكرها فذكرت المسالة
الي ان وصلت الي ذلك الرجل الغريب فاجاب بجواب
احسن من اجوبة الفقها كلهم فاستحسن المامون كلامه
وامر ان يرفع من ذلك المكان الي مكان اخر اعلي من تلك
المنزلة فلما وصلت المسالة الثانية اجاب بجواب احسن
من جوابه الاول فامر المامون ان يرفع الي اعلي من تلك
المنزلة فلما وصلت المسالة الثالثة اجاب بجواب احسن
من الجوابين الاولين فامر المامون ان يجلس قريبا منه فلما
انقضت المناظرة احضروا الطعام فاكلوا ثم نهض الفقها
فخرجوا فقرب المامون ذلك الشخص وادناه وطيب قلبه
ووعده بالاحسان اليه والامتنان عليه ثم عبي مجلس الشراب
وتصددوا واحضر الندما الملاح ودارت الراح فلما وصل
الدور الي ذلك الرجل وقف قايما علي قدميه وقال ان
اذن امير المومنين تكلمت بكلمة واحدة فقال قل ما شيت
فقد علم امير المومنين زاده الله تعالي علوا ان هذا العبد

كان

كان اليوم في المجلس الشريف من مجاهيل الناس ووضعاء
الجلوس فان امير المومنين بقدر يسير من العلم والعقل
الذي ابداه جعله معروفاً واعلى درجته وبلغ به الغاية
التي لم تسم اليها همته ولا نريد ان يفرق بينه وبين
ذلك القدر اليسير من العلم والعقل الذين اعزاه بعد
الذلة وكثراه بعد القلة وحاشا وكلا ان يحسن امير
المومنين على هذا القدر الذي معه من العلم والعقل
والنباهة والفضل لان العبد اذا شرب تباعد عنه
العقل والخصال المحموده وتقرب منه الجهل وسلب
ادبه فعاد الي تلك الدرجة الحقيرة كما كان ذليلاً ورجع
في عين الناس حقيراً مجهولاً فان راي الراي العالي ان
لا يسلب هذه الجوهرة منه بفضله وكرمه وسيادته
وحسن شيمه فعل ذلك متطولاً وانعم متفضلاً فلما سمع
المامون منه هذا الكلام مدحه وشكره واجلسه في
رتبته ووقره وامر له بماية الف درهم وحمله على فرس
وجمله بالثياب الفاخرة وكان في كل مجلس يرفعه علي
جماعة الفقها حتى صار ارفع منهم واعلى سنهم منزلة
وانما اوردنا هذه الحكاية ليعلم ان العلم والعقل يوصلان
صاحبه الي كل درجة عالية ومرتبة سامية وان
الجهل يحط صاحبه عن درجته ويهبط من علو مكانه

مقام الاوزاعي وابي يوسف بين يدي الرشيد سال

الرشيد الاوزاعي عن لبس السواد فقال لا احرمه ولكن
اكرهه قال ولم تكرهه قال لانه لا تجلى فيه عروس
ولا يلبي فيه محرم ولا يكفن فيه ميت فالتفت الى ابي
يوسف فقال ما تقول في السواد فقال النور في السواد
يا امير المومنين يعني الانسان ينظر بسواد عينه فاستحسن
الرشيد قوله فقال وفضيلة اخرى يا امير المومنين قال
وما هي قال وهل يكتب كتاب الله عز وجل الا به فاهتز
الرشيد لقوله ذلك واجازه **مقام الامام** مالك بن انس
بين يدي الرشيد قيل لما حج الرشيد بدا بالمدينة فارسل
الى مالك بن انس ان احمل الي كتبك او قال كتابك الذي
عملته قال لا افعل فاجتمع الاشراف الى مالك فقالوا له
هذا رجل جبار فاحمل اليه ولا تسلطه على نفسك
فقال ان كان ولا بد فاذل نفسي ولا اذل علمي فلبس وجاء
اليه فاستاذن عليه ودخل فقال يا امير المومنين ان
شرفك برسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قد اتيتك به وانه
حدثني نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان راسه في حجر ام مكتوم فنزلت لا يستوي القاعدون
فقال ابن ام مكتوم اي شيء اصنع يا رسول الله انا رجل ضرير
فعرج جبريل عليه السلام ونزل فقال غير اولي الضرر
فتامرني ان احمل اليك كتابي وقد عملت فيه الاحكام وجمعت
فيه السنن فقال لا نسمعه الا في بيتك فخرج معه

الرشيد

الرشيد فلما اراد ان يركب قال يا امير المؤمنين حدثني
نافع عن عبد الله بن عمر ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب
العلم لما يطلب فامش ولا تركب فقال افعل فمشي معه
حتى سار الى منزله فقال يا امير المؤمنين اجلس حتى اتاهب
فدخل فنصب منصة فجلس معه الى جانبه فكان مالك
اذا حدث بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك
ين حتى يفرغ فقال له حدثني نافع عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الخاص اذا تخصص بالعلم دون
العام لم ينتفع به الخاص ولا العام وهذا كتاب قد عملته
وما سمع به احد من اصحاب الحديث فنادي في الموسم فحضر
اهل العلم والحديث فقال له حدثنا فقال له يا امير المؤمنين
حدثني نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله فانزل
واجلس مع اصحاب الحديث فنزل وجلس معهم ورفعه
الى جانبه وقال بما اسمي هذا الكتاب يا امير المؤمنين قال
سمه ما شئت يا ابا عبد الله قال قد سميناه الموطا لانك
توطات لنا فحمل له دابة وبغلة وخمسماية دينار فردهما
وقبل الدنانير وقال ما كنت في مدينة النبي صلى الله عليه
وسلم وفيها قبره لاحتاج الى دابة ورحل الرشيد الى
مكة فارسل الى سفيان بن عيينه بان احمل الي علمك
فحمله اليه فلما قدم العراق كان الرشيد يقول رحم الله

مالك كانوا نحطاً ناله فانتفعنا بعلمه

الباب الثاني في شرف العقل وما رواه فيه علماء النقل

شواهد قوليه من الكتاب والسنة قال الله عز وجل
فاتقوا الله يا اولي الالباب هم ذووا العقول واما السنة
فقد قال صلى الله عليه وسلم خلق الله العقل مظلماً
ثم كحله بنور فابصر ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال
ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً احب الي
منك بك آخذ وبك اعطي وقال الشيخ الامام ابو حامد
الغزالي رضي الله عنه في كتاب الاحيا عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل
ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت
خلقاً اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك
اعاقب وقال صلى الله عليه وسلم ما قسم الله تعالى
لعباده خير من العقل ونوم العاقل خير من عبادة الجاهل
والعاقل المفطر خير من الجاهل الصائم وضحك العاقل خير
من بكاء الجاهل والدليل على صحة هذا ان الله تعالى جعل على
عباده شيئين الامر والنهي وكلاهما موقوف على العقل
واشتقاق العقل من العقال والمعقل المنيع القلعة على
راس الجبال لا تصل اليها يد احد لامتناعها وحصانتها
وقوتها واحكامها حكي عن المامون انه قال العقل
معنى هو حياة كل شيء فما خلا منه فانه ميت وقيمة

كلّ شيء به تعرف وبه تطّلع على الاسرار وبقوّته يحصل
الاستبصار وهو ميزان الوجود ومعيار ومحلّ كلّ شيء
وعليه مدار ومحلّ الخطاب والتّكليف وآلة الالباب
في التّصريف والتّحريف من خلا منه نزل عن رتبة الانعام
ومن حصل له استحقّ ان ينزل في اكرم مقام كما قال الشّاعر

ما وهب الله لامرء هبة ، احسن من عقله ومن ادبه
هما جمال الفتى فان فقدا ، ففقده للحياة اجمل به

اعلم انّ هذا ممّا لا يحتاج الى تكلّف في اظهاره
ولا سيّما وقد ظهر شرف العلم من قبل والعقل منبع العلم
ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من
الشجرة والنّور من الشّمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف
ما هو وسيلة للسّعادة في الدّنيا والآخرة اوكيف يسترا ب
فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتّى انّ
اعظم البهائم بدنا واشدّها ضراوة واقواها سطوة
اذا راى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره في
الكمال لاستيلائه عليه بما خصّ به من ادراك الحيل
ولذلك قال عليه الصّلاة والسّلام الشّيخ في قومه
كالنّبيّ في امّته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه
ولا لزيادة قوّته بل لزيادة تجربته الّتي هي ثمرة عقله
ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف الخلق مع قرب
رتبتهم من البهائم يوقّرون المشايخ بالطّبع ولذلك

حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته
الكريمة هابوه وترائى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة
وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه
بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما
القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والايات في ذكر
شرفه وقد سماه الله نورا في قوله تعالى الله نور السموات
والارض وسمى العلم المستفاد منه روحا وحيوة فقد
اوحينا اليك روحا من امرنا وقال تعالى ومن كان
ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم
والجهل كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقد
قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم
وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه
واعلموا انه يمجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع
الله وان كان ذميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث
الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل
المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا
نطوقا والقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه
ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين
ولله در الحريري حيث يقول
اسمع اخي وصية من ناصح ۰ ما شاب محض النصح منه بغشه

وتهجان

لا تعجلن بقضية مشهورة ، في مدح من لم تبله او خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلي ، وصفيه في حالي رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه ، للشايمين ووبله من طشه
فهناك ان تر ما يشين فواره ، كرما وان تر ما يزين فافشه
ومن استحق الارتقاء فرقه ، ومن استحط فحطه في حشه
واعلم بان التبر في عرق الثرى ، خاف الى ان يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها ، من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة ان تعظم جاهلا ، لصقال ملبسه ورونق رقشه
او ان تهين مهذبا في نفسه ، لدروس بزته ورثة فرشه
وكم اخي طمر بهيب لفضله ، ومفوف البردين عيب لفحشه
واذا الفتى لم يغش عارا لم يكن ، اسماله الا مراقي عرشه
ما ان يضر العضب كون قرابه ، خلقا ولا البازي حقارة عشه

فان قلت هذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف جوهر قائم بنفسه لا يتحيز **فاعلم** ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة **وعن** انس بن مالك قال اثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا في الثناء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر

وانما يرتفع العباد غداً في الدرجات ونيلهم الزلفى من ربهم على
قدر عقولهم وعن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال
ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى
ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه
حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم القايم ولا يتم لرجل
حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع
ربه وعصى عدوه ابليس وعن ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة
المومن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول
الفاجر لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
وعن عمر رضي الله عنه انه قال لتميم الداري ما السودد
فيكم قال العقل قال صدقت سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما سالتك فقال كما قلت ثم قال سالت جبريل
ما السودد فقال العقل وعن البراء قال كثرت المسايل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس ان لكل
شيء مطية ومطية المرء العقل واحسنكم دلالة ومعرفة
بالحجة افضلكم عقلا وعن ابي هريرة قال لما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون
كان فلان اشجع من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره
ونحو هذا فقال صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم

لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال انهم قاتلوا على
قدر ما قسم الله لهم من العقل وكان نصرتهم ونيتهم
على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى
فاذا كان يوم القيمة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم
وقدر عقولهم فانما لهم بطاعة الله رجلوا وفهم عقلا
وعن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله
باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي
الاخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم وبقدر
ما عملوا يجزون وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء آلة وعدة
وان آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء
العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل
ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعي
العباد العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين
العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين
العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الاخرة العقل ولكل
امرء عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين
ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط
وفسطاط المؤمنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم
ان احب المؤمنين الى الله من نصب في طاعة الله ونصح
لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به

ايام حياته فافلح وانجح **وقال** صلى الله عليه وسلم
اتمكم واكملكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم
فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا
وقال بعض الحكما العقل بالتجارب لان عقل الغريزة
سلم الى عقل التجربة **ولذلك** قال علي رضي الله عنه راى
الشيخ خير من جلد الغلام وعلى العاقل ان يكون عالما
باهل زمانه مالكا للسانه مقبلا على شانه **وقال**
علي رضي الله عنه العقل في الدماغ والضحك في الكبد
والرافة في الطحال والصوت في الرية **حكمة** سيل
حكيم الفرس ما علامة العاقل فقال للعاقل سبعة علامات
يعرف بها وهي ان يتجاوز عن ذنب من ظلمه وان يتجاوز عن
من هو دونه ويسابق الى فعل الخير لمن هو اعلى منه وان
يذكر ربه دايما وان يتكلم عن علم وان يعلم منفعة الكلام
واذا وقع في شدة التجا الى الله تعالى وكذلك الجاهل
له علامات وهي ان يجور على الناس ويظلمهم ويعسف من
دونه وان يتكبر على الزعما والمتقدمين وان يتكلم بغير
علم وان يسكت عن خطاياه واذا وقع في شدة اهلك
نفسه واذا راى اعمال الخير لفت عنها وجهه **حكمة**
قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ما رايت للانسان
لباسا اشرف من العقل ان انكسر صححه وان وقع اقامه
وان ذل اعزه وان سقط في هفوة جذبه واستنقذه

وانا افتقر اغناه واول شيء يحتاج اليه العلم الممتزج
بالعقل **حكمة** قال برويز الملك لولدِهِ احفظ الرعية
ليحفظك العقل واصرف آفتك عن الرعية ليصرف
العقل آفته عنك واعلم انك حكم بين الناس والعقل
حكم عليك فكما ينبغي ان يقبل الناس امرك فكذلك
ينبغي ان تقبل امر العقل **حكمة** كتب يونان الوزير الى
الملك العادل كسري انوشروان رسايل في باب العقل
وما يأمر به العقل فشكر انوشروان وامر الكاتب بان
يكتب اليه جواباً وقال الحكيم لقد احسنت في تادية
رسالة العقل لانّنا ومن تقدمنا من الملوك انما تحلينا
بالعقل فكيف يمكننا مخالفته فان العاقل اقرب الناس
الى الله تعالى والعقل كالشمس في الدنيا وهو قلب الحسنات
والعقل حسن في كل احد وهو في الاكابر احسن والعقل في
جسد الانسان كالرطوبة في الشجرة لان الشجرة ما دامت
رطبة طرية كان للخلق من رايحتها ونشر ازهارها وطيب
ثمارها ونظارتها وطراوتها في سرورٍ وغبطةٍ ونزهةٍ
وفرحة فاذا جفت رطوبتها وقحلت نظارتها فلا
تصلح حينئذ لشيء سوى القلع والاحراق والقطع وكذلك
الانسان ما دام عقله قوياً وحسه سليماً فصحبته
مباركة ومواصلته حسنة نافعة فاذا ذل عقله
وغلب عليه جهله فحينئذٍ لا يصلح للحياة ولا يستح

غير الوفاة وقال انوشروان كيف يسعني ان اخالف
العقل ولا افعل ما يامرني به العقل فانه ليس للملك ولا
للرعية خير من العقل فان بضيائه يفرق بين المليح
والقبيح والجيد والردي والحق والباطل والصدق
والكذب حكمة قال كسري انوشروان لموبذ ما خير
ما اعطي الانسان قال عقل يولد معه قال فان اخطاه
قال ادب يقومه قال فان اخطاه قال فمال يغطيه
قال فان اخطاه قال فصاعقة تحرقه وقال بزرجمهر
شيئان لا يمكن وجودهما في شخصين كاملين العقل
والشجاعة حكمة قال لقمان الحكيم مهما كان الرجل
عالما لا ينتفع ما لم يكن العقل لعلمه صاحبا حكمة
سال انوشروان بزرجمهر من تحب ان يكون اعقل الناس
قال عدوي اذا عاداني فقال ولم قال لا من اساءته
وكل شي اذا كثر هان الا العقل فانه كلما كان اكثر كان
صاحبه اعز ومن الحكم ما قال الشاعر

العقل احسن معقل فاهرع الي ابوابه العليا تنل كل العلا
واعلم بان الشي يرخص كثرة والعقل ان كثرت حواصله غلا

وقال بعض الحكما العقل اقوي اساس، والتقوي افضل
لباس، لا سايس كالعقل، ولا حارس كالعدل، افضل
ما من الله به علي عباده علم وعقل، وملك وعدل،
للجاهل يطلب المال، والعاقل يطلب الكمال، نظر العقل

نظر

بقلبه وخاطره، ونظر الجاهل بعينه وناظره، العلم
كنز عظيم لا يفني، والعقل ثوب جديد لا يبلي، العاقل
من احسن مواقع صنايعه، ووضع احسانه في مواضعه،
كم من عزيز اذله جهله، وكم من ذليل اعزه عقله، العمل
بغير عقل وبال، الادب مال، واستعماله كمال، عداوة
العاقل، خير من صداقة الجاهل، بالعقل يصلح كل امر،
وبالفضل يرتفع القدر، العاقل من عقله في رشاد،
ومن رايه في سداد، فقوله سديد، وفعله حميد،
والجاهل من جهله في هوا، ومن هواه في غوا، فقوله
سقيم، وفعله ذميم، اعص الجاهل تسلم، واطع
العاقل تغنم، فدولة الجاهل من المكايدات، ودولة
العاقل من الراحات، دولة الجاهل كالغريب الذي
يحن الى النقله، ودولة العاقل كالنسيب الذي دنى الى
الوصله، خير المواهب العقل، وشر المصايب الجهل،
اذا قلة العقول، كثرت الفضول، من قل عقله، كثر
هزله، من ذل عقله، زل فعله، لا تصطنع من فاته
الاصل، ولا تصحب من فاته العقل، لان من لا اصل
له يغش من حيث ينصح، ومن لا عقل له يفسد من حيث
يصلح، اصطناع العاقل اكرم فضيله، واصطناع
الجاهل اقبح رذيله، لان اصطناع العاقل يدل على تمام
العقل، واصطناع الجاهل يدل على استحكام الجهل،

ليس العجب من جاهل يصحب جاهلا، ولكن العجب من عاقل يصحب جاهلا، لان كل شي ينفر من ضده، و يميل الى جنسه، من حق العاقل، ان ينفر من الجاهل المضاد له في مخالفته اياه في رايه من اشار عليك باصطناع جاهل لا يخلو من ان يكون صديقاً جاهلا، او عدواً عاقلا، لانه يشير عليك بما يضرك واصطناع النصحا بكثرة العزم، لا بكثرة العدد، وتحصيل النفع لا تحصيل للجمع، فواحد يحصل به المراد، خير من الف يكثر الاعداد، حكمة قيل لبزرجمهر اي شي من الدنيا لا بد للانسان منه ولا مندوحة له عنه فقيل العقل فقيل ما قدر العقل فقال الشي لا يوجد في احد تاما كيف يعرف قدره وقال بعض الحكما جميع الاشياء مفتقرة الى العقل والعقل يفتقر الى التجربة ولا غنا اعز من العقل ولا فقر اشد من الجهل وكل من كان علمه اوفر كانت حاجته الى العقل اكثر والمثل في هذا كراع ضعيف معه قطيع كبير يضرب للعالم الذي لا عقل له وقالت العلما العقل امير وله جنود وجنوده التميز والحفظ والفكر والفهم وسرور الروح بالعقل لانه به ثبات الجسم والروح سراج ونور العقل ثم ينبسط في جميع الجسم والعاقل لا يغتم ابدا لانه لا يفعل ما يوجب الاغتمام ولا يهتم بامر لا يجوز لمثله الاهتمام حكمة سيل بن عباس

في

رضي الله عنهما العقل خير ام الادب فقال العقل فقيل
له ما العقل فقال العقل تعلم العلم والعمل بالعلم والعمل
انك اذا عملت علمت **حكمة** سئل حكيم ما العقل فقال
سداد وعقدة بين ثلاثة وعشرين شيئا فلولا هذه العقدة
لاختلط الجيد بالردي اولا عقدة بين التوحيد والشرك
وبين الايمان والكفر وبين الحذر والتهور وبين الاسلام
والغفلة وبين الشك واليقين وبين العافية والبلا
وبين الكرم والبخل وبين حسن الخلق والفظاظة وبين
التواضع والكبر وبين الصداقة والعداوة وبين المدح
والذم وبين التلاقي والجهل وبين الحيا والقحة وبين
الحق والباطل وبين الرزانة والخفة وبين الظلمة والضيا
وبين الكرامة والذلة وبين الطاعة والمعصية وبين
ذكر الله تعالى والغفلة وبين النصيحة والحسد وبين
السنة والبدعة وبين الرحمة والقساوة وبين الحلم
والحمق **قال** صاحب الكتاب محاسن الناس في العقل
وسائر الاعمال والعلوم مرجعها الى العقل كما جاء في
الحكاية يروى ان الريح حملت كرسي سليمان عليه
السلام وجعلت تسير به فلاح لسليمان بلد فامر
الريح ان تحط فنزل فراى على باب ذلك البلد مكتوبا
اجرة اجتهاد يوم درهم والحسن والجمال في يوم اجرته
دينار وعلم ساعة واحدة لا تحصى قيمتها وجميع الاشياء

منوطة بالعلم في العلم اسير الرأي والتدبير مع العقل
توأمان ومن آتاه الله العقل فقد آتاه خيرا كثيرا لتعلم
أيها العاقل كنه نفاسته وعلو همته فيجب عليك
أيها العاقل الحمد والشكر لواهب العقل وهو الباري جلت
قدرته سبحانه وتعالى **حكاية** يقال انه جاء بعض
الايام رجل الى باب دار امير المؤمنين المنصور وقال
للحاجب اعلم امير المؤمنين ان بالباب رجلا من الشام
اسمه عاصم وهو يذكر انه كان في الزمان الماضي بينه
وبين امير المؤمنين مصاحبة مدة سنة او اقل او اكثر
في التعليم والدرس وقد وصل الآن للسلام ولتجديد
العهد بالامام فلما عرفه الحاجب بذلك اذن له في
الدخول فلما وصل وسلم ثقل قدومه ووصوله الى ابي
الدوانيق لغثاثة منطقه وسوء ادبه وقلة عقله
فاجلسه وسأله وقال لاي حاجة قدمت فقال الرؤية
امير المؤمنين بوسيلة تلك الصحبة القديمة فامر له بالف
درهم فاخذها الرجل وانصرف ثم عاد بعد سنة
وكان قد مات للمنصور ولد وهو جالس في تعزيته فدخل
الرجل وسلم عليه ودعا له فقال له الخليفة فيم قدمت
فقال انا ذلك الرجل الذي كنت اتعلم معك العلم بالشام
وقد اتيت معزيا برزيتك ومؤديا لحق حرمتك فامر له
بخمسماية درهم وكان المنصور بخيلا ولم يكن في بني

العباس

العبّاس ابخل منه ولهذا سمّي بابي الدّوانيق ثمّ عاد اليه بعد
سنةٍ اخري فلم يجد حجّة يحتجّ بها في الدّخول عليه
الّا انّه دخل في جملة النّاس فقال له الخليفة لايّ سببٍ
وصلت فقال انا ذلك الرّجل الذي كنت اتعلّم العلم معك
بالشّام وكتابة الاخبار واستماع الاحاديث وكنت قد
كتبت دعاء الحاجة كلّ من دعا بهِ في حاجة قضيت
وقد ضاع منّي ذلك الدّعا وقد اتيت امير المؤمنين بان
اكتب نسخة ذلك الدّعا واحفظه فقال له المنصور لا
تتعب في طلب ذلك الدّعا فانّه غير مستجاب فانّي دعوت
منذ ثلاث سنين ليخلّصني الله منك فلم اخلص ولو كان
مستجابا كنت تخلّصت منك فخجل ذلك الرّجل لمّا سمع
كلامه وانّما اوردنا هذه الحكاية لان الانسان اذا كان
عالما ولم يكن له عقل سقط جاهه ومرتبته **حكاية**
يقال انّ في ذلك العصر ايضا وصل رجل من مدينة الرّسول
عليه الصّلوة والسّلام الي المنصور بحكم صداقة كانت
بينهما قديما فلمّا صار خليفة الزّمان قدم عليه ووفد
اليه وكان الرّجل عاقلا لبيبا ولم يكن عالما فلمّا راه قرّبه
وازلفه واستدعاه وقرّب منزلته فقال ذلك الرّجل يا
امير المؤمنين انا محبّ شديد المحبّة ولا مخلص في الطّاعة
والدّعا غير انّي لا اصلح لخدمة الملوك فكيف ينبغي لي ان
ازورك بحيث لا يظهر منّي سوء ادب ولا اثقل علي قلبك

فقال المنصور راخ الزيارة واذا زرتني فاجعل بين زيارتك
وانقطاعك مدة اذا غبت فيها لم انساك واذا حضرت لم
املك وازدادت عندي محبتك في قلبي كما كانت عليه
واذا جلست فاجلس بعيداً عني حتى يقربك الحاجب مني
بالتدريج ولا تطل جلوسك فتنسب الى سوء الادب ولا
تسال ليلاً تثقل على قلبي واذا احسنت اليك فاشكرني
في كل محلة تحلها او منزلة تنزلها بحيث اذا بلغني
ذلك سررت بشكرك وازددت في برك ولا تذكر في المجالس
ما جرى بيني وبينك في الزمان الماضي فقبل الرجل هذه
الوصايا فكان في كل سنة يمضي الى سلامه مرتين
وكان الخليفة يعطيه في كل مرة يسلم عليه الف درهم
وانما اوردنا هذه الحكاية لتعلم ان من كان له عقل وان لم
يكن له علم يزداد شرفه ويعلو قدره فان عقله يكون له
دليلاً ومن كان ذا علم وليس له عقل عادت اموره
جميعها منعكسة منقلبة ومن كان تام العقل والعلم
كان حكيماً او اماماً فان جمال الانسان وعزه ومرتبته
وصلاح دنياه واخرته وتمامه وتكامل صفاته
واقسامه بالعلم والعقل والعقل اول الايمان ووسط
الايمان واخر الايمان وقال بعض القدما ليس العاقل ان
الانسان اذا وقع في امر اجتهد في حسن خلاصه بل ان
العاقل ان يجتهد ان لا يوقع نفسه في امر يحتاج الى

الخلاص منه قال ابو رشيد الرازي دخلت بغداد
ولم اعرف بها احدا ولم اعلم ما اعمل في امري فرايت شيخا
عليه اثار الديانه وزي الصلاح فسلمت عليه وقلت له
يا سيدي انا رجل غريب وقد وصلت الان الى هذه البلده
ولا اعرف فيها احدا معرفه من بلدي تهديني الى سلوك
الارتفاق فلما سمع كلامي لم يزدني على ان انشدني هذين
البيتين وهما

اذا كنت ذا عقل فلا تخش غربة ، فما عاقل في بلدة بغريب
يعد رفيع القدر من كان عاقلا ، وان لم يكن في اهله بحبيب

ثم تركني ومضى فلما سمعت ذلك منه علمت ان
العقل هاد مرشد ورشيد مسعد فاهتديت
بنوره الوقاد فرزقني الله كل مرام ومراد

الباب الثالث في الادب وبلوغ الارب

اوصى الامام علي ولده الحسين رضي الله عنهما بهذه الوصايا
وقال يا بني اوصيك بتقوى الله عز وجل في الغيب والشهاده
وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغنا والفقر ،
والعدل في العدو والصديق ، والعمل في النشاط والكسل
والرضى عن الله عز وجل في الشده والرخا ، يا بني ما شر بعد
الجنه بشر ، وما خير بعد النار بخير ، فكل نعيم دون
الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافيه ، يا بني من ابصر
عيب نفسه ، شغل عن عيب غيره ، ومن نسي خطيئته

استعظم خطيئة غيره، ومن هتك حجاب أخيه انكشفت
عورات بنيه، ومن سلّ سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه
بيرًا وقع فيه، ومن كايد الأمور عطب، ومن اقتحم البحر
غرق، ومن مزح استخف، ومن أكثر من شيء عرف به، يا
بنيّ من نظر في عيوب الناس ورضيها لنفسه فذلك
الأحمق، ومن تفكّر اعتبر، ومن اعتبر اعتزل، ومن اعتزل
سلم، ومن ترك الشهوات كان حرًّا، ومن ترك الحسد كان
له المحبّة من النّاس، يا بنيّ عزّ المؤمن غناه عن الناس،
والقناعة كنز لا ينفد، ومن أكثر من ذكر الموت قنع من
الدّنيا باليسير، ومن علم أنّ كلامه من عمله قلّ كلامه
إلّا فيما يعنيه، العجب من خاف العقاب فلم يكفّ، ورجا
الثّواب فلم يعمل، يا بنيّ الذّكر نور، والغفلة ظلمة،
والجهالة ضلالة، والسّعيد من وعظ بغيره، والأدب
خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين، والآداب جمال مجالسه،
والعلم وراثة كريمة، والزّمان دول، والأيام فروض،
وقيمة كلّ امرئ ما يحسنه، ومن تزيّن بمعاصي الله في
المجالس أورثه الله ذلًّا، يا بنيّ رأس العلم الرّفق، وآفته
الخرق، ومن كنوز الإيمان الصّبر على المصايب، يا بنيّ كثرة
الزّيارة تورث الملالة، إعجاب المرء بنفسه دليل على
نقصه، العفاف زينة الفقر، والشّكر زينة الغنى،
فكم من نظرة جلبت حسرة، وكم من نظرة سلبت نعمة،

يا بنيّ

يا بنيّ لا شرف اعلا من الاسلام، ولا كنز انفع من التقى،
ولا معقل احرز من الورع، ولا شفيع انجح من التوبة،
ولا لباس اجمل من العافية، ولا مال اعود من الرضى،
ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد تعجّل الراحة وتبوّا
حسن الدعة، والحرص مفتاح التعب، ومطيّة النصب،
وداعٍ الى التقحّم في الذنوب، والشرّ جامع لمساوي
العيوب، وكفاك ادباً لنفسك ما كرهته لغيرك،
لاخيك المؤمن عليك مثل الذي لك عليه، ومن تورّط في
الامور من غير نظر في العواقب، فقد تعرّض لفادحات
النوايب، التدبير قبل العمل يومنك الندم، ومن
استقبل وجوه الاراء، فقد عرف مواقع الخطا، الصبر
جنّة من الفاقة، والبخل جلباب المسكنة، والحرص
علامة الفقر، وصول معدم خير من مكثر جاف، لكلّ
شيء قوت، وابن آدم قوت الموت، يا بنيّ لا تؤيس مذنبا
فكم من عاكف على ذنبه ختم له بخير، وكم من مقبل على
عمله مفسد له في آخر عمره وصار الى النار من تحرّى
القصد خفّ عليه الامور، في خلاف النفس رشدها،
الساعات تنقص الاعمار، وربّك للباغين من احكم
الحاكمين، وعالم بسراير المضمرين، بئس الزاد للمعاد،
الظلم على العباد، في كلّ جرعةٍ شرق، ومع كلّ
لقمة غصص، لا تنال نعمة الا بفراق اخرى، ما اقرب

الراحة من التعب، والبؤس من النعيم، والموت من الحياة،
فطوبى لمن أخلص لله عمله، وحبه وبغضه، وأخذه وتركه
وكلامه وصمته، وبخ بخ لعالم علم فكف، وعمل فجد
وخاف فاعد واستعد، ان سئل أفصح، وان ترك صمت
كلامه صواب، وسكوته غير عي عن الجواب، والويل كل
الويل لمن بلي بحرمان، وخذلان وعصيان واستحسن
لنفسه ما يكرهه الناس، من لانت كلمته، وجبت محبته،
ومن لم يكن له حيا ولا سخا فالموت أولى به من الحياة، ولا
تتم مروءة الرجل حتى لا يبالي أي طعاميه أكل، ولا أي
ثوبيه لبس **ومما أوصى** لقمان ابنه وقال يا بني زاحم
العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك، وخذ من الدنيا
ما يبلغك للمحل، وانفق فضل كسبك لآخرتك، ولا ترفض
الدنيا كل الرفض فتكون عيالا، وعلى أعناق الناس
كلا، وصم صوما يكسر شهوتك، ولا تصم صوما
يضر بصلاتك، فان الصلاة أفضل من الصوم، ولا
تجالس السفيه، ولا تخالط ذا الوجهين، ولا تضحك
من غير عجب، فان الضحك يميت القلب، ولا تمش من غير
أدب، ولا تسأل ما لا يعنيك، ولا تضيع مالك، وتصلح
مال غيرك، فان مالك ما قدمت لنفسك، ومال غيرك
ما تركت خلفك، وإياك والناس، وعليك بالناس،
فان الناس هم الناس، وليس كل الناس ناس، فقد ذهب

الناس

الناس وبقي الناس، وما راهم بالناس، ومن ابصر
عيب نفسه، اشتغل عن عيب غيره، ومن تعرّي
عن لباس التقوي لم يستتر شيء من الثياب، ومن رضي
برزق الله لم يحزن على شيء فاته من الدنيا، ولا على شيء في
يد غيره، ومن حمل سيف البغي قتل به، ومن احتفر حفيرا
لاخيه وقع فيه، ومن هتك حجاب غيره انكشف عورته
وهتك الله حجاب ستره، ومن نسي ذلة نفسه استعظم
ذلة غيره، ومن كايد الامور عطب، ومن خاطر بنفسه
هلك، ومن استغني عن مشاورة غيره ضل، ومن تكبّر
على الناس ذل، ومن سفه على الناس شتم، ومن صاحب
الارذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل
مداخل السوء اتّهم، ومن تهاون بالدين ارتطم، ومن
اغتنم موال الناس فتقر، ومن خشي الله فاز يوم القيمة
ومن لم يجرّب الامور جزع، ومن صارع الحق صرع، ومن
احتمل ما لا يطيق عجز، ومن عرف اجله، قصر امله،
ومن عرف الجهل، لزم طريق العدل وقال ايضا صحبت
في زمني اربعة الاف نبي فاخذت عنهم اربع كلمات
من العلم الاولي اذا كنت في الصلاة فاحفظ قلبك، واذا
كنت بين الناس فاحفظ لسانك، واذا كنت في منزل احد
فاحفظ عينك، واذا كنت على المائدة فاحفظ حلقك،
واذكر اثنين وانس اثنين اذكر الله والموت، وانس حسناتك

الى الخلق واساءتهم اليك اوصى بعض الحكما بنيه فقال يا بنيّ الادب اكرم الجواهر طبيعة وانفسها قيمة يرفع الاحساب الوضيعه ويقيّد الرغايب الجليله ويعزّ من غير عشيرة ، ويكثر الانصار من غير ذريّة فالبسوه حله وتزيّنوه حليه يونسكم في الوحشة ويجمع لكم القلوب المختلفة وقال شبيب بن شيبة لبنيه اطلبوا الادب فانّه مادّة العقل ودليل على المروّة وصاحبٌ في الغربة ومونسٌ في الوحشة وصلة في المجالس وقال عبد الله بن مروان لبنيه عليكم بطلب الادب فانكم ان احتجتم اليه كان لكم مالا وان استغنيتم عنه كان لكم جمالا وقال الامام علي كرّم الله وجهه الشرف بحسن الادب ، لا بفضل الحسب والنّسب كما قال بعضهم واجاد

كن ابن من شئت واتّخذ ادبا ، يغنيك مضمونه عن الحسب
انّ الفتى من يقول ها انا ذا ، ليس الفتى من يقول كان ابي
مالي عقلي وهمّتي حسبي ، ما انا مولى ولا انا عربي
اذا انتمى منتمٍ الى احدٍ ، فانّني منتمٍ الى ادبي

وقال آخر

كن ابن من شئت وكن مؤدبا ، فانّما المرء بفضل حسّه
وليس من تكرمه لغيره ، مثل الذي تكرمه لنفسه

وقال عبد الله بن معاوية

لسنا وان كرمت اوايلنا ، يوما على الاحساب نتّكل

لسنا

نبني كما كانت اوايلنا ، ونفعل مثل ما فعلوا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من اسرع به عمله
لم يبطي به نسبه وقال قيس بن ساعدة من فاته
حسب نفسه لم ينفعه حسب ابيه وقال سحيم عبد بني
الحسحاس حين عيب بالرق والسواد

ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما ، او اسود اللون فاني ابيض الخلق

وقال ابراهيم بن المهدي حين عابه المامون لسواده

ليس يزري السواد بالرجل الشهم ولا بالفتى الاديب
ان يكن السواد مني نصيب ، فبياض الاخلاق منه نصيبي

وقال المعري

لو يعلم الانسان مقداره ، لم يفخر المولى على عبده
لولا سجاياه واخلاقه ، كان هو المعدوم في وجده
ومجد افعاله لا الذي ، من قبله كان ولا بعده

وقال بعضهم

كبر بلا نسب ، تيه بلا حسب
فخر بلا ادب ، هذا من العجب

وقال بعض الحكما الادب مال ، واستعماله كمال ،
من ساء ادبه ، ضاع نسبه ، كل خير ينال بالطلب ،
يزداد بالادب ، ادب النفس خير من ادب الدرس ،
طلب الادب ، خير من طلب الذهب ، من لم يادبه
الابوان ، ادبه الملوان وقال بعض الحكما اعلم ان

جاهل بالمال انما يصحبك ما يصحبك المال، وجاهك بالادب غير زايل عنك وقال ابن المقفع اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبنك ذلك فان الكرامة تزول بزوالها، ولكن ليعجبك اذا اكرموك لدين او ادب وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب فاعجب عبد الملك ما سمع منه فقال له ابن من انت فقال ابن نفسي يا امير المومنين التي توصلت بها اليك قال صدقت وقالت عايشة رضي الله عنها كل كرم دونه لوم فاللوم اولى به، وكل لوم دونه كرم فالكرم اولى به تريد ان اولى الامور بالانسان خصال نفسه وان كان كريما واباوه لياما لم يضره ذلك وان كان لييما واباوه كراما لم ينفعه ذلك وقال عامر بن طفيل

اني وان كنت ابن سيد عامر، وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثة، ابا الله ان اسمو بام ولا اب
ولكنني احمي حماها واتقي، اذاها وارمي من رماها بمشغب

وقال الحريري

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه، علي ما تجلى يومه لا ابن امسه
وما الفخر بالعظم الرميم وانما، فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

وقال الاحنف بن قيس راس الادب النطق، ولا خير في قول الا بفعل ولا في مال الا بجود، ولا في وعد

الا بوفا، ولا في فقه الا بورع، ولا في طعم الا بنية،
وقال بعض الحكما لا يستغني الادب عن ثلاث او
اثنين اما الثلاث فالبلاغة، والفصاحة، وحسن
العبارة، واما الاثنتان فالعلم بالاثر، والحفظ بالخبر،
وقال الحسب محتاج للادب، والمعرفة محتاجة الى
التجربة وقال بزرجمهر ما ورثت الابنا شيا خيرا من
الادب لان بالادب يكسب المال، وبالجهل يتلف،
وقال حسن الخلق خير قرين، والادب خير ميراث،
والتوفيق خير قايد وقال الفضيل بن عياض راس
الادب معرفة الرجل قدره وقال سفيان الثوري
من عرف نفسه لم يضرها ما قال الناس فيه وقال
انوشروان لموبذ وهو العالم بالفارسية ما افضل
الاشيا قال الطبيعة النقية تكتفي من الادب بالرايحة
ومن العلم بالاشارة وكما يموت البزر بالسباخ كذلك
تموت الحكمة بموت الطبيعة قال صدقت وقيل
لاردشير بن بابك الادب اغلب ام الطبيعة فقال
الادب زيادة في العقل ومنبهة للراي ومكسبة للصواب
والطبيعة املك لان بها الاعتقاد ونمو الفراسة وتمام
الغذا وقيل لبعض الحكما اي شي اعون للعقل بعد
الطبيعة المولودة قال ادب مكتسب وقال الادب
ادبان ادب الغريزة وهو الاصل وادب الرواية وهو

الفرع ولا يتفرع شيء الا عن اصله ولا يغني الاصل الا
باتصال المادة كما قال حبيب

وما السيف الا ذبرة لو تركته، على الحالة الاولى لما كان يقطع

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كفاك من
علم الدين ما لا يسع جهله، وكفاك من علم الادب ان
تروي الشاهد والمثل وقال عبد الله بن قتيبة
اذا اردت ان تكون عالما فاطلب فنا واحدا واذا اردت
ان تكون اديبا فتفنن في العلوم وقالت الحكما اذا كان
الرجل طاهر الاثواب كثير الاداب حسن المذهب تادب
بادبه وصلح بصلاحه جميع اهله واولاده وحاشيته

وقال الشاعر في المعنى

رايت صلاح المرء يصلح اهله، ويعديهم منه الفساد اذا فسد
ويعظم في الدنيا لفضل صلاحه، ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد

فصل في رقة الادب

ابو بكر ابن ابي شيبة قال قيل للعباس بن عبد المطلب
انت اكبر ام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو اكبر
مني وانا اسن منه وقيل لابي وايل ايكما اكبر انت ام
الربيع بن هيثم قال انا اكبر منه سنا وهو اكبر مني عقلا
وقال ابان بن عثمان لطويس المغني انا اكبر ام انت
قال جعلت فداك لقد شهدت زفاف امك المباركة الى
ابيك الطيب انظر الى حذقه ورقة ادبه كيف لم يقل

امك الطيبة الى بيتك المبارك وقيل راي المهدي في
قصر حزمة خيزران فقال للفضل ما هذه قال عروق
الرماح يا امير المومنين لم يرد ان يقول الخيزران لموافقته
اسم ام الرشيد ودخل المامون على دواوينه فراي
غلاما جميل الوجه على اذنه قلم فقال من انت يا غلام
فقال يا امير المومنين انا الناشي في دولتك والمتقلب
في خدمتك والمومل لخدمتك حسن بن رجا خادمك
وابن خادمك فقال المامون احسنت يا غلام وبالاحسان
في البديهة تفاضلت العقول ثم امر ان ترفع درجته
ومرتبته في الديوان وقال ايضا المامون للسيد
ابن انس انت السيد بن انس فقال السيد امير المومنين
وانا عباس بن انس فاستحسن كلامه وادبه ووصله
قال معاوية لسعيد بن العاص ما اعجب الاشياء
قال حظ الجاهل وكف العاقل يا امير المومنين وانشد
يقول شعرا
كم من قوي قوي العقل مبتهج ، مهذب اللب عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط ، كانه من خليج البحر يغترف
فقال له معاوية صدقت انت سعيد بن العاص فقال
امير المومنين السعيد وانا عباس بن العاص فعجب من
حسن ادبه ومن حديث عايشة رضي الله عنها ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبجل احدا كتبجيله لعمه

لعمه العباس وكان عمر وعثمان رضي الله عنهما
اذا لقيا العباس وهما راكبان نزلا اعظاما له وقال
الحجاج بن يوسف للشعبي كم عطاك قال الفين قال
ويحك كم عطاؤك قال الفان قال فلم لحنت فيما لا
يلحن فيه مثلك قال لحن الامير فلحنت واعرب الامير فاعربت
ولم اكن ليلحن الامير واعرب انا عليه وقال العتبي
عن ابيه قال صوت عمر بن الخطاب رضي الله عنه في
المسجد فلما حانت الصلاة قال عزمت على صاحب الصوت
الا قام فتوضا فلم يقم احد فقال جرير بن عبد الله
يا امير المؤمنين اعزم علينا كلنا ان نقوم فنتوضا
قال صدقت وما علمتك الا سيدا في الجاهلية فقيها في
الاسلام قوموا فتوضوا الادب في الحديث والاستماع
قالت الحكما راس الادب كله حسن الفهم والتفهم والاصغا
للمتكلم وذكر الشعبي قوما فقال ما رايت مثلهم
اشد تنابذا في مجلس ولا احسن تادبا من محدث
وقال الشعبي فيما يصف به عبد الملك بن مروان
والله ما علمته الا اخذا لثلاث تاركا لثلاث اخذا
بحسن الحديث اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث
وبايسر المؤنة اذا خولف باذل لها وبترك اللئيم ومماراة
السفيه ومنازعة اللجوج وقال بعض الحكما لابنه
يا بني تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث

وليعلم

وليعلم الناس انك احرص على ان تسمع منك على ان تقول
واحذر الا تسرع بالقول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل
حتى تعلم الناس انك الى الفعل ما لم تقل اقرب منك الى
قول ما لم تفعل **وقال** من حسن الادب الا تغالب احدا
على كلامه واذا سئل غيرك فلا تجب عنه واذا
حدث بحديث قد علمته فلا تنازعه اياه ولا تقتحم
عليه فيه ولا تره انك تعلمه واذا كلمت صاحبك فاخذته
حجتك فسهل ذلك عليه ولا تظهر الظفر به وتعلم
حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام **وقال** الحسن
البصري حدثوا الناس ما اقبلوا عليكم بوجوههم

الادب في المجالسة

قال المهلب بن ابي صفرة العيش كله في الجليس المقنع **ومن**
حديث ابي بكر بن ابي شيبة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يقم الرجل للرجل عن مجلسه ولا ليوسع
له **وكان** عبد الله بن عمر اذا قام له الرجل عن مجلسه
لم يجلس فيه وقال لا يقم احد لاحد عن مجلسه
ولكن افسحوا يفسح الله لكم **ابو امامة** قال خرج
الينا النبي صلى الله عليه وسلم فقمنا اليه فقال
لا تقوموا كما تقوم الاعاجم لعظمائها فما قام
اليه احد منا بعد ذلك **ومن حديث** ابن عمر ان صلى
الله عليه وسلم قال اذ خرجت عليكم وانتم جلوس

لا يقوم احد منكم في وجهي وان جلست فكما انتم فان ذلك من اخلاق المشركين وقال صلى الله عليه عليه وسلم الرجل احق بصدر دابته وصدر مجلسه وصدر فراشه ومن قام من مجلسه ورجع اليه فهو احق وقال صلى الله عليه وسلم اذا جلس اليك احد فلم تقم حتى تستاذنه وجلس رجل الى الحسن بن علي رضي الله عنهما انك جلست الينا ونحن نريد القيام افتاذن وقال سعيد بن العاص ما مددت قط رجلي بين يدي جليسي ولا قمت من مجلسي حتى يقوم وقال ابراهيم النخعي اذا دخل الرجل بيتا فليجلس حيث اجلسه اهله ودفع ابو قلابة لرجل جلس اليه وسادة فردها فقال اما سمعت لا ترد على اخيك كرامته وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا يابى الكرامة الا الحمار وقال سعيد بن العاص لجليسي علي ثلاث اذا دنى رحبت به واذا جلس وسعت له واذا حدث اقبلت عليه وقال اني لاكره ان يمس الذباب بجليسي مخافة ان يوذيه الهيثم بن عدي عن عامر الشعبي قال دخل الاحنف على معاوية فاشار الى وساد فلم يجلس عليه قال ما منعك يا احنف ان تجلس على الوساد قال يا امير المومنين اني فيما اوصى به قيس بن عاصم ولكن انه قال لا تغش السلطان

فهي

حتى يملك ولا تقطعه حتى يتساك ولا تجلس له على فراش
ولا وساد واجعل بينك وبينه مجلس رجل او رجلين
وقال زياد ما اتيت مجلسا قط الا وتركت منه ما لو
جلست فيه لكان لي وتركت ما لي احب الي من اخذ ما ليس
لي وقال واياك وصدور المجالس وان صدرك صاحبها
وقال الشعبي لان ادعى من قرب احب الي من ان اقصى
من قرب الى بعد وقال صلى الله عليه وسلم انما احدكم
مرات اخيه فاذا راى عليه اذى فليمطه عنه واذا راى
على اخيه شيئا فليقل ليقك السوء او صرف الله عنك
السوء آداب الجلوس على الطريق غض البصر، ونصر
المظلوم، واغاثة الملهوف، واعانة الضعيف، وارشاد
الضال، ورد السلام، واعطاء السائل، والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر، ولا تبصق في وجه القبلة ولا عن
يمينك لكن عن يسارك وتحت قدمك واياك ان
تمازح لبيبا يحقد عليك، او غير لبيب فانه يتجرى
عليك، والمزاح يخرق الهيبة، ويسقط المنزلة كما
قال الشاعر

وَاياك اياك المزاح فانه ، يطمع فيك الطفل والدنس النذلا
وَيذهب ماء الوجه بعد بهائه ، ويورث بعد العز صاحبه ذُلا

وقال آخر

افد طبعك المكدود بالجد راحة ، يجم وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن ، بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

الادب في المماشاه

وقال يحيى بن اكثم ماشيت المأمون يوماً من الايام في بستان موسى وكنت من الجانب الذي يستره من الشمس فقال لا تفعل ولكن بحالك حتى استرك كما سترتني فقلت يا امير المؤمنين لو قدرت ان اقيك حر النار لفعلت فكيف الشمس فقال ليس هذا من كرم الصحبة ومشى ساترا لي كما سترته وقيل لعمر بن ذر كيف بر ابنك بك قال ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفي ولا ليلا الا مشى امامي ولا رقي سطحا وانا تحته وقيل لزياد انك تستخلص حارثة بن بدر وهو يواقع الشراب قال وكيف لا استخلصه ولا اسالته عن شي قط الا وجدت عنده منه علما ولا استودعته سرا قط فضيعه ولا راكبني قط فمست ركبتي ركبته محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز قال خرجت مع موسى الهادي امير المؤمنين من جرجان فقال لي اما ان تحملني واما ان احملك فعلمت ما اراد فانشدته ابيات بن صرمة

اوصيكم بالله اول وهلة ، واحسابكم والبر والله اول
وان قومكم سادوا فلا تحسدوهم ، وان كنتم اهل السياده فاعدلوا
وان انتم اعوزتموا فتعففوا ، وان كان فضل المال فيكم فافضلوا

قال فامر له بعشرة الاف درهم ادب معاشرة المسلمين ان تعين محسنهم وان تستغفر لذنوبهم وان تدعوا لمذنبهم وان تجيب دعوتهم وان يسلموا من يدك

ولسانك

ولسانك وان تسلم عليهم وتشمت العاطس وتعود
المرضي وتشهد جنايزهم وتبر قسمهم وتحفظهم بظهر
الغيب وتحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره
لنفسك ولا تتكبر عليهم ولا تاتي بالنميمة ولا تقبلها
ولا تزيد في الهجر علي ثلاثة ايام والاحسان لهم ما استطعت
ولا تدخل علي احد منهم الا باذنه ولا تخونهم وان
تخالقهم بخلق حسن وتوقر المشايخ وترحم الصبيان
وان تكون مع الكافة مستبشرا طلق الوجه رفيقا
بهم وتوفي بعهودهم وتنصفهم من نفسك وتنزلهم
منازلهم في التوقير واصلاح ذات البين وستر عوراتهم
واتقاء مواقع التهم والشفاعة لارباب الحوايج ونصرة
المظلوم منهم ومخالطة المساكين والاحسان الي
اليتامي ومخالفة الفاجر بطريق المجاملة والقهم
بوجه الرضي من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقير
في غير كبر وتواضع في غير ذلة ولا تنظر في عطفيك
ولا تكثر الالتفات ولا تقف علي الجماعات واذا جلست
فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك واللعب
بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك وادخال اصبعك
في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب
عن وجهك وكثرة التمطي والتثاوب في وجوه الناس
وفي الصلاة وليكن مجلسك هاديا وحديثك

منظوماً مرتباً واصغ الى الكلام ممن حادثك من غير
اظهار عجب مفرط ولا تسأله اعادته وقيل ان
ابا الحسن السفاح كان يحدث ابا بكر الهذلي يوماً اذ
عصفت الريح فارمت طشتاً من سطح الى المجلس فارتاع
من حضر ولم يتحرك الهذلي ولم تزل عينه مطابقة
لعيني السفاح فقال ما اعجب شأنك يا هذلي فقال ان
الله تعالى يقول ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
وانما لي قلب واحد فلما غمره السرور بمحادثة امير المومنين
لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضرا على الغبرا
ما احسست بها وما وهمت لها فقال السفاح لئن
بقيت لك لارفعن مكانك ثم امر له بمال الجزيل وصلة
كثيرة وفي نوابغ الكلم اكرم بحديث اخيك بانصاتك
وصنه من وحمة التفاتك ومن اداب المعاشرة
ان تسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن
اعجابك بولدك ولا بخادمك ولا بشعرك ولا بتصنيفك
وسائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المراة ولا تتبذل
تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن
ولا تلح في الحاجات ولا تشجع احداً على الظلم ولا
تعلم اهلك وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك
فانهم ان راوه قليلاً هنت عليهم وان راوه كثيراً لن
تبلغ رضاهم ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل عبدك

ولا امتك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر
وتحفظ وتربص وتجنب عجلك وتفكر في حجتك
ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى من
وراءك واذا هدا غضبك فتكلم **ادب الصحبة
والاخوة** اعلم ان المودة والاخوة سبب التاليف والتاليف
سبب القوة والقوة حصن منيع وركن شديد بهما يمنع
الضيم وتنال الضغاين وتنجح المقاصد وقد من الله
على قوم وذكرهم نعمته عليهم بان الله جمع قلوبهم
على الصفا وردها بعد الفرقة الى الالفة والاخا
فقال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء
فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ووصف نعيم
الجنة وما اعد فيها من الكرامة لاوليائه اذ جعلهم
اخوانا على سرر متقابلين **وقال** علي كرم الله وجهه
الرجل بلا اخ كشمال بلا يمين **وقال
الشاعر في المعنى**

وما المرء الا باخوانه ، كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة ، ولا خير في الساعد الاجذم

وقال الامام علي رضي الله عنه اخوك من واساك
في الشدة **وقال** لقمان لابنه يا بني لا يعرف ثلاث
الا عند ثلاث الحليم عند الغضب ، والشجاع في الحرب ،
والاخ عند الحاجة اليه **وقال** زياد خير الاخوان

ان يكون عونا لك على حوادث الزمان، ونوايب الحدثان، ويعينك في السرّاء والضرّاء، وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب ان لم تكن مثله شانته وقال عبد الله بن طاهر المال غادٍ ورايح، والسلطان ظلّ زايل، والاخوان كنوز وافرة قيل لخالد بن صفوان اي اخوانك احبّ اليك قال الذي يسدّ خلّتي، ويغفر زلّتي، ويقبل عثرتي وقال علي رضي الله عنه خير الاصحاب من دلّك على الخير وقال الشاعر في المعنى

عاشر من الناس من تبقى مودّته، فاكثر الناس جمع غير مؤتلف
اسمهم صديق بلا قاف ومعرفة، بغير فاء واخوان بلا الف

ومن ادب الصحبة والاخوة بان لا تصحب كل احد فان المرء يحشر على دين خليله كما قال الشاعر

عن المرء لا تسال وسل عن قرينه، فكل قرين بالمقارن يقتدي

ولا يكون فاسقا ولا مبتدعا ولا حريصا على الدنيا ولا سيّئ الخلق ويكون تامّ العقل ولا يكون كذّابا ولا احمقا ولا بخيلا ولا جبانا ولا طمّاعا ومن حقّ الصحبة المواساة بالمال والاعانة بالنفس في قضا الحاجات والمبادرة اليها قبل السؤال وقال الشاعر

اعلى الصراط اريد منك مودّة، ام انت خلّ في القيمة ثاني
لنوايب الدهر اتّخذتك صاحبا، والامر في الاخرى الى الرحمن

وكان القعقاع بن شور الذهلي اذا جالسه رجل يجعل

له نصيبا من ماله ويعينه على حوايجه ودخل يوما
على معاوية فامر له بماية الف درهم وكان رجل قد
فسح له في المجلس فرفعها للذي فسح له فقال

وكنت جليس قعقاع بن شور، وما يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان نطقوا بخير، وعند الشر مطراق عبوس

ومن اداب الصحبة البشاشة والبشر وحسن
الخلق والادب عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من اخلاق النبيين والصديقين
البشاشة اذا تراءوا والمصافحة اذا تلاقوا وان يستر
معايبه بحضرته وفي غيبته في النطق بمناقبه وان لا
يتجسس عن احواله وان لا يظن به الا خيرا وان لا يحقد
عليه وان راى منه شرا وان لا يقاطعه بكل جناية
وان يكتم اسراره وان يدعو له في غيبته وحضوره
وينصره وينصحه ويعفو عن زلاته ويتحمل منه
ظلم الغضب وظلم الهفوة ويدعو له بعد مماته ويلاطفه
في مرضه اذا اعتل وان يكون شديد الفزع من مفارقته
ولا يصادق عدوه ويرفع التكليف والتكلف بينهما
ولكن اقول هيهات قال من يوجد صاحب على هذه
الصفة في هذا الزمان بل غالب الاخوان والاصحاب
يتجسسوا معايبك ويترددوا عليك في حين ايسارك
واما عند اعسارك يفرون منك كما يفرون من الاسد

كما قال الشاعر

صديقك حيث تستغني كثير ، وما لك عند فقرك من صديق
فلا تنكر على احد اذا ما ، طوى عنك الزيارة عند ضيق

وقال الامام الشافعي

صديق ليس ينفع يوم باس ، قريب من عدو في القياس
وما يبغي الصديق بكل عصر ، ولا الاخوان الا للتماس
عمرت الدهر ملتمسا بجهدي ، اخا ثقة فاكداه التماسي
تنكرت البلاد على حتى ، كان اناسها ليسوا باناسي

وقال آخر

فاما ان تكون اخي بصدق ، فاعرف منك غثي من سميني
فلو انا على حجر ذبحنا ، جرى الدميان بالخبر اليقيني
والا فاطرحني واتخذني ، عدوا اتقيك وتتقيني

آداب الجار ان يهنيه في الفرح ويظهر الشركة له في السرور ويقوم معه في التعزية وان يصفح عن زلاته وان يترك الاطلاع على عوراته وان لا يضايقه في وضع الجذوع في جداره ومصب الماء ومطرح التراب والثلج واعانته على نوائبه وان يقرضه عند الحاجة كما قال صلى الله عليه وسلم المؤمن لا يشبع دون جاره وملاحظة اهله في غيبته وان يحترز من التشميع الى كلامه واتباع النظر الى ما يحمله الى داره والمبالغة في السؤال عن حاله والتلطف لولده

وخدمه

والخدمة اعلم ان للجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار المسلم ذوي الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حق بمجرد الجوار وقد قال صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم لا يومن عبد حتى يامن جاره بوايقه وقال صلى الله عليه وسلم اول خصمين يوم القيمة جاران وقال صلى الله عليه وسلم اذا انت رميت كلب جارك فقد اذيته ويروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود فقال له ان لي جارا يوذيني ويشتمني ويضيق علي فقال له اذهب فانه قد عصى الله فيك فاطع الله فيه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتوذي جيرانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في

وكالجار الذي له ثلاثة حقوق

النار وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشكو جاره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبر
ثم قال له في الثالثة او الرابعة قال اطرح متاعك في
الطريق فجعل الناس يمرون فيقولون ما لك فيقال اذاه
جاره فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد
متاعك فوالله لا اعود وقال الشاعر في المعنى

وقايلة لي بعت دارك رخيصة ، فلا انت محتاج ولا انت مفلس
فقلت لها قلي الملامة واقصري ، بجيرانها تغلى الديار وترخص

ادب الاكل

ان يكون طيبا حلالا وغسل اليد قبله وبعده وان يوضع
على الارض فهو اقرب للتواضع ويا كل كما ياكل العبد
ويجلس كما يجلس العبد وينوي بالاكل التقوي على الطاعة
ويرضى بالموجود الحاضر ولا يجتهد في التنعم وطلب
الزيادة ويجتهد في كثرة الايدي على طعامه ويبدا
بسم الله ويختم بها ولو مع كل اللقمة ويجهر بها ولو
مع كل لقمة ويجهر بها ليذكر غيره ويبدا بالملح ويختم
به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبلعها
لا يمد يده الى اخرى ولا يذم ماكولا ويا كل مما يليه
الا الفاكهة وليتوق ذروة القصعة ووسط
الطعام وقد ورد النهي عن قطع اللحم بالسكين ولا
يوضع على الخبز شيء قال عليه الصلاة والسلام اكرموا

الخبز

للخبز فان الله انزله من بركات السما ولا يدخل يده
فيه ولا ينفخ في الطعام الحار ولا يشرب في اثناء
الطعام الا اذا غص او صدق عطشه وان يمسك
قبل الشبع ويمسح يده بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط
فتات الطعام ويتخلل ولا يبتلع ما يخرج من بين
اسنانه ويلعق القصعة ويشكر الله تعالى بقلبه
ولسانه على ما انعم عليه وان اكل طعام الغير فليدع
له وان اكل لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيما رزقتنا
وارزقنا خيرا منه ويلزم على كل من اكل مع الملوك
والروسا ان يستعمل فيها كل مروة ويستخدم كل ادب
فتكون اظفاره مقلومة وكمه نظيفا ولقمته صغيرة
ولا ياكل البقل ولا يدسم الخل والملح ولا ياكل مما
يحشا وتغير النكهة او يدمع العين ولا يسا في بيده
على الخوان ولا يرعى وجوه الرغفان ولا يفقان اعين
الالوان ولا يستاثر بمخ البيضة ولا بمخ العظم ولا
كلية الحمل ولا خاصرة الجدي وقفا السمكة
وقشر الدجاجة وكبد الدراجة ولا يجمع بين الحلوى
الرطبة واليابسة في لقمة واحدة **آداب الطعام**
يقدم في الطعام الافضل علما وورعا وان يتحدثوا
عليه باخبار الصالحين ونعم الله ويوثر رفيقه في الاكل
ولا يراقب اكل اصحابه ولا يقول ولا يفعل ما يستقذر
ويكره ان يوخر الطعام بحيث يشق ذلك على اصحابه

وترك التكلف واحضار ما حضر ولا يشاورهم في اخراج
الطعام بل يقدمه فان اكلوا والا رفع **ادب الضيافة**
يقصد بدعوته الاتقياء ولا يميز الاغنياء على الفقراء
والضيف ثم لا يميز الغني بالاجابة على الفقير ولا يمتنع
عن الاجابة لبعد المسافة اللهم الا ان يكون بعيدا جدا
ولا يمتنع لكونه صائما فان كان يسر اخاه افطاره افطر
والا فلا ويمتنع من الاجابة ان كان فيه شبهة وينوي
بالاجابة الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واكرام
اخيه والتحابب في الله تعالى لا قضاء شهوة البطن
وان لا يعجل بالحضور بحيث يفاجئهم قبل الاستعداد
ولا يتاخر بحيث يطول عليهم الانتظار ولا يتصدر
بل ياخذ مكانا يليق به وليعرفه رب البيت القبلة وبيت
الماء وموضع الوضوء وليعجل باحضار الطعام فقد
يكونوا جياعا قال الله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
ويقدم ما عنده من اللطف كالفاكهة والحلوى ولا
يبادر رفع الطعام ولا غيره ويقدم لهم بقدر كفايتهم
بحيث لا يجحف باهل بيته ويطعم خدمهم ونحوهم
ان كانت **كما قال الشاعر**
مطية الضيف عندي مثل صاحبها ❊ لن تكرم الضيف حتى تكرم الفرسا
ويشيعهم عند الانصراف الى باب الدار كما قال صلى الله عليه
وسلم من آمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه **وما احسن**

ما قيل

ما قيل في الضيف والمروّة معناه قولهم الضّيف دليل الخير
واطعام الاضياف من عادات الاشراف والحرّ عبد الضّيف
ما دام نازلا كما قال حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه
في المعنى شعراً
وانّي لعبد الضّيف ما دام نازلاً ۞ وما فيّ الّا تلك من شيم العبد

ادب السّفر يبدأ اوّلاً بردّ المظالم وقضاء الدّيون
واعداد النّفقة وردّ الودايع وليوسع على اصحابه في
السّفر ويختار رفيقاً فانّه يقال الرّفيق قبل الطّريق
وليؤمّر احدهم ويودّع اصحابه ويستودع الله اهله
وماله ويصلّي صلوة الاستخارة ويباكر السّفر ويستحبّ
السّير في اللّيل فاذا اشرف على المنزل فليستعذ بالله منه
ومن اهله ويطلب خيره وخير اهله ولا يمشي وحده
ويتناوب هو ورفقاؤه الحراسة ويرفق بالدّابّة في
السّير وليصحب معه المرآة والمكحلة والسّواك والمشط
وما يحتاج اليه من الانية والامتعة نحو الحبل والدّلو
والقدّوم والسّفرة والابرة والقدح وغير ذلك واذا
اشرف على مدينة قال اللّهمّ اجعل لنا بها قراراً ورزقاً
حسناً وليرسل من يخبر اهله بقدومه ولا يطرقهم
ليلاً وليحمل لهم معه تحفة وهديّة وان قلّت فان
الابصار طامحة الى مثلها ولا يسافر الّا لضرورة او
لزيادة في دينه وليسرع الاوبة ولا يهمل في سفره

حظوظ دينه نحو لقاء المشايخ وزيارة المشاهد والمساجد المعظمه

الباب الرابع في الصدق وحسن النطق

وفضيلته وحقيقته قال الله تعالى مبشرا
للصادقين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال
تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال
تعالى والصادقين والصادقات فمدحهم وبين
لهم المغفرة والاجر العظيم وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى
الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا
وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى
النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا
نقل من احياء العلوم ويكفي في فضيلة الصدق
ان الصديق مشتق منه والله وصف به الانبيا
في معرض المدح والثنا فقال واذكر في الكتاب
ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذكر في
الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال الامام
عمر رضي الله عنه عليك بالصدق وان قتلك وقيل
لكل شيء حلية وحلية المنطق الصدق وقال
محمود الوراق

الصدق منجاة لاصحابه ، وقربة تدني من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب واصل

المروه

المروّة ولا يتمّ هذه الثلاثة الا به وقال عامر
العدواني في وصيّته انّي وجدت صدق الحديث طرفاً
من الغيب فاصدقوا يعني من لزم الصدق وعوّد لسانه
به وفق فلا يتكلّم بشيء يظنّه الا جاء على ظنّه وخطب
بلال لاخيه امرأة قرشيّة فقال لاهلها نحن من قد
عرفتم كنّا عبدين فاعتقنا الله وكنّا فقيرين
فاغنانا الله وكنّا ضالّين فقد هدانا الله وانا اخطب
اليكم فلانة لاخي فان تنكحونا فالحمد لله وان تردّونا
فالله اكبر فاقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال
من قد عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فزوّجوا اخاه فلمّا
انصرفوا قال له اخوه يغفر الله لك اما كنت تذكر
سوابقنا ومشاهدنا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
فقال مه يا اخي صدقت فانكحك الصدق وخطب
الحجّاج يوماً فاطال فقام رجل فقال الصلاة فانّ
الوقت لا ينتظرك والربّ لا يعذرك فامر بحبسه
فاتاه قومه وزعموا انّه مجنون وسالوه ان يخلي سبيله
فقال ان اقرّ بانّه مجنون خلّيته فقيل له فقال معاذ
الله لا ازعم انّ الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك
الحجّاج فعفى عنه لصدقه وقيل انّ بلالاً لم يكذب
منذ اسلم رضي الله عنه وقال الفضيل ما من مضغة

احبّ الى الله من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة ابغض الى الله منه اذا كان كاذبا وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما اربع من كنّ فيه فقد ربح الصّدق والحيا وحسن الخلق والشّكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصّدق استوحش من النّاس وقال ابو عبد الله الرّملي رايت منصور الدّينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي ورحمني واعطاني ما لم اءمال فقلت له احسن ما توجّه العبد به الى الله ماذا قال الصّدق واقبح ما توجّه به الكذب وقال ابو سليمان اجعل الصّدق مطيّتك والحقّ سيفك والله تعالى غاية طلبك

وقال الحريري

عليك بالصّدق ولو انّه ، احرقك الصّدق بنار الوعيد
واطلب رضى الله فاغبى الورى ، من اسخط المولى وارضى العبيد

وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لرايت الصّادقين وعن محمّد بن علي الكناني قال وجدنا دين الله مبنيّا على ثلاثة اركان على الحقّ والصّدق والعدل فالحقّ على الجوارح والعدل على القلب والصّدق على العقل فاوحى الله تعالى الى داود عليه السّلام يا داود من صدّقني في سريرته صدّقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشّبلي ورمى بنفسه الى الدّجلة فقال ان كان صادقا فالله تعالى

ينجّيه

ينجيه كما انجى موسى عليه السلام وان كان كاذبا
فالله تعالى يغرقه كما اغرق فرعون وقال بعضهم اجتمع
الفقها والعلما على ثلاث خصال انها اذا صحت فيها
النجاه ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص
عن البدعة والتقوى والصدق لله تعالى في الاعمال
وطيب المطعم وقال ابن منبه وجدت في
حاشية التورية اثنين وعشرين حرفا كان صلحا
بني اسرآئيل يجتمعون فيعرفونها لا كنز انفع من العلم،
ولا مال اربح من الحكم، ولا حسب اوضع من الغضب
ولا قرين ازين من العمل، ولا رفيق اشين من الجهل،
ولا عمل افضل من الفكر، ولا حسنة اعلا من الصبر،
ولا سيئة اخزى من الكبر، ولا دوآء الين من الرفق،
ولا دآء اوجع من الحزن، ولا رسول اعدل من الحق، ولا
دليل انصح من الصدق، ولا فقر اذل من الطمع، ولا
غناء اشقى من الجمع، ولا حياة اطيب من الصحة، ولا معيشة
اهنى من العفة، ولا عبادة احسن من الخشوع، ولا زهد
خير من القنع، ولا حارس احفظ من الصمت، ولا غايب
اقرب من الموت وقال بعض الحكما من قال بالحق
صدق، ومن عمل به وفق، من صدق في مقاله، زاد
في جماله، احسن الجد ما كان عند التعب، واحسن
الصدق ما كان عند الغضب، الحق اقوى معين،

والصدق والصبر فرقين، عليك بالصدق في مقالك،
والرفق في افعالك، فمن صدق في مقاله جل قدره، ومن
رفق في افعاله تم امره، ان صدقت في كلامك، حسنت
مرامك، عود لسانك الصدق، لتكرم عند الله والخلق،
الصدق عز، والصمت حرز، الصمت دليل العقل والحيا،
والصدق وسيلة المنى، اذا قلت فاصدق، واذا فعلت
فارفق، الصدق لباس الدين، والزهد امارة اليقين،
اليمن مع الرفق، والنجاة مع الصدق، من كذب في قوله،
فقد ساء فعله وقال محمد بن سعيد المروزي اذا
طلبت الله بالصدق افادك الله مرآة بيدك حتى تبصر
كل شيء من عجايب الدنيا والاخرة وقال ابوبكر
الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله والرفق
فيما بينك وبين الخلق وقيل لذي النون المصري هل
للعبد الى صلاح امره سبيل فقال قد بقينا مذنبين
حيارا نطلب الصدق وما اليه سبيل فدواعي الهوى
تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل وقيل لسهل
بن عبد الله ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال
الصدق بينك وبين الله تعالى والسخا والشجاعة فقال
زدنا فقال البقا والحيا وطيب الغذا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم عن الكمال
فقال قول الحق والعمل على الصدق وعن الجنيد في

قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم قال
يسال الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند
ربهم وهذا امر على خطر وقال اسماعيل بن عبيد
الله لما حضر ابي الوفاة جمع بنيه فقال يا بني
عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه
وعليكم بالصدق حتى لو قتل احدكم قتيلا ثم
سئل عنه اقر به والله ما كذبت كذبة مذ قرات
القرآن وقال الشاعر في المعنى
الصدق يورث قايليه مهابة، سر نحو نعم الطريق طريقه
واحفظ به عهد الصحاب فانه، من قال منه الصدق قال صديقه
وعن عايشة رضي الله عنها قالت سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم بم يعرف المومن قال بوقاره
ولين كلامه وصدق حديثه وقال علي رضي الله عنه
الصدق خير للمرء من مال ياكله ويورثه وقال
الاحنف ضوء صدوق خير من بليغ كذوب لعن الله المرء
اذا كان كذابا وقال لابنه يا بني يكفي من شرف المرء
الصدق يقبل قوله في عدوه ومن دناءة الكذب
لا يقبل قوله في صديقه ولا عدوه لكل شيء حلية
وحلية المنطق الصدق وقال بعضهم مضرة
الصدق على اهله احسن من منفعة الكذب الصدق
عمود الدين، وركن الادب، واصل المروة، ولا يتم

هذه الثلاثة الا ابدا وقال ارسطاطاليس احسن
الكلام، ما صدق فيه قايله، وانتفع به سامعه وقال
ايضا ليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب

فصل في ذم الكذب

قال اسماعيل بن اوسط سمعت
الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم
والكذب فانه مع الفجور وهما في النار قال ابو
امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب
باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من
النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل
والمدخل والمخرج فان الاصل الذي بني عليه النفاق
الكذب وقال عليه الصلاة والسلام كبرت
خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت
له فيه كاذب وقال ابن مسعود قال عليه الصلاة
والسلام لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى
يكتب عند الله كذابا ومر صلى الله عليه وسلم برجلين
يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا
انقصك من كذا وكذا ويقول الاخر والله لا ازيدك
على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال
عليه الصلاة والسلام اوجب احدهما الاثم

والكفارة

والكتمان وقال عليه الصلاة والسلام الكذب ينقص الرزق وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال عليه الصلاة والسلام تقبلوا لي بست اتقبل لكم بالجنة قالوا وما هي قال عليه الصلاة والسلام اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال الاصمعي قلت لكذاب اصدقت قط قال لولا اني اصدق في هذا القلت لك لا وقال محمود ابن ابي الجنوب

لي حيلة فيمن ينم ، وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقول ، فحيلتي فيه قليله

ويقال فلان اكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز وكان بالفارس محتسب يعرف بجراب الكذاب وكان يقول ان منعت من الكذب انشقت مرارتي واني لاجد به راحة مع ما يلحقني من عاره ما لا اجد بالصدق مع ما ينالني من نفعه وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق قول الصادقين ولبعضهم

حسب الكريم من البليه ، بعض ما يحكي عليه
فمتى سمعت بكذبة ، من غيره نسبت اليه

واضاف صرفي قوماً واقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن
كما قال الله تعالى سمّاعون للكذب اكّالون للسّحت
وقال ابن مسعود رضي الله عنه اعظم الخطايا
اللسان الكذوب وقال الشاعر

لا يكذب المرء الّا من مهانته ، وفعله السوء ومن قلّة الادب
لعض جيفة كلب خير رايحة ، من كذبة المرء في جدٍّ وفي لعب

ولمّا نصّب معاوية ابنه يزيد لولاية العهد اقعده
في قبّة حمراء وجعل النّاس يسلّمون على معاوية ويميلون
الى يزيد حتّى جا رجل ففعل ذلك ثمّ رجع الى معاوية فقال
يا امير المؤمنين اعلم انّك لو لم تولّ هذا امور المسلمين
لاضعتها والاحنف ساكت فقال له معاوية ما لك لا تقول
فقال اخاف الله تعالى ان كذبت واخافكم ان صدقت فقال
جزاك الله عن الطّاعة خيراً فيما تقول ثمّ امر له بالوف
شتّى فلمّا خرج الاحنف لقيه ذلك الرّجل بالباب فقال
يا ابا بحر انّي لاعلم انّ هذا من شرار خلق الله ولكنّهم
استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع في
اخراجها الّا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا امسك
فانّ ذو الوجهين خليق ان لا يكون عند الله وجيهاً
وقال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا عند الله اللسان
الكذوب وشرّ النّدامة ندامة يوم القيمه وقال
عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت على

ازاري

ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم
احسنكم اسماً فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم
خلقاً فاذا اختبرناكم فاحبكم اصدقكم حديثاً واعظمكم
امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال قعدت اكتب
كتاباً فمررت بحرف اذا انا كتبته زينت الكتاب وكنت
قد كذبت فعزمت على تركه فناداني منادٍ من جانب البيت
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غوراً
في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما
اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل
لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقاً
قال نعم وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب
ما من خطيب الا عرضت خطبته على عمله فان كان
صادقاً صدق وان كان كاذباً قرضت شفتاه بمقاريض
من نار كلما قرضتا نبتتا وقال ايضا الصدق
والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما الاخر
وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال له كذبت
فقال عمر ما كذبت مذ علمت ان الكذب يشين صاحبه
كما جاء في الحكايه قيل ارسل الاسكندر رسولاً الى الملك
دارا بن دارا فلما رجع الرسول واعاد الجواب شك
الاسكندر في كلامه بكلمة فلزمها عليه فقال

الرسول يا مولاي انا سمعت منه هذه الكلمة باذني هاتين
فامر الاسكندر ان يكتب ذلك بعينه وانفذه على يد رسول
آخر الى دارا بن دارا فلما وصل اليه وعرض المكتوب عليه
وقرأه وطلب سكينا وقلع تلك الكلمة من الكتاب
وكتب اليه امين الملك على حسن سنة الملك وصحة طبعه
واساس صحة السلطان على صحة لفظ السفراء وصدق
مقالة الرسل الامنا لان الرسول يقول عن لسان الملك
ويسمع ما يسمع من الجواب باذن الملك والآن قد قلعت
تلك الكلمة من الكتاب لانها لم تكن من كلامي ولم
اجد سبيلا الى قلع لسان رسولك فلما عاد الرسول وقرا
الاسكندر الكتاب استدعى الرسول الاول وصاح عليه
وقال له ويلك من وضعك على اتلاف ملك من الملوك
بتلك الكلمة تكلمت بها فاقر الرسول وقال انه قصر
في حقي واسخطني فقال الاسكندر سبحان الله اظننت
انا ارسلناك لتصلح امورك وتضيع امورنا وتسعى
في حقوق الناس البغا ثم امر به فسل لسانه من قفاه
فانظر يا اخي عاقبة الكذب كيف يشين صاحبه
بيان ما رخص فيه الكذب قال ميمون بن مهران الكذب
في بعض المواطن خير أرأيت لو ان رجلا سعى وآخر وراءه
بالسيف فدخل دارا فانتهى اليك فقال رأيت فلانا
ما كنت قايلا ألست تقول لم أره وما تصدق فهذا الكذ

واجب

واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل
مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب
جميعاً فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل بالكذب
دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل
ذلك المقصود مباحاً وواجب ان كان تحصيل المقصود
واجباً كما ان عصمة دم المسلم واجب فمهما
كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب
فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح
ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب
مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا
فتح على نفسه باب الكذب يخشى ان يتداعى الى ما يستغني
عنه والى ما لا يقتصر فيه على حد الضرورة وكان الكذب
حراماً في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثنا ما
روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم رخص في شيء من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول
القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب
والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها **وقالت**
ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من
اصلح بين اثنين فقال خيراً او نمى خيراً **وقالت** اسمى
بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب
يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين رجلين يصلح

بينهما وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به
مسلم او دفع عنه وللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي
يوخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما غرض
غيره فبان يسال عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح
بين اثنين وبين الضرات من نسائه بان يظهر لكل
واحدة منهن انها احب اليه وان كانت امراته لا تطيعه
الا بوعد مما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا
لقلبها او تعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار
من ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه
ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه
محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن بالميزان
القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق
اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان
ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق وقد يتقابل
الامر بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل الى الصدق
اولى لان الكذب مباح بضرورة او حاجة مهمة
فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب
المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من القول الكذب
مهما امكنه ذلك ولذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب
له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض
غيره فلا يجوز المسامحة لحق غيره والاضرار به

واكثر

واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادة
المال والجاه ولامور ليس في فواتها محذور حتى ان المرأة
لتحكي عن زوجها فيما تتفاخر به وتكذب لاجل
مراغمة الضرات وذلك حرام **قالت** اسماء سمعت
امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان
لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضرها بذلك
فهل علي فيه شيء **فقال** عليه الصلاة والسلام من
تطعم بما لا يطعمه وقال لي وليس له واعطيت وكم
كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا
فتوى العالم بما لا يتحققه ورواية الحديث الذي ليس
يثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك
يستنكف ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق
بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب
الا بوعد او وعيد وتخويف كان ذلك مباحا نعم قد روينا
في الاخبار ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح ايضا
قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه
ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق
اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه
الذي هو مستغنى عنه فانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح
فلهذا يكتب ذلك من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد
ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع

من الصدق قام لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان
يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما يؤدي الى
سفك دم وارتكاب معصية كيف كان وقد ظن الظانون
انه يجوز وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد
في المعاصي وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو خطاء
اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا
فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا بضرورة ولا
فيها اذ في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ورد في
الايات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان
ذلك تكرر على الاسماع فسقط وقعها وما هو جديد فوقعه
اعظم فهذا بين اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذورات
الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى
ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير
هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الكبائر التي لا يقاومها شيء انتهى

الباب الخامس في الحلم والعفو بعد الجرم والعفو

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ذكرهم الله تعالى في
معرض المدح وقال عليه الصلاة والسلام من كف
غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل
الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال
عليه الصلاة والسلام اشدكم من غلب نفسه عند

الغضب

الغضب واحلمكم من عفى عند القدرة **وقال** عليه
الصلاة والسلام من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه
امضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة رضا وفي رواية
ملأ الله عليه امنا وايمانا **وقال** ابن عمر قال صلى
الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من
جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى **وقال**
ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفا غيظه بمعصية
الله تعالى **وقال** صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب
الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد الا ملأ الله
قلبه ايمانا **وقال** عليه الصلاة والسلام من كظم
غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق
يخيره من اي الحور شاء **واما الاثار** قال عمر رضي الله عنه
من اتقى لم يشف غيظه ومن خاف الله تعالى لم يفعل
ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون **وقال**
لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة
ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك ينفعك
معيشتك **وقال** ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا
واجتمع الثوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل
فتذاكروا الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم
عند الغضب والصبر عند الطمع **وقال** رجل لعمر رضي

الله عنه ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى
عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الم
تسمع الى قول الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض
عن الجاهلين هذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما
كانت نار فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من
كن فيه فقد استكمل الايمان بالله تعالى اذا رضي لم يدخله
رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من
الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان
فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر
قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك بيان في
فضيلة الحلم اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان
كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم له فلا
يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج فيه
الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار
اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه
تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه
وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن
ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا وقال عليه
السلام انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر
الخير يعطه ومن يتوق الشر يتوقه اشار بهذا الى ان
اكتساب الحلم طريقة التحلم اولا وتكلفه كما ان

اكتساب

اكتساب العلم طريقة التعلم وقال ابوهريرة رضي
الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا
العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن
تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلما
فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى التجبر والكبر
هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان
من دعائه اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وكرمني
بالتقوي وجملني بالعافية وقال ابوهريرة رضي الله
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابغوا الرفعة
عند الله تعالى قالوا وما الرفعة يا رسول الله فقال
عليه الصلاة والسلام تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتحلم عمن ظلمك او جهل عليك وقال
عليه الصلاة والسلام خمس من سنن المرسلين الحياء
والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال رجل
من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق
بها فايما رجل اصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة
فاوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت
له بذلك فقال عليه الصلاة والسلام ايعجز احدكم
ان يكون كابي ضمضم قالوا وما ابو ضمضم يا رسول الله
قال رجل كان فيمن قبلكم اذا اصبح يقول اللهم اني
اتصدق اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في تفسير

قوله تعالى ربانيين اي حلماء علماء وعن الحسن في
قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال
حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وعن عطاء ابن ابي
رباح يمشون على الارض هونا اي حلما قال ابن
ابي حبيب في قوله تعالى وكهلا قال الكهل منتهى الحلم
وقال مجاهد اذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا
صفحوا وقال عليه الصلاة والسلام ليليني منكم
ذووا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق
وروي انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الاشج
فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه
واخرج من العيبة ثوبين خشنين فلبسهما وذلك
بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع ثم اقبل
يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه
الصلاة والسلام يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله
ورسوله قال وما هما بابي انت وامي يا رسول الله فقال
عليه الصلاة والسلام الحلم والاناءة قال خلقان
تخلقتهما او خلقان جبلتهما فقال عليه الصلاة
والسلام بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله
الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال
عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يحب الحليم

حبيب

الحيي الغني المتعفف ويبغض الفاحش البذي
السائل الملحف وقال ابن عباس رضي الله عنهما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم
يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله
تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه
وخلق يعيش به في الناس وقال صلى الله عليه
وسلم اذا جمع الخلائق يوم القيمة نادى منادٍ اين
اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعاً
الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعاً
الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان
فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء
الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا
الجنة فنعم اجر العاملين وقال عمر رضي الله عنه
تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال
علي كرم الله وجهه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك
ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان تباهي
الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسأت
استغفرت الله وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه
بالوقار والحلم وقال اكثم بن صيفي دعامة
العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء
رضي الله عنه ادركت الناس ورقاً لا شوك فيه

فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان فقدتهم فقدوك وان
تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من
عرضك ليوم فقرك **وقال** علي كرم الله وجهه
ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم انصاره
واعوانه على الجاهل **وقال** معاوية لا يبلغ الرجل
مبلغ الراي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا
تبلغ ذلك الا بقوة العلم **وقال** ايضا لعمرو بن
الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي
الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه **وقال**
انس رضي الله عنه في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا
الاية هو الذي يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا غفر
الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي **وقد**
قال الشاعر

اصفح عن سفه السفيه ، كلما قال فهو فيه
ما ضر بحر الفرات يوما ، ان ولغ بعض الكلاب فيه

وقال رجل شتمت رجلا من اهل البصرة فحلم عني
فاستعبدني بها زمانا **وسب** رجل ابن عباس فلما فرغ
قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل
راسه واستحيا **وقال** رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد
انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك **وروي**

عن زين العابدين رضي الله عنه انه سبه رجل فرمي
اليه قميصه التي عليه وامر له بالف درهم فقال
بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط الاذي
وتخليص الرجل مما يبعده عن الله وحمله على الندم والتوبة
ورجوعه الي المدح بعد الذم اشتري جميع ذلك بشيء
من الدنيا يسير وروي ان زين العابدين رضي الله عنه
استدعي غلامه وناداه مرتين فلم يجبه فقال له زين
العابدين اما سمعت ندائي فقال بلي فقال فلم لا
اجبتني فقال امنت وعرفت طهارة اخلاقك فقال
الحمد لله اذ قد امن مني عبدي وروي عن زين العابدين
انه كان له غلام فعمد الي شاة رجل فكسرها فقال
ويلك ما حملك علي كسرها فقال كسرتها عمدا لاغيظك
فقال له وانا اغيظ الذي علمك وهو ابليس اذهب فانت
حر لوجه الله وروي ابن مسعود رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يقسم
مالا فقال رجل ما هذه القسمة لله يعني انها ليست
بانصاف فحكيت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فغضب واحمر وجهه ولم يقل شيئا سوي ان قال رحم
الله اخي موسي وانه اوذي وصبر علي الاذي وقال
معاوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة فقال
يا امير المؤمنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم

واشعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر الصادق رضي الله عنه انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد رحمه الله من اساء اليك فاحسن اليه حاجزا من قلبه يردعه عن مثل اسائته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المرآء يشتم ومن لا يكره الشتم يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن تبع وصية الله تعالى يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتولى الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن لا يتوكل على الله يخذل ومن يستعين بالله ولا يستعين بغيره يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء فقال وانت اذا علي اكرم من نفسي اني اذا فعلت ذلك فقد اهديت اليك حسناتي وقال رجل لبعض الحكما لا تبتع شيئا يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لا معي وقال بعض العلماء الحلم انفع من العقل لان الله تعالى يسمى به ومر عيسى عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال

تمامه

عليه السلام كل واحدٍ ينفق مما عنده وقد قال
الشاعر في المعنى

وقايلة لي ما لزيد يسبك ، وانت له بين الخلايق تمدح
فقلت لها قلي الملامة واقصري ، فكل اناءٍ بالذي فيه ينضح

وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف
الحليم الا عند الغضب ، ولا الشجاع الا عند الحرب ، ولا
اخاك الا عند حاجتك اليه وضرب رجل قدم حكيم
فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته في
مقام حجر تعثرت به فوقعت ودبحت الغضب وقال
محمود الوراق في معناه

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب ، فان كثرت منه علي الجرايم
وما الناس الا واحد من ثلاثةٍ ، شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره ، واتبع فيه الحق والحق لازم
فاما الذي دوني فان قال صنت عن ، اجابته عرضي وان لام لايم
واما الذي مثلي فان زل وهفى ، تفضلت ان الفضل بالخير حاكم

وركب عمرو بن العاص يوما بغلة شهباء ومر على
قوم فقال بعضهم من يقوم الى الامير ويساله عن امه
وله عشرة الاف درهم فقال واحد منهم انا فقام ومسك
بعنان بغلته وقال اصلح الله الامير انت اكرم الناس خيلا
فلم ركبت دابة شابت وجهها فقال اني لا املها ابدا
حتى تملني ولا امل رفيقي حتى يملني فقال اصلح الله الامير

اما العاص فقد عرفناه وعلمنا شرفه فمن الام فقال
علي الخبير سقطت امي كانت بغية بنت حرملة سبتها رماح
العرب فاتوا بها سوق عكاظ فبيعت فاشتراها عبد
الله بن جدعان ووهبها للعاص بن وايل فولدت
وانجبت فان كان جعل لك جعل فارجع وخذ وارسل
عنان الدابة وقيل ان امه كانت بغية عند عبد الله
بن جدعان وابو لهب وامية بن خلف وابو سفيان
بن حرب والعاص بن وايل فولدت عمروا فادعاه
كلهم فحكمت فيه امه فقالت هو للعاص لان
العاص كان ينفق عليها فقالوا كان اشبه بابي
سفيان وكان الواثق يتشبه بالمامون في اخلاقه
وحلمه وكان يسمى المامون الصغير نقل عنه انها
دخلت عليه ابنة مروان بن محمد فقالت السلام عليك
يا امير المومنين فقال لست به فقالت السلام عليك
ايها الامير فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
فقالت ليسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى علي وجه الارض
منكم احد لانكم حاربتم علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ودفعتم حقه وشتمتم الحسن ونقضتم شرطه وقتلتم
الحسين وسبيتم اهله ولعنتم علي بن ابي طالب علي
منابركم وضربتم علي بن عبد الله ظلما ببساطكم فعدلنا
لا يبقي منكم احد قالت فليسعنا عفوكم قال اما هذا

فنعم وامر برد اسوالها وبالغ بالاحسان وكان معاوية
يعرف بالحلم وله فيه اخبار مشهورة وكان يقول اني
لانف ان يكون في الارض جهل لا يسعه حلمي وذنب لا
يسعه عفوي وحاجة لا يسعها جودي وهذه دعوة
عالية الرتبة وحكي عنه رحمة الله عليه لما ولي
الخلافة وانتظمت اليه الامور وامتلات منه الصدور
واذعن لامره الجمهور وساعفه في مراده القدر
والمقدور استحضر ليلة خواص اصحابه وذاكرهم
وقايع يوم صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من
المعروفين فانهمكوا في القول الصحيح والمريض وآل
حديثهم الى من كان يجتهد في ايقاد نار الحرب عليهم
بزيادة التحريض فقالوا ان امراة من اهل الكوفة تسمى
الزرقا بنت عدي كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف
وترفع صوتها صارخة باصحاب علي تسمعهم كلاما
كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل
والمدبر لاقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل
لاستقر فقال لهم معاوية ايكم يحفظ كلامها فقالوا
كلنا نحفظه فقال فما تشيرون علي فيها قالوا نشير
بقتلها فانها اهل لذلك فقال لهم معاوية بئس ما اشرتم
به وقبيحا لما قلتم ايحسن ان يشتهر عني انني بعد ما
ظفرت وقدرت اقتل امراة قد وفت لصاحبها اني اذا

للئيم لا والله لا فعلت ذلك ثم دعا بكاتبه وكتب كتابا
الى واليه بالكوفة ان اوفد الي الزرقا بنت عدي مع نفر
من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطيا
لينا ومركبا ذلولا فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها
واقراها الكتاب فقالت ما انا بزايغة عن الطاعة فحملها
في هودج وجعل غشاه خزا مبطنا ثم احسن صحبتها فلما
قدمت على معاوية قال لها مرحبا واهلا خير مقدم قدمه
وافد كيف حالك يا خاله وكيف رايت سيرك قالت خير مسير
قال تعلمين لما بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله قال
الست الراكبة الجمل الاحمر يوم صفين وانت بين الصفوف
توقدين نار الحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال
فما حملك على ذلك قالت يا امير المومنين قد شاب الراس
وبتر الذنب والدهر ذو عبر ومن تفكر ابصر والامر يحدث
بعد الامر قال فهل تحفظين كلامك قالت لا والله قال
لله ابوك لقد سمعتك تقولين ايها الناس ان المصباح
لا يضي في الشمس وان الكوكب لا يضي مع القمر وان
البغل لا يسبق الفرس ولا يقطع الحديد الا الحديد الا
من استرشدنا ارشدناه ومن سالنا اخبرناه وان الحق
يطلب ضالته فاصابها فصبرا يا معشر المهاجرين
والانصار وقد التام شمل الشتات وظهرت كلمة
العدل وغلب الحق باطله فانه لا يستوي المحق والمبطل

فمن

افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون
فالنزال النزال والصبر الصبر الا وان خضاب النسا
الحنا وخضاب الرجال الدما والصبر خير الامور عاقبة
ايها الى الحرب غير ناكصين فهذا يوم ماله بعد يا زرقا
اليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال
لقد شاركت عليا في كل دم سفكه فقالت احسن الله
بشارتك يا امير المؤمنين وادام سلامتك مثلك من
بشّر بخير وسرّ جليسه فقال وقد سرك ذلك قالت
نعم والله لقد سرني قولك واني بتصديقه فقال
معاوية والله لوفاكم بعد موته اعجب الي من حبكم له
في حياته فاذكري حوايجك تقضى قالت يا امير المؤمنين
اني آليت على نفسي ان لا اسال احدا بعد علي حاجة فقال
قد اشار علي بعض من عرفك بقتلك قالت لؤم من
المشير ولو اطعته لشركته قال كلا بل نعفو عنك
ونحسن اليك ونرعاك قالت كرم منك يا امير المؤمنين
ومثلك من قدر وعفى وتجاوز عمن اساء واعطى من غير
مسالة قال فاعطاها كسوة ودراهم واقطعها ضيعة
تغل لها في كل سنة عشرة الاف درهم واعادها الى
وطنها وكتب الى والي الكوفة بها وبعشيرتها ومما
يضارع هذه الحكاية ما رواه الامام الغزالي في كتابه
نصيحة الملوك انه كان بين يحيى بن خالد البرمكي

وبين عبد الله بن مالك الخزاعي عداوة في السر ما كان
يظهرانها وكان سبب العداوة بينهما ان هارون
الرشيد كان يحب عبد الله كثيرا بحيث كان يحيى بن خالد
البرمكي واولاده يقولون عبد الله يسحر امير المومنين
حتى مضى على ذلك زمان والحقد في قلوبهما فولى
الرشيد امارة ارمينية لعبد الله بن مالك الخزاعي وسيره
اليها ثم ان رجلا من اهل العراق كان له ادب وذكا وفطنة
فضاقت ما بيده وفنى ماله واختل حاله فزور كتابا عن يحيى
بن خالد البرمكي الى عبد الله بن مالك الخزاعي الى ارمينية
وسافر به الى عبد الله فحين وصل الى باب داره وسلم
الكتاب الى بعض حجابه فاخذ الحاجب الكتاب وسلمه الى عبد
الله بن مالك ففضه وقراه وتدبره وعلم انه مزور فحين
دخل الرجل وسلم عليه ودعا له فقال له عبد الله بن
مالك احتملت بعد المشقة وثقل المشقة وجيت بكتاب
مزور ولكن طب نفسا فاننا لا نخيب سعيك فقال
الرجل اطال الله بقا الامير ان كان قد ثقل من وصولي فلا
تحتج في صنعي بحجة فارض الله واسعة والرازق حي
متين والكتاب الذي اوصلته صحيح غير مزور فقال
عبد الله انا اعتمد فيك امرين وهما ان اكتب كتابا
الى وكيلي ببغداد وامره ان يسال عن حال هذا الكتاب
الذي اتيت به فان كان حقا اعطيتك امارة بعض

بلادي وان آثرت العطا اعطيتك مايتي ألف درهم
مع الفرس والنجيب والخلعة والتشريف وان كان كتابك
مزوراً امرت ان تضرب مايتي خشبة وان تحلق محاسنك
ثم امر عبد الله ان يحمل الى حجرة وان يجعل له فيها ما
يحتاج اليه وكتب كتاباً الى وكيله ببغداد انه وصل
الي رجل ومعه كتاب من يحيى بن خالد وانا سيي الظن
به في هذا الكتاب فيجب ان تتحقق الحال لنعلم صدقه
من كذبه وعرفني الجواب فلما وصل كتاب عبد الله الى
وكيله ومضى الى باب دار يحيى فوجده مع ندمائه ونحو اصحابه
فسلم الكتاب اليه فقراه يحيى بن خالد ثم قال للوكيل
عد الي من الغد لاكتب لك الجواب فالتفت الى ندمائه
وقال ماجزاء من يحمل عني كتاباً ويزورني خطاباً
الى عدوي فقال كل واحد من الندما شيئاً وجعل
كل انسان منهم يعد نوعاً من العقاب وجنساً من
العذاب فقال لهم يحيى لقد اخطأتم وهذا الذي
ذكرتموه من خسة الهمة ودناوتها وكلكم تعرفون
قرب عبد الله ودنو محله عند امير المؤمنين وتعلمون
ما بيني وبينه من البغض والآن فقد سبب الله تعالى
هذا الرجل وجعله متوسطاً في الصلح بيننا ووفقه
لذلك ليمحوا حقد عشرين سنة من قلوبنا ولتصلح
بواسطته شوننا وقد وجب علي ان افي لهذا الرجل

بتأميله واصدق ظنه واكتب له كتاباً الى عبد الله بن
مالك ليبالغ في اكرامه واعزازه واحترامه فلما سمعوا الندما
منه ذلك دعوا له بالخيرات وتعجبوا من كرمه وسمو همته
ثم انه طلب الكاغذ والدواة والقلم وكتب الى عبد الله
بخط يده بسم الله الرحمن الرحيم وصل كتابك اطال
الله بقاك ففضضته وقراته وسررت بسلامتك
وابتهجت باستقامتك وكان ظنك ان ذلك الرجل
الحر تزور عني كتاباً ولفق خطاباً وليس كذلك فان
الكتاب انا كتبته وعلى يدي انفذته وليس بمزور عني
واطلب من كرمك وحسن شيمك ان تفي لذلك الحر
الكريم بامله وقصده وتخصه بتمام الاحسان ووافر
الامتنان ومهما فعلته في حقه فانا المعتد به
والشاكر عليه ثم عنون الكتاب وختمه وسلمه الى
الوكيل الى عبد الله فحين قراه ابتهج واحضر الرجل
وقال اي الامرين اللذين ذكرتهما لك تختار ان افعل معك
فقال الرجل العطا احب الي فامر عبد الله بمايتي الف
درهم وعشرة افراس عربية خمسة منها بالمراكب
المحلاة وخمسة بالجلاول وعشرين تختاً من الثياب
وعشرة من المماليك ركاب الخيول وما يليق بذلك
من الجواهر وسيره في صحبة مامون الى بغداد فلما وصل
الى بغداد قصد باب يحيى بن خالد وطلب الاذن

فدخل

فدخل الحاجب علي يحيي وقال يا مولاي ببابنا رجل ظاهر
الحشمة جميل البزة حسن الحالة كثير الغلمان فأذن له
له بالدخول فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقال
يحيي ما اعرفك فقال له انا الرجل الذي كنت ميتا من
جور الزمان وغدر الحدثان فاحييتني انا الذي حملت
الكتاب المزور عنك الي عبد الله بن مالك فقال له يحيي
ما الذي فعل معك واي شي اعطاك ووهب لك فقال
من بركتك وهمتك وفضلك اعطاني واغناني وقد
حملت جميع عطيته وها هي ببابك والامر اليك والحكم
في يدك فقال له يحيي صنيعك معي اكثر من صنيعي
لك وعلي المنة العظيمة واليد الجسيمة اذ بدلت العداوة
التي كانت بيني وبين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة
وانت كنت في ذلك السبب وانا اهب لك من المال مثل
ما وهب لك ثم امر له من المال مثل ما اعطاه عبد الله
فانظر يا اخي الي هذا الحلم الواسع والخلق الحسن والكرم
السامي فلو تهور ذلك الرجل مع اناس خسيسين الطبع
ولئام الخلق ما كانوا يصنعون به لكنه لما كانت
همتهما سامية تهوروا قدم وخاطر مع رجلاوين
كرام الاخلاق طاهرين الاعراق فوصل بذلك التهور
الي مراده فانظر الي الرجلين المحتشمين الكريمين
والي سمو همتهما كيف عاملاه وبما قابلاه ولم يريا

في مروتهما عقوبته وعذابه ونال ببركتهما طلابته
وتخلص من شدة زمانه وضايقته وعاد ذا نعمة سنية
ورتبة علية وحصل بجميل الذكر وجزيل الاجر
وقيل كان لعبد الله بن الزبير ارض وله فيها عبيد يعملونها
والى جانبها ارض لمعاويه وفيها عبيد له يعمرونها
فدخل عبيد معاوية في ارض عبد الله بن الزبير فكتب
عبد الله كتابا الى معاوية يقول فيه اما بعد يا معاويه
فان عبيدك قد دخلوا في ارضي فانههم عن ذلك والا كان
لي ولك شان والسلام فلما وقف معاوية على كتابه
وقراه ودفعه الى ولده يزيد فلما قراه قال يا بني ما ترى
قال ارى ان تبعث له جيشا يكون اوله عنده واخره
عندك ياتونك براسه قال بل خير من ذلك يا بني واخذ
ورقة وكتب فيها جواب عبد الله بن الزبير قال قد وقفت
على كتاب حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم
وساءني ما ساءه والدنيا باسرها هينة عندي في حب
رضاه وقد كتبت على نفسي صكا بالارض والعبيد واشهدت
على نفسي بذلك فليستضفها مع عبيدها الى ارضه
والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية
كتب اليه وقفت على كتاب امير المومنين اطال الله بقاه
ولا اعدمه الراي الذي احله من قريش هذا المحل والسلام
فلما وقف على كتاب عبد الله وقراه ورماه الى ولده فلما

قراه

قراه اصفر وجهه فقال له ابوه يا بني من عفى ساد
ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال القلوب فاذا
بليت بشيء من هذه الادوا فداوه بمثال هذه الدوا ه
روي الاخفش وابو بكر بن مجاهد عن ابي حاتم
قال يروي عن معاوية انه خطب وقد منع الناس
عطاياهم فقال ان الله تعالى يقول في كتابه
المجيد وان من شيء الا عندنا خزاينه وما ننزله الا
بقدر معلوم فعلام تلومنني فقام اليه عدي بن
حاتم فقال يا معاويه لا نلومك على ما في خزاين الله
عز وجل ولكن نلومك على ما انزل الله تعالى لنا
من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه
بالابواب والاقفال وجلس روي عبد الله بن
عروة قال قعد معاوية للعطا فقام اليه ابو مسلم
الخولاني فقال له يا معاوية ليس من كدك ولا من
كد امك ولا من كد ابيك قال عبد الله فما رأينا
معاوية امتلا غيظا الا يومئذ فلم يتكلم بشيء
وقام عن مجلسه وقال لاصحابه كما انتم ثم تغيب
ساعة وخرج عليهم وقال ان ابا مسلم الخولاني
تكلم كلمة اغضبني فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان
خلق من النار وانما يطفي النار الماء فاذا غضب

أحدكم فليغتسل ثم أني دخلت واغتسلت وصدق
ابو مسلم انه ليس من كذبي ولا من كذا امتي فهلموا الى
عطاياكم يا معاشر الناس قال بعض الرواة كان
معاوية يقرب الاحنف بن قيس لكبره في قومه وفضله
في نفسه وشجاعته اذا التحم الحرب فلامه بني
امية على ذلك وقالوا هو الفاعل كذا يوم كذا
والضارب بالسيف مع علي في وجوهنا يوم كذا
حتى عدوا ايام كثيرة فاشترط معاوية على
الاحنف وسألوه ان يبعد مجلسه اذا دخل عليه
ويعدد له على ما فعل فلما دخل الاحنف على معاوية
قال يا احنف الست الفاعل يوم كذا كذا وكذا
الست الضارب بالسيف في وجوهنا مع علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه فبأي عين تنظر الينا وبأي
جرأة تدخل علينا وتدنو منا قال فتغير الاحنف
وقال يا معاوية ان القلوب الذي بغضناك به
في صدورنا والسيف الذي ضربناك به في جفنه
وان عدت عدنا وقام مغضبا ويده في قايم سيفه
قال فندم معاوية على صنعه فقال ما عليك بأس
يا ابا بحر لم ارد هذا وانما اردت ان اذكرك بعض
ما مضى من غير بأس وصاح يا غلام الخلع قال فخلع
عليه ووصله بثلاثين الف درهم فقال الاحنف

والله

والله يا معاويه ما رايت اصبح منك وجها ولا افصح منك لسانا ولا اندي بنانا ولا اجري جنانا ولا اجود نايلا قال فضحك معاوية وقال يا ابا بحر ما اسرع رضاك من غضبك فقال الاحنف يا امير المومنين من استغضب ولم يغضب فهو حمار ومن استرضي ولم يرض فهو شيطان وانا اعوذ بالله ان اكون شيطانا ولما دخل الفيل دمشق حشر الناس لرؤيته وصعد معاوية في مكان مرتفع ينظر اليه فبينما هو كذلك اذ نظر في بعض الحجر رجلا مع بعض حرمه فاتي الحجرة ودق الباب فلم يكن من فتح بد فوقعت عينه علي الرجل فقال له يا هذا في قصري وتحت جناحي تهتك حرمتي وانت في قبضتي ما حملك علي ذلك فبهت الرجل وقال حلمك اوقعني فقال له معاوية فان عفوتها عنك تسترها علي قال نعم فعفي عنه وهذا من الحلم الواسع ان يطلب العفو من الجاني ولكلشريف اليزيدي

اجرني علي الدهر فيما بقيت ، بقيت فيما قد مضي قد مضي
فلست ابالي بسخط الزمان ، وانت تراني بعين الرضي

وقال آخر

هبني تخطيت لي زلة ، ولم اكن اذنبت فيما مضي
اليس لي من بعدها حرمة ، توجب لي منك جميل الرضي

وللصابي في اشعار العفو

ومن الظلم ان يكون الرضى سر ، ويبدو الانكار وسط النادي
ومن العدل ان يشاع بهذا ، مثل ما شاع ذاك في الاشهاد
كي يسر الصديق بالعفو عني ، مثل ما سر بالنكير الاعادي

وقال بعض الحكما العفو ما كان عن قدرة ، وخير
الجود ما كان عن عسرة ، اذا عاملت فاسمح ، واذا عاقبت
فاصفح ، من حلم ، ما ندم ، احسن يحسن اليك ، وابق
يبق عليك ، راس الفضايل ، اصطناع الافاضل ، من
حسنت مساعيه ، طابت مراعيه ، اذا شرف الخلق
حسن النطق ، من غاظك بقبح الشتم منه ، غظه
بحسن الحلم عنه ، من حسن خلقه ، وجب حقه ،
ومن ساء خلقه ، ضاق رزقه ، من عاشر السخيف
سخف ، ومن تعفف عنه شرف ، من عفو المكارم عفو
المقتدر ، وجود المفتقر ، الكريم من تكرم قبل السؤال ،
ويحلم على الجهال وفيه يقول الشاعر

كريم لا تغيره الليالي ، ولا الايام عن خلق جديد
يزيد سماحة ويزيد مجدا ، ويصبح كل يوم في مزيد

وحكي عن جعفر الصادق رضي الله عنه ان غلاما له
وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام
في الطشت فطار الرشاش في وجهه فنظر اليه جعفر
نظر مغضب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ

قال

قال قد كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال قد
عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب
فانت حر لوجه الله وقد قال الشاعر في المعنى

اذا ذكرت اياديك التي سلفت ، مع قبح فعلي وزلاتي ومجترمي
اكاد اقتل نفسي ثم يدركني ، علمي بانك مجبول على الكرم

ورفع الى عبد الملك بن مروان ان اعرابيا يقال له
حمزة سرق وقامت عليه البينة فهم عبد الملك بقطع
يده فكتب اليه حمزة من السجن وهو يقول شعر

يدي يا امير المومنين اعيذها ، بعفوك ان تلقى مقاما يشينها
فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة ، اذا ما شمال فارقتها يمينها

قال فابى عبد الملك الا قطعه فدخلت عليه ام حمزة
وقالت يا امير المومنين بني وكاسبي وواحدي فقال لها
عبد الملك لبئس الكاسب لك وهذا حد من حدود الله
فقالت يا امير المومنين اجعله آخر ذنوبك الذي
تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلى
سبيله وغضب الرشيد على حميد الطوسي فدعا له
بالسيف والنطع فبكا فقال ما يبكيك فقال والله يا
امير المومنين ما افزع من الموت لانه لا بد منه وانما
بكيت اسفا على خروجي من الدنيا وامير المومنين ساخط
علي فضحك وعفى عنه وقال له الكريم اذا خادعته
انخدعا وامر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال له

اقبح بي اذا اقوم يوم القيمة الى صورتك هذه الحسنة
ووجهك هذا الذي يستضاء به فاتعلق باطرافك
واقول اي رب سل مصعبا لم قتلني فقال اطلقوه فقال
ايها الامير اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيش
قال قد وهبت لك مائة الف درهم وقال الشاعر
انا المذنب الخطاء والعفو واسع ، ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
قيل لما استقرت الخلافة لابي عبد الله المامون دعا
ابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكله فوقف بين
يديه قال انت الذي تدعي الخلافة فقال يا امير المؤمنين
انت الولي البار الحليم في القصاص والعفو اقرب
للتقوي وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي
ذنب دونك فان اخذت اخذت بحق وان عفوت عفوت
بفضلك ولقد حضرت ابي وهو جدك وقد اتي له رجل
كان جرمه اعظم من جرمي فامر بقتله وعنده المبارك
بن فضاله فقال ان راي امير المؤمنين ان يتاني في امر
هذا الرجل حتي احدثه بحديث سمعته قال ايه يا
مبارك قال حدثنا الحسن ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا كان يوم القيمة نادي منادٍ من بطنان
العرش الا ليقوم العادلون من الخلفا الى اكرم الجزا
ولا يقوم الا من عفي فقال الخليفة ايه يا مبارك
فقد قبلت الحديث وعفوت عنه اخرج ايها الرجل فان

سبيل

55

سبيل لاحد عليك واطلقه فقال المأمون وانا ايضا قد قبلت الحديث وعفوت عنك وعما بدا منك يا عم الي هاهنا وقربه وادناه واجلسه الي جانبه مقام اخر له ايضا قيل لما ظفر المامون بابراهيم بن المهدي فقال له المامون اني شاورت في امرك ارباب دولتي فاشاروا بقتلك واني وجدت قدرك فوق ذنبك وكرهت القتل للواجب من حرمتك فقال ابراهيم يا امير المومنين لقد نصح المشير لما جرت به العادة والسياسة الا انك ابيت ان تطلب النصر الا من حيث عودته من العفو فان عاقبت او عفيت فلا نظير لك لان جرمي اعظم من ان انطق فيه بالمعذرة وعفو امير المومنين اجل من ان يستغني به الشكر فقال المامون ذهب الحقد ثم التفت المامون الي اصحابه وانشد يقول هذا الشعر

اي شي من الجناية ابقي من اعتذر
قد محي العذر ما مضي وحوي الجود من غفر

وقد قال الشاعر

ذنبي اليك عظيم ، وانت اعظم منه
فخذ بحقك اولي ، فاصفح بفضلك عنه

وقال اخر

وما قابلت عفوك باعتذاري ، ولكني اقول كما يقول

ساطرق باب عفوك باعتذاري ، ويحكم بيننا الخلق الجميل

أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل مذنب فقال له يا أمير المؤمنين انك اعز ما تكون في نفسك أحوج ما تكون الى ربك فاعفو عني له فانك به تعان واليه تعود فعفي عنه ويقال ان بعض الملوك قبض على قوم من أعدائه فحبسهم وبالغ في تعذيبهم فكتب اليه بعضهم بهذه الابيات وقال

دعاك الذي استرعاك امر عباده ، وكافاك عنا المنعم المتفضل
تعاقب تاديبا وتعفو تطوّلا ، وتجزي على الحسنى فتعطي وتجزل

فلما قراها ادركته الخشية فاطلقهم واحسن اليهم

الباب السادس في الكرم للاجنبي والخدم

وقد افتتحت اخبار الكرام بكرم نبينا عليه الصلاة والسلام وهو ما رواه اهل السير والمحدثون الثقات بسنده الى ابي جرول زهير بن صرد الجشمي يقول لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هوازن وذهب يفرق السبي انشدته شعرا وأجاد

امنن علينا رسول الله في كرم ، فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ، مفرق شملها في دهرها غير
ابقت لها الحرب هتافا على حزن ، على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركها نعما تنشرها ، يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ، واذ يزينك ما تاتي وما تذر

انا لنشكر للنعما اذا كفرت ، وعندنا بعد هذا اليوم مدّخر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ، عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه ، من امهاتك ان العفو مشتهر
انا نؤمّل عفوا منك تلبسه ، هذي البرية ان تعفو وتنتصر
عفوا عفى الله عما انت واهبه ، يوم القيمة اذ يهدي لك الظفر
قال فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال
ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقالت قريش
ما كان لنا فهو لله عز وجل ولرسوله وقالت الانصار
ما كان لنا فهو لله تبارك وتعالى ولرسوله صلى
الله عليه وسلم فاطلقهم جميعا باموالهم وما معهم
وفي رواية اخرى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن
جده قال كان مع النبي صلى الله عليه وسلم بحنين فلما
اصاب من هوازن ما اصاب من اموالهم وسبايا هم
ادركته هوازن بالجعرانة وقد اسلموا فقالوا يا رسول
الله لنا اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف
عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول
الله انما في الحضاير من النساء خالاتك وعماتك
وحواضنك اللاتي يكفلنك ولو انا اصابنا ابن ابي
شمر والنعمان بن المنذر ثم اصابنا منهما مثل
الذي اصابنا منك رجونا عايدتهما وعطفهما وانت
خير المكفولين ثم انشد الابيات المذكورة وهذا القدر

كاف من ذكر مكارمه صلى الله عليه وسلم اذ لا يمكن
حصرها وانما ذكرنا تبركا به صلى الله عليه وسلم
اعلم ان الجود بذل المال وانفعه ما صرف في وجه
استحقاقه وقد ندب الله تعالى اليه في قوله تعالى
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وفي الحديث
الخلق عيال الله فاحب الخلق الى الله انفعهم لعياله

كما قال الشاعر

الناس كلهم ، عيال الله تحت ظلاله
فاحبهم طرا اليه ، ابرهم لعياله

وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم كريم قوم
فاكرموه وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلبي
انت متلاف قال يا امير المؤمنين منع الجود سوء الظن
بالمعبود يقول الله تبارك وتعالى وما انفقتم من شيء
فهو يخلفه وهو خير الرازقين قيل ان الجود والسخا
والايثار بمعنى واحد وقيل من اعطى البعض وامسك
البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب
جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقي هو في مقاساة
الضرر فهو صاحب ايثار واصل السخا هو السماحة
وقد يكون المعطي بخيلا اذا صعب عليه البذل والممسك
سخيا اذا كان لا يستصعب السخا فمن الايثار ما
حكي حذيفة العدوي انه قال انطلقت يوم اليرموك

اطلب

57

اطلب ابن عم لي في القتلى ومعي شي من الما وانا اقول
ان كان به رمق سقيته فاذا انا به بين القتلى فقلت
له اسقيك فاشار الي ان نعم فسمع آخر يقول آه فاشار
الي ان انطلق اليه فجيته فاذا هو هشام بن العاص
فقلت اسقيك فاشار الي ان نعم فسمع آخر يقول
آه فاشار الي ان انطلق اليه فجيته فاذا هو قد
مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت
الى ابن عمي فاذا هو قد مات ومن عجايب ما ذكر في
الايثار ما حكاه ابو محمد الازدي قال لما احترق
المسجد بمصر ظن المسلمون ان النصارى احرقوه
فاحرقوا خانا لهم فقبض السلطان جماعة من الذين
احرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل
ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به بما فيها
فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله
ما كنت ابالي لولا ام لي وكان بجنبه بعض الفتيان
فقال في رقعتي الجلد وليست لي ام فخذ رقعتي واعطني
رقعتك ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا قال
بعض الحكما اصل المحاسن كلها الكرم واصل
الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاها بما ملكت
على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاوزوا عن

عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال لا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وقال بعض السلف منع الجود ظن بالمعبود وتلا وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفاً وقال اكثم بن صيفي صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد له متكا وقيل للحسن بن سهل لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ووجد مكتوب على حجر انتهزوا الفرص عند امكانها ولا تحمل على نفسك هم ما لم ياتك واعلم ان تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته وقال الشاعر في المعنى

اذا كنت جماعاً لمالك ممسكا ، فانت عليه خازن وامين
تؤديه مذموماً الى غير حامد ، فياكله عفواً وانت دفين

وقال آخر

اذا كنت في امر فكن فيه محسناً ، فعما قليل انت ماض وتاركه
فكم دحت الايام ارباب دولة ، وقد ملكوا اضعاف ما انت مالكه

وقال آخر

قد يجمع المال غير آكله ، ويأكل المال غير من جمعه

ويقطع الثوب غير لابسه ، ويلبس الثوب غير من قطعه

وقال علي كرم الله وجهه ما جمعت المال فوق قوتك فانما انت فيه خازن لغيرك **وقال بعض الحكما** من بسط يده بالانعام ، صان نعمته على الدوام ، من ليس له احسان ، ليس له اخوان ، خير المال ما استرق به حر ، وخير المال ما استحق به شكر ، ابعد الهمم ، اقربها من الكرم ، من بسط يده بالانعام صان نعمته ، وزادت في الانام دولته ، من حسنت مساعيه ، طابت مراعيه ، من حسن الاختيار ، الاحسان الى الاخيار ، من اعز درهمه ، اذل نفسه ، احلا النوال ، ما وصل قبل السوال ، من تمام الكرم اتمام النعم ، من منع العطا ، منع الثنا ، من منع الاحسان ، سلب الامكان ، من بخل بماله ، بخل بسواله ، من جاور الكرام امن الاعدام ، ومن جاور اللئام ، فقد الانعام ، من رجع في هبته ، بالغ في خسته ، من بخل على نفسه بخير ، لم يجد به على غيره ، من بسط يده بالعطا ، استنبط لسان الثنا ، من هان عليه المال ، توجهت اليه الامال ، من بذل ماله استحمد ، ومن بذل جاهه استعبد ، من جاد بماله جل ، ومن جاد بعرضه ذل ، خير المال ما قضي به اللوازم ، وبني به المكارم ، خير المال ما اخذ من الحلال ، وصرف

في مصالح الاعمال، شر المال ما اكتسب من الحرام، وصرف
في الاثام، من افضل المكارم عفو المقتدر، وجود المفتقر،
الجواد من لم يكن جوده لدفع الاعدا، وطلب الجزا، جود الرجل
يحببه الى اضداده، وبخله يبغضه الى اولاده، من نسي
برّه، طوى شكره، ومن نشر برّه، حوى شكره، لا تسي الى
من احسن اليك، ولا تعن على من انعم عليك، فمن اسا الى
المحسن منع الاحسان، ومن اعان على المنعم منع الامكان،
ما احسن الجود عند الافتقار، وما احسن العفو عند
الاقتدار، ما اقبح البخل مع اليسار، وما اقبح العقوبة
مع الاعتذار، ما اقبح من منع الاحسان، مع حسن الامكان،
من عادة الكرام الجود، ومن عادة اللئام الجحود، احسن
الى من كان له قدمة في الاصل، وسابقة في الفضل،
فان الدنيا تجبر كما تكسر، والدولة تقبل كما تدبر،
فمن زرع خيرا، حصد اجرا، ومن اصطنع معروفا،
استفاد شكرا، وقال النعمان بن المنذر لجلسائه
من افضل الناس عيشا وانعمهم مالا واكرمهم طباعا
واجلهم في النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى
فقال ابيت اللعن افضل الناس من عاش الناس في
فضله فقال صدقت وكان مورق العجلي يتلطف
في ادخال السرور والرفق على اخوانه فيضع عند
احدهم البدرة ويقول امسكها حتى اعود اليك

ثم

ثمّ يرسل يقول له انت منها في حلّ وقال الحسن باع
طلحة بن سليمان ارضاً بسبع مائة الف فلمّا جاءه
قال ان رجلاً يبيت هذا عنده لا يدري ما يطرقه لَلتغرير
بالله تعالى ثمّ قسمه في المسلمين ولمّا دخل المنكدر
على عايشة رضي الله عنها قال لها يا امّ المومنين
اصابتني فاقة فقالت ما عندي فلو كان عندي
عشرة الاف درهم لبعثت بها اليك فلمّا خرج من عندها
جاءتها عشرة الاف من عند خالد بن اسيد فارسلت
بها في اثره فدخل السوق فاشترى جارية بالف درهم
فولدت له ثلاثة اولاد كانوا عبّاد اهل المدينة محمّد
وابو بكر وعمر بنو المنكدر واكرم العرب في الاسلام طلحة
بن عبيد الله رضي الله عنه جاء رجل فسأله برحم بينه
وبينه فقال هذا حايطي بمكان كذا وكذا وقد اعطيت
فيه مائة الف درهم يراح اليّ بالمال العشيّة فان شئت
فالمال وان شئت فالحايط وقال زياد بن جرير
رايت طلحة بن عبيد الله فرّق مائة الف في مجلس وانّه
ليخيط ازاره بيده وذكر الامام ابو المعالي في
كتابه الامالي انّ رجلاً جاء الى معاوية رضي الله
عنه فقال له سألتك بالرحم التي بيني وبينك الّا
ما قضيت حاجتي فقال له معاوية امن قريش انت
قال لا قال فايّ رحم بيني وبينك قال رحم آدم

قال رحم بجفوة والله لاكونن اول من وصلها ثم قضى
حاجته **وروي** ان الاشعث بن قيس ارسل الى عدي
ابن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فملاها
مالا وبعثها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة **وسال**
معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الكرم فقال هو
التبرع بالمعروف قبل السؤال والرافة بالسائل مع
البذل **وقدم** رجل من قريش من سفر فمر على رجل من
الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر
به المرض فقال له يا هذا اعنا على الدهر فقال لغلامه
ما بقي معك من النفقة فادفعه اليه فصب في
حجره اربعة الاف درهم فذهب ليقوم فلم يقدر من
الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت
ما دفعنا لك قال لا والله ولكن ذكرت ما تاكل الارض
من كرمك فابكاني **وروي** ان عبد الله ابن ابي بكر
وكان احد الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى
من منزل امراة فاخرجت كوزا وقامت خلف الباب
وقالت تنحوا عن الباب ليأخذه بعض غلمانكم فاني
امراة من العرب مات خادمي منذ ايام فشرب عبد
الله الماء وقال يا غلام احمل اليها عشرة الاف درهم
فقالت سبحان الله اتسخر بي فقال يا غلام احمل اليها
عشرين الفا فقالت اسال الله العافية فقال يا

غلام

فلازم احمل اليها ثلاثين الفا فما امست حتى كثر خطابها
وكان رضي الله عنه ينفق على اربعين دارا من جيرانه
عن يمينه واربعين عن يساره واربعين امامه واربعين
خلفه ويبعث اليهم الاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق
في كل عيد ماية مملوك رضي الله عنه **ولما** مرض
قيس بن سعد بن عبادة استبطا اخوانه في العيادة فسال
عنهم فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين
فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر
مناديا ينادي من كان لقيس عنده مال فهو منه في
حل فكسرت عتبته بالعشي لكثرة العواد **وكان**
عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه
اخبار يكاد سامعها ان ينكرها لبعدها عن المعهود
وكان معاوية يعطيه ماية الف الف درهم في كل سنة
فيفرقها في الناس ولا يرى الا وعليه دين **وخرج** رضي الله
عنه هو والحسنان وابو حبة الانصاري رضي الله
عنهم من مكة الى المدينة فاصابتهم السماء
بالمطر فلجاوا الى خباء اعرابي فاقاموا عنده ثلاثة ايام
حتى سكنت السماء فذبح لهم الاعرابي شاة فلما ارتحلوا
قال عبد الله للاعرابي ان قدمت على المدينة فسل عنا
فاحتاج الاعرابي بعد سنين فقالت له امراته لو
اتيت المدينة فلقيت اولئك الفتيان فقال قد نسيت

اسماءهم فقالت سل عن ابن الطيان فاتى المدينة فلقي
سيدنا الحسن رضي الله عنه فامر له بماية ناقة بفحولها
ودعاتها ثم اتى الحسين رضي الله عنه فقال كفانا ابو محمد
مونة الابل فامر له بالف شاة ثم اتى عبد الله رضي الله
عنه فقال كفاني اخواني الابل والشياه فامر له بماية الف
درهم ثم اتى اباحية رضي الله عنه فقال والله ما عندي
مثل ما اعطوك ولكن ائتيني بابلك فاوقرها لك تمرا فلم
يزل اليسار في عقب الاعرابي من ذلك اليوم وقال
الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر يوما انك قد اسرفت
في بذل المال فقال بابي انتما ان الله عز وجل عودني ان
يتفضل علي وعودته ان اتفضل على عباده فاخاف ان اقطع
العاده فيقطع عني الماده وامتدحه نصيب فامر له
بخيل واثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل امثل هذا الاسود
يعطى هذا المال فقال ان كان هو اسود فشعره ابيض ولقد
استحق بما قال اكثر مما نال وهل اعطيناه الا مالا يفني
وثيابا تبلى واعطانا مدحا يروى وثناء يبقى وكان
سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من الاجواد
اتاه رجل وهو بفنا داره فقام بين يديه فقال يا ابن
عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه
بصره فلم يعرفه فقال ما يدك فقال رايتك واقفا
بزمزم وغلامك يمتح من مايها والشمس قد

طهرتك

ظهرتك فظللتك بطرف كسائي حتى شربت فقال
اجل إني لأذكر ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا
دينار وعشرة آلاف درهم قال فادفعها إليه وما أراها
تفي بحق يدك وحبس معاوية عن الحسين بن علي رضي الله
عنهما صلاته فقيل له لو وجهت إلى ابن عمك عبد
الله بن عباس فإنه قد قدم بنحو ألف ألف درهم من عند
معاوية فقال الحسين واين تقع ألف ألف من عبد الله
فوالله لهو أجود من الريح إذا عصفت وأسخى من البحر
إذا زخر ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه
حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله وأنه يحتاج
إلى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه اغضلت
عيناه وقال ويلك يا معاوية أصبحت لين المهاد رفيع
العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم
قال لوكيله احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من ذهب
وفضة ودابة وأخبره أني شاطرته فإن قنع به وإلا
احمل إليه النصف الآخر فلما أتاه الرسول قال إنا لله
وإنا إليه راجعون ثقلت والله على ابن عمي وما حسبته
أنه يسمح لنا بهذا كله رضي الله عنهم وقدم عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما على معاوية فأهدى إليه
من هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب
وفضة ووجهها إليه مع حاجبه فلما وضعها

منه صح

بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال لها في
نفسك منها شيء فقال نعم والله ان في نفسي ما كان
في نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام فضحك
عبد الله وقال خذها فهي لك فقال جعلت فداك
اخاف ان يبلغ ذلك معاوية فيجد علي قال فاختمها
بخاتمك وادفعها الى الخازن فاذا كان وقت خروجنا
حملها اليك ليلا فقال الحاجب والله لهذه الجبلة
في الكرم اكثر من الكرم وجاءه رجل من الانصار
فقال يا ابن عم محمد انني ولد لي في هذه الليلة مولود
وانني سميته باسمك تبركا وان امه ماتت فقال
بارك الله لك في الهبة واجرك على المصيبة ثم دعا
بوكيله فقال انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية
تحضنه وادفع اليه مايتي دينار لينفقها على ولده
لتربيته ثم قال للانصاري عد الينا بعد ايام فانك
جئتنا وفي العيش يبس وفي المال قلة فقال الانصاري
جعلت فداك لو سبقت حاتما بيوم ما ذكرته العرب
وقال ابو جهم بن حذيفة يوما لمعاوية نحن
عندك يا امير المومنين كما قال المسيح بن عبد
كلال شعرا

يقينا ما نخاف وان ظننا ، به خيرا اراناه يقينا
نميل الى جوانبه كانا ، اذا ملنا نميل على ابينا

نقلبه لنخبر حالتيه ، فنخبر منهما كرما ولينا

فامر له بماية الف درهم وانشد عبد الله بن الزبير

بلوت الناس قرنا بعد قرن ، فلم ار غير ختال وقال

ولم ار في الخطوب اشد وقعا ، واصعب من معاداة الرجال

وذقت مرارة الاشياء طرا ، فما شيء امر من السوال

فاعطاه ماية الف درهم ودخل عليه الحسن يوما

وهو مضطجع علي سريره فسلم عليه واقعده عند رجليه

وقال له الا تعجب من قول ام المومنين عايشة تزعم اني

لست للخلافة اهلا ولا لها موضعا فقال له الحسن

واعجبا ما قالت قال كل العجب قال الحسن اعجب من هذا

جلوسي عند رجليك فاستحي معاوية واستوي جالسا

ثم قال اقسمت عليك يا ابا محمد الا ما اخبرتني كم عليك

من دين قال ماية الف درهم قال يا غلام اعط ابا محمد

ثلثماية الف درهم ماية الف يقضي بها دينه وماية

الف يفرقها علي مواليه وماية الف يستعين بها علي

نوايبه وسوغها اليه الساعة وكان معن بن

زايدة من الاجواد وكان عاملا علي العراق بالبصرة فحضر

بابه شاعر فاقام مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيا

له ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان

فعرفني فلما دخل اعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا علي

خشبة والقاه في الماء الذي يدخل البستان وكان

معن جالساً على القناه فلما رأى الخشبة اخذها
وقراها فاذا مكتوب فيها بيت شعر وهو هذا
ايا جود معن ناج معناً بحاجتي ، فليس الى معن سواك رسول
فقال من الرجل صاحب هذه فاتي به اليه فقال كيف قلت
فانشده البيت فامر له بعشر بدور فاخذها وانصرف
ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم
الثاني اخرجها من تحت البساط فنظر فيها ودعى
بالرجل فامر له بمائة الف درهم فلما كان في اليوم
الثالث فعل معه مثل ذلك فتفكر الرجل وخاف ان
ياخذ منه ما اعطاه فخرج من البلد بما معه فلما كان
في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد فقال معن والله
لقد ساء الظن ولقد هممت ان اعطيه حتى لا يبقى في
مالي درهم ولا دينار الا اعطيته وفيه يقول القايل
يقولون معن لا زكاة لماله ، وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم تجد في دياره ، من المال الا ذكره وجمايله
تراه اذا ما جيته متهللاً ، كانك تعطيه الذي انت سايله
تعود بسط الكف حتى لو انه ، اراد انقباضاً لم تطعه اناملة
فلو ان ما في كفه غير نفسه ، لجاد بها فليتق الله سايله
ومن قول معن
دعيني انهب الاموال حتى ، اعف الاكرمين عن اللئام
وقال آخر

ذريني

63

ذريني فان البخل يا ام مالك، لصالح اخلاق الرجال سروق
لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها، ولكن اخلاق الرجال تضيق

وكان يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله اخبار في الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن ابي طالب قال لما اراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط اتيته فقلت ايها الامير اذا اردت ان تاذن لي فاصحبك قال اذا قدمت واسطا فاتنا ان شاء الله فسافر واقمت فقالوا الي اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعيف قالوا وتريد من يزيد جوابا اكثر مما قال قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت الى المسامرة معه فتحدث القوم حتى ذكروا الجواري فالتفت الي يزيد وقال ايه يا عقيل فقلت

افاض القوم من ذكر الجواري، واما الاعزبون فلن يقولوا

فقال انك لن تبقي عذبا فلما رجعت الى منزلي واذا بخادم قد اتاني ومعه جارية وبدرة عشرة الاف درهم وفرش بيت وفي الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وانا على هذه الحالة فلما رايت ذلك دخلت في العاشر فقلت ايها الامير والله قد اغنيت واقنيت فان رايت ان تاذن لي في الرجوع فاكبت عدوي واسر صديقي فقال انما اخيرك بين خلتين اما ان تقيم فنوليك او ترحل فنغنيك فقلت او لم تغنني ايها الامير

قال انما هذا المنزل ومصلحة القدوم فالذي من
فضله مالا اقدر على وصفه وحدث ابو اليقظان
عن ابيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق
شعره فجاءه بحلاق فحلق راسه فامر له بخمسة الاف
درهم فتحير الحلاق ودهش وقال هذه الالاف اليت
امضي الى ام فلان اخبرها انني قد استغنيت فقال
اعطوه خمسة الاف اخرى فقال امراته طالق ان حلق
احد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه في خراج وجب
عليه مقداره ماية الف درهم فجمعت له وجاء الفرزدق
يزوره في السجن فقال للحاجب استاذن لي عليه فقال
انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق
انما اتيت متوجعا لما هو فيه ولم ات ممتدحا فاذن
له فلما ابصره انشد وقال

ابا خالد ضاقت خراسان بعدكم، وقال ذوو الحاجات اين يزيد
فما قطرت بالشرق بعدك قطرة، ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما لسرور بعد عزك بهجة، وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه الماية الف التي جمعت
لنا ودع الحجاج ولحمي يعمل فيه ما يشا فقال الحاجب
للفرزدق انما منعتك يا هذا لما انا خفت من دخولك
ثم دفعها اليه فاخذها وانصرف وقال مروان
ابن ابي الجنوب الشاعر امر لي المتوكل بماية وعشرين

الف

64

الفاً وخمسين ثوباً وزواحل كثيرة فقلت أبياتاً في شكره
فلمّا بلغت قولي من الشعر

فامسك نداكفيك عني ولا تزد ، فقد خفت أن اطغى وان اتجبّرا

فقال والله لا امسك حتى اغرقك بجودي وأمر له بضياع
يقوم بالف الف ومرّ يزيد بن المهلّب عند خروجه
من سجن عمر بن عبد العزيز باعرابية فذبحت له عنزاً
فقال لابنه معاوية ما معك من النفقة قال مائة
دينار قال ادفعها اليها قال هذه يرضيها اليسير وهي لا
تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فانا لا ارضى الا بالكثير
وان كانت لا تعرفني فانا اعرف نفسي وباع عبد الله بن
عتبة بن مسعود ارضاً بثمانين الفاً فقيل له لو اتّخذت
لولدك من هذا المال ذخراً فقال اجعله ذخراً لي واجعل
الله ذخراً لولدي وقسمه بين ذوي الحاجات وقال
المهلب عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري
الاحرار بفعاله وقال العتبي أشرف عمرو بن هبيرة
يوماً من قصره فاذا هو باعرابي يرقل قلوصته فقال
لحاجبه اذا ارادني هذا فاوصله اليّ فلمّا وصل الاعرابي
ساله الحاجب فقال قصدت الامير فدخل به اليه فلمّا
مثل بين يديه قال له ما حاجتك فقال الاعرابي

اصلحك الله قلّ ما بيدي ، ولا اطيق العيال اذ كثروا

اناخ دهر علي كلكله ، فارسلوني اليك وانتظروا

فجعل عمرو يهتز في مجلسه ثم قال ارسلوك اليّ وانتظروا
اذاً والله لا تجلس حتى ترجع اليهم قايماً ثم امر له بالف
دينار **حكاية** يقال ان يحيى بن خالد البرمكي خرج من
دار الخلافة راكباً الى داره فراي على باب الدار رجلاً
فلما قرب منه يحيى نهض قايماً وسلم عليه وقال يا ابا
يحيى انا محتاج الى ما في يدك وقد جعلت وسيلتي اليك
فامر يحيى ان يفرد له موضع في داره وان يحمل اليه في
كل يوم الف درهم وان يكون طعامه من خاص
طعامه فبقي على ذلك شهراً كاملاً فلما انقضى الشهر
كان قد وصل اليه ثلاثون الف درهم فاخذ الرجل الدراهم
وانصرف فقيل ليحيى فقال والله لو اقام عندي مدة عمره
وطول دهره فما منعته صلتي ولا قطعت عنه ضيافتي
وقال سعيد بن سالم الباهلي اشتدت بي الحال
في زمن هارون الرشيد فاجتمع عليّ ديون اعجزني
قضاؤها وعسر عليّ اداؤها فاحتشد بباب داري
ارباب الديون وتزاحم المطالبون ولازمني الغرما
وانكفوا عني الندما فضاقت حيلتي وزادت فكرتي
فقصدت عبد الله بن مالك الخزاعي والتمست منه ان
يمدني برايه ويرشدني الى باب الفرج فقال عبد الله
لا يقدر احد على خلاصك من محنتك وهمك وضايقتك
وغمك سوى البرامكة فقلت ومن يقدر على احتمال

تكلفتهم

تكبرّهم والصبر على تيههم فقال تحتمل ذلك لمصلحة
احوالك فنهضت ومضيت الى الفضل وجعفر ابني
يحيى بن خالد وقصصت عليهما قصتي وابديت لهما
صفحتي فقالا اعانك الله واقام لك بالكفاية فعدت
الى عبد الله بن مالك ضيّق الصدر منقسم الفكر منكسر
القلب واعدت عليه ما قالاه فقال يجب ان تكون
اليوم عندنا ننتظر ما يقدّر الله فجلست عنده ساعة
واذا غلامي قد اقبل وقال ما ببابنا ابغال باحمالها
ومعها رجل يقول انا وكيل الفضل وجعفر
فقال عبد الله ارجو ان يكون قد جاء الفرج فقم وانظر
ما الشأن فنهضت واسرعت عدواً فرايت ببابي رجلاً
ومعه رقعة فيها مكتوب انك لما عدت من عندنا
مضيت الى الخليفة وعرّفته ما قد افضت بك الحال
اليه فامرني ان احمل اليك من بيت المال الف الف درهم
فقلت له هذه الدراهم يصرفها الى غرمائه فمن اين
يقيم وجوه نفقاته فامر بثمانية الف درهم اخرى
وقد حملت من خاصتي الف الف درهم فصارت الجملة
الفي الف درهم وثمانية الف درهم لتصلح بها احوالك
وحكي عن مسرور الكبير قال استدعاني المامون يوماً
فقال قد اكثر اصحاب الاخبار بان شيخاً ياتي خرائب البرامكة
فيبكي كثيراً ويرثيهم بشعر وينصرف فاركب انت ودينار

بن عبد الله واستتر بالجدار فاذا جاء الشيخ فامهلاه
حتى تشاهدا ما يفعل وتسمعا ما يقول فاقبضا عليه
واتياني به قال مسرور فركبت انا ودينار متلبسين
فاتينا الموضع وابعدنا الدواب واختفينا فيه واذا بغلام
اسود قد اقبل ومعه كرسي جديد وجاء على اثره كهل فجلس
على الكرسي وتلفت يمينا وشمالا وبكى بانتحاب وانشا

يقول

ولما رايت السيف جلّل جعفرا ، ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وايقنت انه ، قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا

فلما ان اراد القيام نهضنا فقبضنا عليه فقال من
انتما فقلت هذا دينار وانا مسرور خادم امير المومنين
نطلبك فمشى معنا ثم قال لنا قد علمت انه قاتلي فامهلوني
حتى اوصي فقلت شانك وما تريد فسار ونحن معه حتى
اتى بعض الدكاكين فاستدعى بدواة وقرطاس وكتب
فيها وصيته ودفعها الى الخادم الذي كان معه وسار
معنا حتى ادخلته على المامون فقال له من انت وبم استحق
البرامكة منك هذا فقال غير محتشم يا امير المومنين
ان للبرامكة عندي ايادٍ خضرة فان اذن امير المومنين
حدثته باحدها فقال هات فقال انا المنذر بن المغيرة
الدمشقي من ذوي الحسب كنت في نعمة كبيرة وزالت عني
كما تزول نعم الناس حتى افضيت الى بيع منزلي فاشير

علي

عليّ بقصد البرمكة فخرجت الى بغداد ومعي نيف
وعشرون امرأة وصبية وصبيان اهلي فدخلت
بهم مدينة السلام وانزلتهم في مسجد ثم عمدت
الى ثويبات كنت اعددتها للقاء الناس فلبستها وسلكت
الطريق لا ادري اين اقصد وتركت عيالي جياعا لا
نفقة عندهم ولا معهم ما يباع فافضيت الى مسجد
مزخرف فيه جمع شيوخ باجمل زيّ واحسن هيئة
فطمعت في مخاطبتهم فقصدت وجلست معهم
وجعلت اردد في نفسي كلاما اخاطبهم به
فيخجلني ذل المسألة ويحتشمني عن الكلام اذ لم تكن
لي عادة بالخوض في مثل ذلك فانا كذلك اذ جاء خادم
فاستدعى القوم فقاموا وقمت معهم فادخلوا دارا
ذات دهليز طويل فدخلت معهم وافضى الى مجلس
واسع واذا يحيى بن خالد فيه على دكة في صحن الدار
في وسط بستان وقد نصب عليها كراسي فاقبل
القوم فجلست معهم وتامل الخدم القوم فاذا نحن
مائة رجل ورجل فغابوا ثم خرج مائة خادم وخادم
في يد كل واحد منهم مجمرة من ذهب فيها قطعة
عنبر والخدم باحسن اللباس بالمناطق الذهب المرصعة
بالدر والجوهر وهم يطيفون بغلام حين اخضر شاربه
حسن الوجه فسجروا العنبر واقبل يحيى على الدريقي

القاضي فقال زوّج ابن عمّي هذا بابنتي عايشة فخطب
وعقد النكاح واخذنا النثار من فتات المسك وبنادق
العنبر فالتقط الناس والتقطت ثمّ جاء مائة خادم
وخادم في يد كلّ واحد منهم صينيّة فيها الف
دينار مخلوطة بالمسك فوضع بين يدي كلّ واحد منّا
صينيّة فاقبل الجماعة يكوّرون الدنانير والطيب في
اكمامهم وياخذون الصواني تحت اباطهم وينصرفون
حتّى بقيت وحدي لا اجسر على اخذ الصينيّة ولاسف
والحاجة يمنعاني ان اقوم وادعها وانا مطرق حتّى
ضاق صدري فغمزني بعض الغلمان على اخذها والقيام
فاخذتها وقمت وانا لا اصدّق وجعلت امشي والتفت
خوفا ان يتبعني من ياخذها منّي ويجيء مع هذا بلا حظني
فلمّا قاربت الستر رددت فايست من الصينيّة وما كان
فيها وجيت وهي معي حتّى قربت منه فامرني بالجلوس
فجلست فسالني عن حالي ومن انا فصدّقته حتّى بلغت
الى حديث ترك عيالي في المسجد فبكى ثمّ قال على بموسى
فجاء فقال يا بنيّ هذا امرؤ ولاد النعم قد رمته الايّام
بصروفها فخذه واخلطه بنفسك فاخذني موسى
الى داره فخلع على من افخر ثيابه وامر بحفظي ومضى على
ذلك يوم وليلة ثمّ استدعا اخاه العبّاس وقال له ان
الوزير سلّم الى هذا الفتى وامرني فيه بكذا وكذا واريد

الركوب

الركوب الى دار امير المومنين فليكن عندك حتى اعود قال
فاخذني العباس فكان يومي عنده مثل يومي عند اخيه
وجعلوا يتداولوني واحد بعد واحد وانا قلق بامر
عيالي الا اني لا اذكر ذلك اجلالا لهم فلما كان في اليوم
العاشر ادخلت على الفضل بن يحيى فاقمت في داره يومي
وليلتي فلما اصبحت جاءني خادم من خدمه فقال يا
هذا قم الى عيالك وصبيانك فقلت انا لله احرم الصينية
ولا يحصل لي الا الاكل والشرب فليت هذا كان
من اول يوم وكيف اتوصل الان الى يحيى وتلاعبت بي
الافكار وقمت اجر رجلي والخادم بين يدي حتى
ادخلني الى دار كان الشمس تطلع من جوانبها وفيها من
صنوف الفرش والالات ما يصلح لمثلها فلما توسطتها
اذا بعيالي يمشون في الديباج وقد حمل اليهم ماية الف
درهم وعشرة الاف دينار وسلم الي الخادم صك
ضيعتين جليلتين وقال هذه الدار بما فيها والضياع
بغلاتها لك فاقمت مع البرامكة في اخفض عيش حتى
نزلت بهم النازلة فانا اعيش في فضلهم الى الان
ثم قصدني عمرو بن مسعدة فاخذ مني الضيعتين والزمني
بخراجهما منذ تصرفي فيهما فافقرني فكلما نابتني
نايبة قصدت دورهم فبكيتهم ورثيتهم ودعوت
لهم على ما كان منهم الي فاجد بذلك راحة قال فبكي

المأمون واستدعي عمرو بن مسعدة وامره بان يرد عليه
ما كان عليه في ايام البرامكة وان يقضي حقه ويكرمه
فبكا الشيخ فقال له المامون الم نكرمك فقال بلي والله
يا امير المومنين ولكن هذا ايضا من بركة البرامكة علي
واحسانهم الي وتردّدي الى دورهم فقال امض
مصاحبا بالسلامة فان الوفاء مبارك وحسن العهد
من الايمان وروي عمرو بن مسعدة انه رفع الي
المامون رقعة منسوبة الي محمد بن عبد الله يذكر فيها
بخدمته ويزعم انه من اهل النعمة وانه مولي ليحيي بن
خالد البرمكي انه كانت له ضيعة جليلة قبضت فيما
قبض للبرامكة فدفعه المامون الي احمد بن ابي خالد وامره
بضمه اليه وان يجري عليه ما يكفيه ففعل به ذلك
فصلحت حالته وتراجع اليه امره وكان نديما لابن ابي
خالد لا يفارقه فتاخر عنه يوما فبعث اليه فاحتجب عنه
فغضب عليه وامر بحبسه والباسه جبة صوف
فمكث في الحبس اياما ثم ان المامون ساله عنه فقص
عليه قصته وشكي اليه ما يراه من صلفه وتيهه
وافتخاره بالبرامكة فامر باحضاره فحضر اليه علي
هيئته في الحبس فجعل يوبخه ويسفه رايه ويعظم
في عينه احسان ابن ابي خالد ويحط البرامكة ويذمهم
فقال يا امير المومنين لقد وضعت من البرامكة غير

موضوع فقد كانوا غياث دهرهم وملجأ اللاجئين
فان اذن امير المؤمنين حدثته ببعض اخبارهم ليعلم
صدق قولي فقال له هات فقال ليس من الانصاف
ان احدثك وانا في هذه الجبة فامر بان يخلع عليه
وتفك قيوده فقال يا امير المؤمنين كان ولائي ليحيى
وانقطاعي لابنه الفضل فقال لي الفضل يوما بحضرة
ابيه واخيه جعفر يا محمد احب ان تدعوني الى منزلك
كما يدعو الصديق صديقه فقلت له شاني
اصغر من ذلك وهيأتي لا تقوم به وداري تضيق
عنه فقال لي لا بد من ذلك ولم يعفني فلما رايته
مصمما اقبلت على ابيه واخيه استعين بهما على اعفائه
فاعلماه قصور يدي عن بلوغ ما يجب له فقال لهما لست
بقانع منه دون ان يدعوني واياكما الا ان يعفينا
فقالا لي هذا ابى ان يعفيك وحيث لم يكن الامر الا لنا
فلا حشمة بيننا اقعدنا على اثاث بيتك واطعمنا
من طعام اهلك فقلت اذا ابيتم الا فضيحتي فلا بد
ان تؤجلوني اجلا اتاهب لكم فقالوا اكم تستاجل لنفسك
فقلت امهلوني سنة فقال لي الفضل ويحك او معنا
امان من الموت لسنة فقال يحيى هذا افراط ولكني
احكم حكما ارجو ان لا يرده ابو العباس يعني الفضل
فاقبله انت ايضا فقلت احكم جعلني الله فداك ووفقك

للصّواب واشتح لي في المدة فقال قد حكمت بشهرين
فخرجت من وقتي فبدأت برمّ منزلي واصلاح آلتي وشرا
ما احتمل به من فرش واثاث وغير ذلك وهو كل يوم
يذاكرني حتى كانت الجمعة التي يحضر فيها الوعد قال لي
يا محمد قد قرب الوعد ولا بقي الا عمل الطعام فقلت نعم
جعلت فداك ثم اصلحت طعاما ثم سالت في البكور
الى داري فما شعرت الا بجعفر والفضل ويحيى وسائر
اولادهم وفتيانهم قد حضروا فلما دخلوا اقبل علي
الفضل وقال يا محمد اول شيء نبتدئ به ان ننظر الى
نعمتك صغيرها وكبيرها فقم بنا اليها فقمت وقام
وهم معه فطاف في المجلس ثم خرج الى الخزاين ثم الى بيت
الشراب وخرج منه الى الاصطبل حتى نظر الى كبير نعمتي
وصغيرها ثم عدل الى المطبخ فامر بكشف القدور وعرض
الطعام قدرا قدرا ثم اقبل على ابيه فقال هذه قدرك
التي تعجبك ولست ببارح دون ان ناكل منها فدعا برغيف
فغمسه في القدر ثم ناوله اياه وفعل ذلك بنفسه وباخيه
ثم دعا بالخاول فغسل يديه ثم خرج الى الدار فوقف في صحنها
وجعل ينظر في بنائها واروقتها وسقوفها ثم قال لي يا
محمد من جيرانك فقلت جعلت فداك فلان وفلان التاجر
من ورائي وفلان التاجر عن شمالي وعن يميني رجل قد ابتاع
خربة فهو لا يزال في بنائها قال لي اتعرفه قلت لا فقال لي

كان لا أليق بك لمحلك منا أن لا يجتري عليك أحد ويشتري
شيئاً ما وصفنا لك قلت ما منعني من ذلك إلا ما كنت فيه من
الشغل من الدعوة المباركة فقال لي أين الحايط الذي
يتصل بدارة فأومأت إلى موضع من الدار فقال علي بنجار
فأتي به فقال له افتح هنا باباً فأقبل عليه أبوه فقال له نشدتك
الله يا بني لا تهجم على قوم لم نعرفهم وأقبل عليه أخوه بمثل
ذلك فأبى إلا فتح الباب فخفت أن أراجعه في ذلك لما رأيت
من رده أباه وأخاه ففتح باباً في الحايط ودخل منه ثم بعث
إلى أبيه وأخيه فدخلوا قال فإذا في وسط الدار فتى
جالس على سرير وعلى رأسه عشرة غلمان كأنهم الدنانير
بالمناطق المثمنة فقام ذلك الرجل من على السرير ثم أن
الفضل طاف الدار ومجالسها فوجدها مشحونة بالفرش
والأواني الملوكية فأقبل علي وقال يا محمد أيما أحسن هذه
أم دارك فقلت أطال الله بقاك والله ما رأيت مثل هذه
الدار ولا تليق إلا بك فقال لا أحب أن تكون لك وما لكها
عبدك فقلت جعلت فداك من أين لي هذه فقال اعلم
أنك لما نهضت من بين يدي حين سألتك دعوتي أمرت
غلومي بشرا بشري هذه الخربة وبنايها واتخاذ كلما ترى
فيها وقد وهبتها لك بكل ما فيها يا غلام هات ما عندك
من الطعام فأتي بطعام ما رأيت مثله فجعلوا يأكلون
ثم نظرت فرأيت الكآبة في وجه جعفر ظاهرة وقد التفت

الى ابيه فقال له جعلت فداك لا ازال اشكوا من اخي ابو
العباس اليك فلا تنصفني منه اترضى له ان ينفرد بهذه
الكرامة دوني ويغض علي بمشاركتي له فيها قال فاقبل
يحيى على الفضل وقال يا بني لقد كان لا يليق بك ان تشارك
اخاك في هذه المكرمة النفيسة فقال له جعلت فداك
والله ما تفردت بها دونه ولقد تركت له صفوها فقال
وما هو فقال ان محمدا هذا رجل قليل المال وليس له ما يقوم
بهذه الدار وهولاء الخدم وقد صاروا ضررا عليه وضيعتك
الفلانية مشاكلة لهذه الدار فهبها له ليقوي بها على
امره فقال صدقت لقد فرجت عني هات يا غلام كتاب
الضيعة الفلانية فسلمها لمحمد فقام يحيى فضم اليه
ولديه وقال بابي انتما وبنفسي افعالكما لا اخلاكما
الله من يد بسيطة ونعمة جليلة قال فبكى المامون
وقال والله لقد برز القوم في فضلهم وسبقوا بمجدهم
وانك لحقيق ان تحفظ فيهم وامر له بالف دينار وعفى
عنه **وحكى** الشيخ ابو بكر الخذكوشي النيسابوري
قال سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي
المجاور بمكة يقول كان رجل بمصر يعرف بانه
يجمع للفقرا فولد لبعضهم ولد فجا اليه وقال ولد لي
الليلة مولود وليس معي شي فقام معه ودخل على جماعة
فلم يفتح بشي فجا الى قبر رجل كان يعرفه وجلس

عنده

عني وقال يرحمك الله كنت تفعل وتصنع وأني ذرت
اليوم وطلبت من الجماعة شيئاً للمولود فلم يتفق لي ثم
قام ذلك الرجل وأخرج ديناراً فكسره نصفين وناولني
نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يفتح الله بشي قال
فأخذته وانصرفت فأصلحت منه ما تحتاجه النفسا
ثم أن ذلك الرجل نام فرأى صاحب القبر في منامه وهو
يقول له قد سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب
ولكن احضر إلى منزلي وقل لأولادي يحفرون مكان
الكانون فإنه فيه خمسماية دينار فاحملها إلى ذلك
الرجل أبي المولود قال فلما كان من الغد تقدم إلى
منزل الميت وقص القصة فقالوا له اجلس وحفروا
الموضع فوجدوا الدنانير فجاؤا بها ووضعوها بين يديه
وقالوا هذا ما رأينا فقال لهم هو ما لكم وليس لرؤياي
حكم فقالوا أيسخى أبونا ميتاً ولا نسخى أحياء فلما ألحوا
عليه حمل الدنانير إلى أبي المولود وقص عليه القصة
فأخذ منها ديناراً فكسره نصفين فأعطاه النصف
الذي أقرضه وأخذ لنفسه النصف الآخر وقال يكفيني
هذا وخذ أنت المال فتصدق به على الفقرا قال أبو
سعيد فما أدري أي هؤلاء أسخى فرحم الله الجميع
حكاية قال أنه نزل بعبد الله بن المبارك بعض الأيام
عشرة أضياف من العلماء ولم يكن له ما يضيفهم

به وما كان يملك سوى فرسا يحج عليه سنة ويغزو سنة
فذبح ذلك الفرس وطبخ وقدمه بين يدي الاضياف
فقالت له زوجته ما كنت تملك في الدنيا غير
هذه الفرس فلم ذبحته فدخل سريعا الى بيته واخرج
من متاع البيت بقدر مهرها وطلقها في ساعته
ووقته وقال امراة تبغض الاضياف لا تصلح لي فاتاه
بعد ذلك بايام رجل وقال يا امام المسلمين لي بنت وقد
توفيت امها وهي كل يوم تمزق دستا من الثياب
حزنا وغما واليوم تريد ان تقصد مجلسك فقل لي
في تسليتها شيئا لعلها ترق قلبها فلما جلس على
المنبر ذكر من هذا الباب ما تسلت به الصبية عن امها
فلما عادت قالت يا ابت قد تبت ولا اعود اسخط الله
سبحانه وتعالى ولكن لي اليك حاجة قال ما حاجتك
قالت انت تقول لي دائما ان ابناء الدنيا يخطبونك وارباب
الاحوال يطلبونك فاناشدتك الله تعالى لا تزوجني
بغير عبد الله بن المبارك فانا ان كنا اصحاب دنيا
فله علم ودين فزوجها ابوها بعبد الله بن المبارك
وحمل معها اليه جهازا كثيرا ونفذ برسم عبد الله عشر
افراس ليجاهد عليها في سبيل الله فرأى عبد الله بعض
الليالي في المنام كان قايلا يقول ان كنت طلقت لاجلنا
امراة عجوزا فقد اعطيناك صبية بكرا واذ كنت

ذبحت

71.

ذبحت فرساً واحداً الاضيافك فقد اعطيناك
عشر افراس لتعلم ان الحسنة عندنا بعشر ولا يضيع
لدينا اجر المحسنين وما عاملنا احد فخسر في الجود
مع الاقلال قال الله تبارك وتعالى حكاية عن الانصار
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال
النبي صلى الله عليه وسلم افضل العطية ما كان
من معسر الى معسر وقال النبي صلى الله عليه وسلم
افضل الصدقة جهد المقل وقالت الحكماء القليل
من القليل احمد من الكثير من الكثير وقالوا جهد
المقل افضل من غنى المكثر اخذ حبيب هذا المعنى
فنظمه في ابيات كتب بها الى الحسن بن وهب واهدى
اليه قلماً وقال

قد بعثنا اليك اكرمك الله بشيء فكن له ذا قبول
لا تقسه الى جد اكفك الغمر ولا نيلك الكثير الجزيل
واستجز قلة الهدية مني فقليل المقل غير قليل

وقيل لبعض الحكما من اجود الناس قال من جاد من
قلة وصان وجه السائل عن المسالة وقال حماد عجرد

ارق بخير تومل للجزيل فما ترجى الثمار اذا لم يورق العود
بث النوال ولا تمنعك قلته فكلما سد فقراً فهو محمود
ان الكريم ليخفي عنك عسرته حتى يخال غنياً وهو مجهود

وللبخيل على أمواله علل ، زرق العيون عليها أوجه سود

وقال حاتم

أضاحك ضيفي عند إنزال رحله ، ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن تكثر القرى ، ولكنما وجه الكريم خصيب

وقال آخر في هذا المعنى

ملئت يدي من الدنيا مرارا ، وما طمع العواذل في اقتصادي
ولا وجبت علي زكاة مال ، وهل تجب الزكاة على جواد
زرعت الجود في بحر العطايا ، فأصبحت المكارم من حصادي

في العطية قبل السؤال

قال سعيد بن العاص قبح الله المعروف إذا لم يكن ابتداء من غير مسألة فما المعروف عوض من مسألة الرجل إذا بذل وجهه فقلبه خائف وفرائصه ترعد وجبينه يرشح لا يدري أيرجع بنجح الطلب أم بسوء المنقلب قد انتقع لونه وذهب دم وجهه اللهم فإذا كانت الدنيا لها عندي حظا فلا تجعل لي في الآخرة حظا وقال أكثم بن صيفي كل سؤال وإن قل أكثر من نوال وإن جل وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من كانت له إليّ منكم حاجة فليرفعها في كتاب ليصونوا وجوهكم عن المسألة وقال حبيب

عطاؤك لا يغني ويستغرق المنى ، وتبقى وجوه الراغبين كما هيا

وقال آخر

روكن

لا تكن طالباً لما في يد الناس، فيزود عن لقاك الصديق
إنما الذل في سؤالك للناس، سر ولو في السؤال كيف الطريق
وقالوا من بذل إليك وجهه فقد وفاك حق نعمتك
وقالوا أكمل الخصال ثلاثة وقار بلا مهابة وسماح
بلا طلب ومكافاة بغير ذل وقال بن عبد ربه
كرم على العلاة جزل عطاؤه، ببذل وإن لم يعتمد لنوال
وما الجود أن يعطي إذا ما سألته، ولكن من يعطي بغير سؤال

وقال آخر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله، عوضاً ولو نال الغنا بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنته، رجح السؤال وخف كل نوال
وإذا عزمت لبذل وجهك صادقاً، فابذله للمتكرم المفضال

وقال آخر

الجود طبعي ولكن ليس لي مال، وكيف يصنع من بالقرض يحتال
هاك خطي فخذه معك تذكرة، إلى اتساعي فلي بالغيب آمال

وقال آخر

لا تحسبن الموت موت البلا، لكنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا، أشد من ذاك لذل السؤال

الباب السابع في اصطناع المعروف لكل ملهوف

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال
تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنفعته

فله ثواب المجاهدين في سبيل الله وعنه عليه
الصلاة والسلام انه قال من ستر اخاه المسلم في الدنيا
ستره الله في الدنيا والاخرة ومن نفس عن اخيه كربة من
كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة
والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم
وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال اصنع الخير
الى من هو اهله والى من ليس من اهله فان اصبت اهله
فهو اهله وان لم تصب اهله فانت اهله وعنه عليه
الصلاة والسلام انه قال اهل المعروف في الدنيا هم
اهل المعروف في الاخرة ذكر ابن ابي الدنيا في قضاء الحوائج
عن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله جعل للمعروف وجوها من خلقه
حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب
المعروف اليهم ويسر عليهم الاعطاء كما يسر الغيث
للارض الجذبة ليحييها ويحيي به اهلها وان الله تعالى
جعل للمعروف اعداء من خلقه بغض اليهم المعروف
وبغض اليهم فعاله وخطر عليهم الاعطاء كما يحظر
الغيث عن الارض الجذبة ليهلكها ويهلك بها اهلها
وما يعفوا اكثر وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف
المزني عن ابيه عن جده قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس الى على

نفسه

نفسه أن لا يعذبهم بالنار فإن كان يوم القيمة وضعت
لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس في الحساب
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم في
حاجة فقضيت له او لم تقض غفر الله له ما تقدم من
ذنبه وكتب له براءة من النار وبراءة من النفاق
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه حاجة كنت واقفا
له عند ميزانه فان رجح والا شفعت له رواه ابو نعيم
في الحلية وروينا من مكارم الاخلاق لابي بكر الخرائطي
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مشى في حاجة اخيه المسلم كتب الله له بكل
خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان
قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه فان مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة مع اخيه
فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع
خنادق ما بين الخندق والخندق مثل ما بين السماء
والارض رواه ابو نعيم وابن ابي الدنيا وعن عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ان لله عند اقوام نعمًا يقرها عندهم ما كانوا
في حوائج المسلمين ما لم يملوهم فاذا ملوهم نقلها الله الى
غيرهم رواه الطبراني ورويناه من طريق الطبراني
باسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد انعم الله عليه
نعمة فاسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس اليه فتبرم
فقد عرض تلك النعمة للزوال وعن انس بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين
حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقي
في الدرجات وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل
يا رسول الله اي الناس احب اليك قال انفع الناس للناس
قيل فاي الاعمال افضل قال ادخال السرور على المؤمن
قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته
وقضاء دينه ومن مشى مع اخيه في حاجة كان كصيام
شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت
الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كف غضبه ستر الله
عورته وان الخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل
العسل ومن كلام الحكما اذا سألت كريما حاجة
فدعه يفكر فانه لا يفكر الا في خير واذا سألت لئيما
حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه ان لا يفعل

وسأل

وسأل رجل رجلاً حاجة ثم توانى عن طلبها فقال
له المسئول أنمت عن حاجتك فقال ما نام عن حاجته من
أسهرك لها ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك
بها فعجب من فصاحته وقضا حاجته وأمر له بمال
جزيل وقال مسلمة لنصيب سلني فقال يدك
بالعطيه أبسط من لساني بالمسألة فأمر له بألف
دينار وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها وعنه
لا تكثر على أخيك الحوائج فإن العجل إذا أفرط في مص
ثدي أمه نطحته وحدث أبو جعفر بن محمد بن قاسم
الكرخي قال عرضت على أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات
رقعة في حاجة فقرأها ووضعها من يده ولم يوقع
فيها بشيء فأخذتها وقمت وأنا أقول متمثلاً من حيث
يسمع بشعر

وإذا خطبت إلى كريم حاجة ، وأبى فلا تعقد عليه بحاجب
فلربما منع الكريم وما به ، بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت ارجع يا أبا جعفر بغير سوء حظ
الطالب ولكن إذا سألتمونا الحاجة فعاودونا
فإن القلوب بيد الله وأخذ الرقعة ووقع فيها بما أردت
وسأل إسحاق بن ربعي إسحاق بن إبراهيم المصعبي أن
يوصل له رقعة إلى المأمون فقال لكاتبه ضمها إلى

رقعة فلان فقال

تا الله لحاجتي واشد دعواها، فقد اضحت بمنزلة الضياع
اذا شاركتها بلبان اخري، اضرّ بها مشاركة الرضاع

وقال ابو دقاقة البصري

اضحت حوايجنا اليك مناخة، معقولة بن حبايل الوصال
اطلق فديتك بالنجاح عقالها، حتّي تثور معًا بغير عقال

وقال سلم الخاسر

اذا اذن الله في حاجة، اتاك النجاح علي رسله
فلا تسال الناس من فضلهم، ولكن سل الله من فضله

ولله درّ القايل حيث يقول

ايها المادح العباد ليعطي، انّ لله ما بايدي العباد
فسل الله ما طلبت اليهم، وارج فضل المقسّم العوّاد

وعن عبد الله بن حسن بن الحسن قال اتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال اذا كان لك اليّ حاجة فارسل اليّ رسولًا واكتب اليّ كتابًا فانّي لاستحي من الله ان يراك علي بابي وعن عليّ رضي الله عنه انه قال والذي وسع سمعه الاصوات ما من احد اودع قلبًا سرورًا الّا خلق الله من ذلك السّرور لطفًا فاذا نزلت به نايبة جري اليها كالماء في انحداره حتّي يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعمة الله عليه كثرت حوايج الناس اليه فان

قام بما يجب لله فيها عرضها الله للدوام والبقا
وان لم يقم فيها عرض نعمته للزوال وقال الشاعر
لا تدخلنك ضجرة من سايل، فلخير دهرك ان ترى مسئولا
لا تجبهن بالرد وجه مؤمل، فبقاء عزك ان ترى مأمولا
واعلم بانك عن قليل صايرة، خبرا فكن خبرا يروق جميلا
قال بعض الاعراب لولده يا بني لا تزهدن في معروف
فان الدهر ذو صروف كم راغب كان مرغوبا اليه
وطالب كان مطلوبا ما لديه وكن كما قال الشاعر
وعد من الرحمن فضلا ونعمة، عليك اذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا، وانك لا تدري متى انت راغب
وقال يحيى بن خالد البرمكي
اذا هبت رياحك فاغتنمها، فان لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها، فما تدري السكون متى يكون
وقال آخر
وليس اعتذاري من قبيح بنافع، اذا قال لي يوما وصدق قايله
فانك تلقى فاعل الشر نادما، عليه ولم يندم على الخير فاعله
وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسن رضي الله عنهم
اني لاسارع الى حاجة عدوي خوفا من ان ارده فيستغني
عني وقال اعرابي ما رددت رجلا عن حاجة فولى
عني الا رايت الغني في قفاه قال رجل لابنه
اياك ان تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه

سأل المأمون محمد بن حازم أن يرتجل ببيتين فقال
أنت سماء ويدي أرضها ، والأرض قد تأمل غيث السما
فازرع يداً عندي محمودة ، تحصد بها عندي حسن الثنا
فأعطاه عشرة آلاف درهم قال رجل لعلي بن
عبد الله بن عباس إني أتيتك في حاجة صغيرة فقال
هاتها إن الرجل لا يصغر كبير أخيه ولا يكبر عن صغيره
قال بعضهم قدمت على سليمان فبينا أنا عنده إذ نظرت
إلى رجل حسن الصورة يقول يا أمير المؤمنين والله لحمدها
خير منها ولذكرها أحسن من جمها ويدي موصولة
بيدك فابسطها لسؤالها فسألت عنه فقيل يزيد
بن المهلب يتكلم في جمالات حملها أنشد ابن الأعرابي
أيا هاني لا تسأل الناس والتمس ، بكفيك فضل الله فالله أوسع
فلو تسأل الناس التراب لأوشكوا ، إذا قيل هاتوا أن يملوا فيمنعوا
قيل لأعرابي ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي
لا يندمل قال حاجة الكريم إلى اللئيم وقال الإمام الشافعي
إذا افتقر الكريم فمل إليه ، فشم الورد بعد القطف عاده
وإن سعد اللئيم فصد عنه ، فبيت الماء تحكمه الزياده
وقال علي رضي الله عنه استغن عمن شئت فأنت
نظيره ، واحتج إلى من شئت فأنت أسيره ، وامنن على
من شئت فأنت أميره وقال بعض الحكماء أفضل
المعروف ، إغاثة الملهوف ، إذا صنعت المعروف

فاستر

فاشتر وإذا أسدي إليك فانشر وقال عليه
الصلاة والسلام من أسدي إليكم معروفاً فكافئوه
فإن لم تقدروا فادعوا له، من منّ بمعروفه سقط
شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره، فمن زرع خيراً
حصد أجراً، ومن اصطنع معروفاً استفاد شكراً

ولله درّ القايل

اصنع جميلاً وما استطعت فإنه، لابدّ من والي الولاية يعزل
إنّ الولاية لا تدوم لواحد، إن كنت تنكر ذا فأين الأول
فغرس من الفعل الجميل غرايساً، فإذا عزلت فإنها لا تعزل

حكاية قيل كان في زمن عمر بن عبد العزيز قحط عظيم
فوفد إليه وفد من العرب واختاروا رجلاً منهم
لخطابه فقال ذلك الرجل يا أمير المؤمنين إنا أتيناك
من ضرورة عظيمة وقد يبست جلودنا على أجسادنا لفقد
الطعام وراحتنا في بيت المال وهذا المال لا يخلو
من ثلاثة أقسام إما أن يكون لله أو لعباده أو لك
فإن كان لله فإن الله غنيّ عنه وإن كان لعباد
الله فآتهم إياه وإن كان لك فتصدّق علينا إن الله
يجزي المتصدقين فتغرغرت عينا عمر بن عبد العزيز
من الدموع فقال هو كما ذكرت وأمر أن تقضى حوايجهم
من بيت المال فهمّ الأعرابي بالخروج فقال عمر أيها
الإنسان الحرّ كما أوصلت حوايج عباد الله إليّ

وسمعتني كلامهم فاوصل كلامي وحاجتي الى الله
فحول الاعرابي راسه ووجهه قبل السما وقال
الاهي بعزتك وجلالك اصنع مع عمر بن عبد العزيز
كصنيعه في عبادك فما استتم الاعرابي دعاه حتي
ارتفع غيم فامطر مطرا غزيرا وجاء في المطر بردة
كبيرة فوقعت على اجرة فانكسرت فخرج منها كاغد
عليها مكتوب هذه براءة من الله العزيز لعمر بن عبد
العزيز من النار وحكي في المستجاد قال اخبرني
بعض اشياخي قال كان في ايام سليمان بن عبد الملك
رجل يقال له خزيمة بن بشر وكانت له مروة ونعمة
حسنة وفضل وبر بالاخوان فلم يزل كذلك حتي احتاج
الي اخوانه الذين كان يتفضل عليهم فواسوه حينا
ثم ملوه فلما عرف تغيرهم لزم بيته حتي نفد ما
عنده وبقي حايرا وكان عكرمة الفياض واليا على
الجزيرة فبينما هو في مجلسه وعنده وجوه اهل
دولته اذ جري ذكر خزيمة فقال عكرمة ما حاله
فقالوا قد صار من سوء الحال الى ما لا يوصف وانه
اغلق بابه عليه ولزم قعر بيته فقال عكرمة اما
وجد خزيمة من يواسيه ثم امسك عن ذكره فلما
كان الليل عمد الى اربعة الاف دينار فجعلها في كيس ثم
ركب دابته سرا من اهله ومعه غلام يحمل المال

وسار

وسار حتّى وقف بباب خزيمة فاخذ الكيس من الغلام
وابعده عن الباب حتّى لا يعرفه وتقدّم فقرع الباب
فخرج اليه خزيمة فناوله الكيس فتناوله فرآه ثقيلاً
فوضعه وامسك بلجام فرسه وقال له من انت يا
هذا جُعلت فداك فقال عكرمة ما جيت في هذه الساعة
واريد ان يعرفني احد فقال له خزيمة لا اقبله حتّى
تعرّفني من انت فقال انا جابر عثرات الكرام فقال له
زدني قال لا ثمّ تركه ومضى فدخل خزيمة بالكيس على
امراته واخبرها بقوله انا جابر عثرات الكرام ه
ورجع عكرمة الى منزله فراى امراته قد افتقدته
وسالت عنه فاخبرت بركوبه وحده فارتابت
ولطمت خدّها فلمّا راها قال لها ما دهاك فقالت
خروجك في مثل هذا الوقت لا يكون الّا لزوجة او سرّية
فقال لها قد يعلم الله انّي ما خرجت الى واحدة منهما
ثمّ اخبرها القصّة وقوله انا جابر عثرات الكرام ه
فطابت نفسها ثمّ انّ خزيمة صالح غرماه واصلح من
شانه وتجهّز يريد سليمان بن عبد الملك فلمّا عرّفه
الحاجب بمكانه اذن له فدخل وهنّاه بالخلافة فقال
له يا خزيمة ما ابطا بك عنّا قال سوء الحال قال فما
الذي انهضك قال اتاني بعد هداة من الليل رجل
فطرق بابي فخرجت له فاعطاني كيسا فيه اربعة

شيء من عطاياك صح

الاف دينار فسالته عن اسمه فقال اسمي جابر
عثرات الكرام ولم يزدني عليها قال فتلهف سليمان
علي معرفته وقال لو عرفناه لاعناه علي مروته ثم
عقد اللوا لخزيمة علي الجزيرة وهي لعمل الذي بيد
عكرمة فخرج خزيمة من ساعته فلما قرب منها
خرج عكرمة واهل البلد للقايه فسلم عليه عكرمه
وسارا جميعا حتي دخلا البلد فنزل خزيمة دار الامارة
ووكل بعكرمة وحاسبه فوجد عليه مال كثير
فطالبه باداته فقال لا قدرة لي علي شي فاصنع
ما انت صانع فامر به الي السجن ثم طالبه فارسل
يقول لست ممن يصون ماله بعرضه فامر ان يكبل
بالحديد ويضيق عليه فاقام كذلك شهرا فاضناه
الحبس والغل وبلغ ابنة عمه حاله فاغتمت ودعت
مولاة لها ذات عقل وقالت لها امض الي دار هذا
الامير فقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك فقولي
لا اقولها الا للامير فاذا وصلت له فقولي له ما
كان هذا جزا جابر عثرات الكرام ان تكافيه بالحبس
قال ففعلت ذلك فلما سمع خزيمة قولها بكي وقال
واسواتاه ثم امر من وقته بدابته فاسرجت وبعث
الي وجوه البلد فاتي بهم الي باب السجن ثم فتح الباب
ودخل هو ووجوه البلد علي عكرمة فوجده قد

فوجده

غيّر السّجن واضناه فلمّا نظر اليه عكرمة والى
الناس احتشمه ونكس راسه خجلاً فاقبل خزيمة واكبّ
عليه يقبّل يديه ورجليه فرفع عكرمة راسه اليه
وقال ما سبب هذا قال حسن فعالك وسوء مكافاتي
قال يغفر الله لنا ولك ثمّ امر الحداد ففك قيده ووضع
القيد في رجل نفسه فقال له عكرمة ما تريد من
هذا قال اريد ان ينالني من الضرّ ما نالك فقال اقسمت
عليك لا تفعل ثم خرجا جميعاً الى ان وصلا دار خزيمة
فودّعه واراد الانصراف فقال لا تبرح قال وما تريد
قال اريد ان اغيّر من حالك فانّ حيائي من ابنة عمّك
اشدّ حيائي منك ثمّ امر بالحمّام فنظفت ثم تولّى
خزيمة خدمته بنفسه وخرجا فجمّله وخلع عليه
وجهّز له مركوباً ومالاً كثيراً وسار معه الى منزله
وسأله ان يعتذر عنه لابنة عمّه فاذن له فاعتذر
اليها ثمّ ركب معه وسارا الى سليمان بن عبد الملك
فدخل الحاجب واعلمه بقدوم خزيمة فارتاع وقال
والي الجزيرة يقدم علينا من غير اذن منّا ما هذا الّا لحادث
عظيم فلمّا دخل قال له قبل ان يسلّم عليه ما وراءك
يا خزيمة قال الخير يا امير المؤمنين قال فما الذي جاء بك
قال ظفرت بجابر عثرات الكرام وتشوّقك الى معرفته
قال ومن هو قال عكرمة الفيّاض قال فاذن له وسلّم

عليه فرحب به وادنى مجلسه وقال يا عكرمة بئسما
جزيناك على معروفك ثم قال له سل حوائجك كلها في
ورقة فاستعفاه فقال لابد من ذلك ودعى بدواة
وقرطاس وقال اعتزل واكتب جميع حوائجك ففعل
فامر بقضائها من ساعته وعقد له لواء على الجزيرة
وارمينية واذربيجان وقال له امر خزيمة اليك ان
شئت ابقيته وان شئت عزلته فقال بل اردده الى عمله
وانصرفا جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة
خلافته فانظر يا اخي الى عاقبة المعروف ما اجملها
وحكى التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة قال
قال الفضل بن الربيع لما استترت من المامون حين
ملك ببغداد وقتل اخاه الامين وزاد حذري وخوفي
على نفسي فتشددت في الاحتياط والتواري ومضيت
الى منزل بزاز كنت اعرفه في درب على باب الطاق
وشدد المامون في طلبي وجعل لمن جاءني عشرة الاف
درهم واقطاعا يغل عشرة الاف دينار في كل سنة
فشدد على اصحاب الشرط واوقع بينهم ونودي
من اتى به فله ما وعد به امير المومنين ومن وجد
عنده بعد النداء ضرب خمسمائة سوط وهدمت
داره وحبس طول عمره فما شعرت الا بصاحب الدار
قد ورد علي واخبرني بخبر النداء وقال والله ما اقدر

بها

بعد هذا على سترك ولا آمن زوجتي ولا جاريتي ولا غلامي
ان تشرع انفسهم الى المال فيدلون عليك فاهلك
بهلاكك فان صفح الخليفة عنك لم آمن ان تتهمني
انت باني دللت عليك فيكون ذلك اقبح وليس الراي
لي ولك الا ان تخرج عني فورد علي امر عظيم وقلت
اذا جا الليل خرجت عنك فقال لي ومن يطيق الصبر
على هذا الغرر الى الليل واذ وجدت قبل الليل كيف
يكون حالي وهذا وقت حار وقد طال عهد الناس
بك فتنكر واخرج فقلت كيف اتنكر فقال تاخذ اكثر
لحيتك وتغطي راسك وبعض وجهك وتلبس قميصا
ضيقا وتبا نا فقلت افعل فجاءني بمقراض فاخذ
اكثر لحيتي وقلعت ما كان علي ولبست قميص خام
ضيق الاردان وتنكرت وخرجت من عنده في اول
اوقات العصر وانا ميت جزعا فمشيت في الشارع
حتى وصلت الجسر فوجدته خاليا وهو مرشوش
فلما توسطته اذا انا بفارس من الجند الذين كانوا
ينوبون في داري ايام وزارتي وقد قرب مني فعرفني
فقال هذا بغية امير المومنين وعدل علي ليقبضني
فلحلاوة الروح دفعته ودابته فولى فزلقت دابته
فوقع في بعض زواريق الجسر وتنادي الناس لخلاصه
وتشاغلوا به فزدت انا في المشي من غير عدو لئلا

ينكروا عليّ الى ان عدّيت الجسر ودخلت درب سليمان
فرايت امراة على باب دار مفتوح فقلت لها انا خايف
من القتل فاجيريني واحفظي دمي فقالت ادخل
واومات الى غرفة فصعدتها فلمّا كان بعد ساعة
اذ الباب يطرق ففتحته المراة فدخل زوجها فتاملته
فاذا هو صاحبي على الجسر وهو مشدود الراس يتاوّه
من شجّة لقيها من الزلقه وانه سلم هو ودابته من
الغرق فسالته المراة عن الحالة فاخبرها بقصّته
معي وجعل يقول ملكت الغنا وذهب منّي وجعل
يشتمني وهو لا يعلم حصولي معه في الدّار فاقبلت
المراة ترفق به الى ان هدا فلمّا صلّيت المغرب وهدا
الظلام صعدت المراة اليّ وقالت اظنّك صاحب
القصّة مع هذا الرجل قلت نعم قالت قد سمعت
ما عنده فاتق الله في نفسك واخرج فانّي لا آمن
عليك ان يحسّ بك فلا تسلم من القتل ثمّ اشارت
على زوجها بالدخول الى الحمّام ليتحلّل عنه وهنه
فلمّا خرج وبعد اذنت لي بالخروج فدعوت لها
وخرجت ففتحت الباب وكان الدرجة في الدهليز
فافضيت منها الى الباب فلمّا انتهيت الى الدرب
رايت الحراس قد علقوا فتحيّرت فرايت رجلا يفتح
بابا بمفتاح رومي فقلت هذا اعزب وهو ممّن يقبل

منّي

مثلي فدنوت منه وقلت اشترني يشترك الله فقال ادخل
فدخلت فوجدت رجلاً فقيراً وحيداً فاقمت ليلتي
وبكرت من الغد فخرج ثم عاد نصف النهار ومعه حمالان
على راس احدهما حصير ومخدة وجرار وكيزان وعضاير
جدد وقدر جديدة وعلى راس الاخر خبز وفاكهة ولحم
وثلج وغير ذلك فترك ذلك عندي واغلق الباب علي
فنزلت وعدلته وقلت له لم تكلفت هذا فقال انا رجل
مزين واخاف ان تستقذرني [illegible] افردت لك هذا
فاطبخ واطعمني في غضارة اجي بها من عندي فاقمت
ثلاث ليال فضاق صدري فقلت له في الليلة الرابعة
الضيافة ثلاث وقد احسنت واجملت وانا اريد الخروج
فقال لا تفعل فاني وحيد ولست ممن يطرق بيته احد
ولا تحذر ان يفشو خبرك من عندي ابداً فاقم عندي
الى ان يفرج الله عنك فلست اتشاقل بك فابيت الا الخروج
ثم خرجت ومضيت الى باب عجوز كانت من موالينا فدققت
الباب عليها فخرجت فلما راتني بكت وحمدت الله على
سلامتي وادخلتني الدار فلما كان وقت السحر بكرت
وسعت بي الى بعض اصحاب اسحاق بن ابراهيم فما شعرت
الا واسحاق بخيله ورجاله قد احاطوا بالدار وكبسوها
فاستخرجني منها حتى اوقفني بين يدي المامون فلما
ابصرني سجد طويلاً ثم رفع راسه وقال يا فضل اتدري

وقد
تم

لم سجدت قلت شكراً لله تعالى اذ ظفرك بعدوّ دولتك
والمغري بينك وبين اخيك قال ما اردت هذا ولكن
سجدت لله شكراً على ان اظفرني بك وألهمني العفو عنك
حدثني حديثك فشرحته له من اوله الى آخره فامر
باحضار المراة مولاتنا وكانت في الدار تنتظر الجائزة
فقال لها ما حملك على ما فعلت مع مولاك مع ما رايت
من انعامه وانعام اهله عليك فقالت الرغبة في المال
قال فهل لك ولد او اخ قالت لا فامر بضربها مائتي
سوط وتخليدها في الحبس ثم امر باحضار الجندي وامراته
فاحضرا وسالني عنهم فعرفت انهم القوم باعيانهم
فسال الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل قال
الرغبة في المال مع انه والله هو الذي اثبتني في الجيش
ولكن رغبة في العاجل فقال يجب ان تكون حجاماً فانت
بالحجامة اولى من ان تكون من اوليائنا وامر ان يسلم
للمزين في الدار ويوكل به حتى يتعلم الحجامة
وامر باستخدام زوجته قهرمانة في دار الحرم بدار
وقال هذه امراة رزينة وامر بتسليم دار الجندي
وقماشه وخيله الى المزين وان يجعل رزقه له ويجعله
جندياً مكان ذلك الجندي واطلقني فرجعت الى داري
وامر برد ضياعي وارزاقي فانظر يا اخي الى عاقبة
المعروف ما اجملها هذا عند المخلوق فكيف عند

الخالق

للخالق نسأل الله سبحانه ان يلهمنا فعل الخير والمعروف في الدنيا ويثيبنا عليه في العقبى وانما اوردنا هذه الحكاية انه من زرع المعروف حصد الشكر كما قال الشاعر

كن محسنا مهما استطعت فهذه الدنيا وان طالت قصير عمرها
ان المآثر في الورى ذرية يفنى مآثرها ويبقى ذكرها
ان الكريم كشمعة من عنبر ضاءت فان طفيت تضوع نشرها

الباب الثامن في المروءة وايفاء الفتوة

قيل لمحمد بن حرب الهلالي قد اكثر الناس في المروءة فصفها لنا واوجز فقال على الخبير بها سقطت هي مجزاة فيها في قول الله عز ذكره ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون قيل قد وصفتها ففسرها لنا فقال اما ترون تفسيرها تلاوتها وقيل لسفيان بن عيينة قد استنبطت كل شيء من القرآن فاين المروءة فيه قال في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ففيه من المروءة ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق من الرضى بما يجيء عفوا بغير كد للنفس وطرح مخافة بها في طلب الزيادة ومن الامور بالمعروف الذي فيه صلاح الدارين ومن الاعراض عن الجاهلين لما فيه من التصون عن سفاهتهم وترك التعرض لجهالتهم وهذه الفاظ من القرآن تنطوي على معاني المروءة كقوله عز وجل

في العفو فمن عفى واصلح فاجره على الله وكقوله تعالى
في تعديل الشر بالخير خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً
وكقوله عز وجل في المداراة ادفع بالتي هي احسن وكقوله
تعالى في مجازاة الحسن بالحسن هل جزاء الاحسان الا
الاحسان وكقوله سبحانه وتعالى وقولوا للناس حسناً
وكقوله تعالى في النهي عن مدح النفس فلا تزكوا
انفسكم وكقوله تعالى في التوسط وحسن تدبير
التقدير ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً اي لا تمسك امساكاً
شديداً ولا تبذر تبذيراً فاحشاً فخوف العاقبة قيل
ان الحسين رضي الله عنه اتى الى عند معاوية زائراً فلما
جلس قال له معاوية ما حالك يا حسين قال حسنة بين
سيئتين فما فهم معاوية كلامه فلما ذهب من عنده
اتاه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال له يا
عبد الله اتاني الحسين زائراً فقلت له ما حالك يا حسين
قال حسنة بين سيئتين ما معنى هذا القول فقال يا
امير المومنين تكلم الحسين معنى هذه الاية الذين لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً يعني الاسراف
سيئة والاقتار سيئة ونحن نتجنب تلك الخصلتين
فتعجب معاوية من بلاغته امتدح ابو الجنوب مروان
ابن ابي حفصة المامون بقصيدة وانشد فلما وصل

الى

الى قوله

تشاغل الناس بالدنيا وزبرجها، وانت بالدين عن دنياك مشتغل
قال له المامون ويحك ما زدت على ان جعلتني عجوزا في
محرابها معها مسبحتها هلا قلت كما قال جرير في
عبد العزيز بن مروان

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه، ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

وهذا والله القول الفصل والكلام الجزل فقال لي الامير
نعم عرفت ان هذا المعنى في القران احسن لفظا واحلا
وصف قال الله عز وجل حكاية عن قوم قارون وابتغ
فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا
واحسن كما احسن الله اليك الاية ففيها عين
المروة وحقيقتها وان لم يكن فيها تفصيلها والله سبحانه
وتعالى اعلم ومن الفاظ النبي صلى الله عليه وسلم تفصح
عن معاني المروة كقوله عليه الصلاة والسلام الجود
من اخلاق اهل الجنة وقوله عليه الصلاة والسلام
تهادوا تحابوا والهدايا مشتركة وقوله عليه الصلاة
والسلام انصر اخاك ظالما او مظلوما وقوله عليه
الصلاة والسلام انزلوا الناس منازلهم وقوله عليه
الصلاة والسلام لا تعرضوا اقداركم الى من لا يعرف
اقداركم وقوله عليه الصلاة والسلام اذا اتاكم
كريم قوم فاكرموه وقوله عليه الصلاة والسلام

الدال على الخير كفاعله وقوله عليه الصلاة والسلام
وعد المؤمن كأخذ باليد وقوله عليه الصلاة والسلام
زُر غبًّا تزدد حُبًّا وقوله عليه الصلاة والسلام
الاستماع الى المعروف صدقة وقوله عليه الصلاة والسلام
كرم العهد من الايمان وقوله عليه الصلاة والسلام
انّ ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا وقوله عليه
الصلاة والسلام المسلم من سلم الناس من لسانه
ويده وقوله عليه الصلاة والسلام الحياء شعبة
من الايمان وقوله عليه الصلاة والسلام اياك وما
يعتذر منه وقوله عليه الصلاة والسلام اليمين
حنث ومندمة وقوله عليه الصلاة والسلام المؤمن
لا يكون طعّانًا ولا لعّانًا وقوله عليه الصلاة والسلام
اصطناع المعروف يقي مصارع السوء وقوله عليه الصلاة
والسلام صدقة السر تطفي غضب الرب فصل
في مروءة الملوك واضرابهم وغيرهم كلام مهذب فيها وقال
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال قال لي ابن حيوة
ما رايت اكمل منك ادبًا ولا اكرم عشرة من ابيك سمرت
عنده ليلة فبينما نحن كذلك اذ غشي المصباح ونام
الغلام فقلت له فلو اذنت لي فاصلحته فقال انه ليس
من مروءة الرجال ان يستخدم ضيفه ثم حط رداه
عن منكبيه وقام الى الدبة فصب من الزيت في المصباح

واشخص

وَاشخص الفتيلة ثمّ رجع واخذ رداه وقال قمت وانا
عمرو رجعت وانا عمر وقال ربيعة الرأي المروة
ستّ خصال ثلاث في السّفر وثلاث في الحضر، فامّا
التي في السّفر فبذل الزّاد وحسن الخلق ومداعبة الرفيق
وامّا التي في الحضر فتلاوة القران ولزوم المساجد وعفا
الفرج وقال عمر رضي الله عنه المروة مروتان فمروة
ظاهرة ومروة باطنة فالمروة الظّاهرة الريّاس والمروة
الباطنة العفاف قدم وفد على معاوية فقال لهم
ما تعدّون المروة فقالوا العفاف واصلاح المعيشة
قال اسمع يا يزيد وقيل للاحنف ما المروة قال العفّه
والحرفة العتبي عن ابيه قال لا تتم مروة الرجل الا بخمس
ان يكون عالما عاقلا صادقا ذا بيان مستغنيا عن النّاس
وقيل لعبد الملك بن مروان اكان مصعب بن الزّبير
يشرب الطّلا قال لو علم مصعب انّ الماء يفسد مروته
ما شربه وقالوا من اخذ من الدّيك سخاه وشجاعته
وغيرته ومن الغراب بكوره في طلب الرزق وشدّة
حذره وستره فقد تمّت مروته وقال بهرام بن
بهرام المروة اسم جامع للمحاسن كلّها وقال قباد المروة
ان لا تعمل عملا في السّرّ تستحي منه في العلانية وكان
المهلّب بن ابي صفرة يقول المروة ان يركب الرجل وحده
ويرجع بجيش وكان عبد الله بن طاهر يقول مروة

ف

الملاءى في العدل والبذل والجمع بين المهابة والمحبة وكان
سيف الدولة يقول المروة ترك المرا ومهاداة الاصدقا
واعطاء الشعرا وكان الامير قابوس يقول مروات
الملوك وملاذهم ومسارهم فيما لا يشاركهم فيه العامة
من معالي الامور ومعاظم الشؤن وتوالي الفتوح ورتق
الفتوق ورفع الاوليا وقمع الاعدا وتفريق الاموال وتبديد
الاحوال فاما ما يشاركهم فيه العامة من المطاعم والمشارب
والمصالح والمتاجر والمزارع فان هممهم ترتفع عنه ولا
تتواضع له ولا تحوم حوله والملوك والرعية في طرفي
نقيض وكان سيف الدولة رحمه الله يقول ليس من المروة
للملوك احضار حرم المسلمين مجالس انسهم للاستمتاع
بسماعهن فانهن لحم على وضم بلا نبيذ ولا سماع فكيف
ومعهما اسباب الغير هما وكان لا ياذن في واحد
مجلسه ولو كانت منية المتمني في الانجاب والاطراب
وكان يقول مروة الملوك ان تكون المملكة عامرة
والطرق آمنة والرعية ساكنة والعطايا وافرة والاجناد
راضية والادعية بالخير دائمة وفي كتاب لابي الحسن
محمد بن ابراهيم الفقيه لسلطانه المروة ترفيه الجسم
وتحسين الذكر وترفيه اللبس وتفخيم العرف فصل
في مروة الوزرا والروسا وغيرها ومهم فيها وكان
محمد بن خالد البرمكي يقول المروة سعة المنزل وكثرة

الخادم

الخدم ووطا الفرش وطيب الرائحة والاحسان الى الحاشية
والافضال الى الاخوان **وكان** الحسن بن سهل يقول المروة
والشرف في السرف ولا يصلح للصدر الا واسع الصدر
وكان احمد بن اسماعيل يذم الوزارة ويذكر معايبها
فلما تقلدها قيل له الم تكن تكرهها وتتبعد عنها
قال بلى ولكنه مركب شريف لذيذ لا تطيب النفس بتركه
على ما فيه من الخطر العظيم وهي والمروة شقيقتان وانا
والله احب المروة ولا اريد بها الدنيا فالوزارة بها اليق
من الروح بالجسم والعنبر بالمسك والالف بالالف
وكان ابو الحسن على بن موسى بن الفرات وزر للمقتدر
ثلاث مرات وكان يضرب بمروته المثل فمما يذكر منها
انه لما كان يتقلد الوزارة يزيد سعر القراطيس والشمع
والخيش والثلج زيادة وافرة وكان ذلك متعارفا عند
التجار وكانت في بيته حجرة مشحونة من الاشربة المتلونة
يوجه الناس من الكتاب والعواد علما انهم من المواضع
البعيدة ليأخذوا لهم ما يريدون من السكنجبين والجلاب
وغيرهما وكان رسم داره اذ يصحب كل من يخرج منها
عند غروب الشمس شمعتان ولا يسترجعان من خدمه
وكان يقول والله ما ارى الدنيا تفي بهمتي وما اريد
الوزارة الا لولي ارفعه او عدو اقمعه وما رايت احدا
في داري او على بابي او في موكبي وليس لي عليه احسان

الا استحييت منه وصرفت همتي الى رفاقه والافضال عليه وكان علي الرستمي دبيس اصبهان يقول الكرم الكرم ديون في ضمان المروة وكان اذا وصل احداً بصلة امر باثبات مبلغها فاذا حال الحول اعطاه مثلها وهذا كان دابه طول عمره وهو يقول

ان المروة كلها حسن ، والبذل احسن ذلك الحسن
كم عارف بي لست اعرفه ، ومحابي عني ولم يرني

وكان ابو الفضل البلعمي يقول المروة الجمع بين الدين والدنيا والتوقي من سخط الخالق وذم المخلوق

فصل فيما يتضمن ذكر المروة من اقتباس الشعر

قال ابو القاسم الطهماني قال انشدني ابو نصر العقيلي قال انشدني ابو بكر الاسماعيلي

واذا جلست وكان مثلك قايماً ، فمن المروة ان تقوم واذا بي
واذا اتكات وكان مثلك جالساً ، فمن المروة ان تنحي المتكي
واذا ركبت وكان مثلك ماشياً ، فمن المروة ان مشيت كما مشي

وانشد ابو تمام في كتاب الحماسة معنى قول بعض الحكما المروة ان لا تبخل ولا تكذب ولا تسب

يا ايها المتمني ان تكون فتى ، مثل ابن زيد لقد خلا لك السبل
اعدد ثلاث خلال قد عددت له ، هل سب من احد او سب او بخل

ومن امثال بعض الحكما

اذا المرء اعيته السيادة ناشياً ، فمطلبها كهلاً عليه ثقيل

ومن

ومن احسان البحتري قوله في المدح بالمروة من قصيدة له
وشيبة فيها النهي فاذا بدت ، لذوي التوسم فهو شيب اسود
ومروة جمع التقي اطرافها ، وندي احاط بجانبيه السودد
ومن قول ابو منصور الثعالبي في بعض الممد وحين
اقول اذ سايلوني عن مروة من ، ما ان يقاس بانداد واكفاء
محمد المروات الانام غدا ، كالزند للنار والينبوع للماء

وقال آخر

اذا جار الزمان على كريم ، من الكرماء صب بالمروة
فليس عليه في الاخلال عيب ، باسباب المروة والفتوة
ولما مدح ابو العميثل عبد الله بن طاهر بقوله
يا من يؤمل ان تكون صفاته ، كخصال عبد الله انصت واسمع
اصدق وعف وجد وانصح واحتمل ، واصلح وكف ودار وكاظم واشجع
قال له عبد الله لقد جمعت تفاريق المروة في هذا البيت
وان لم تسمها وقال ابو سعيد الرستمي في العيادة
رايتك للمكارم خير آل ، وانت اخو المكارم والمعالي
وقد مستك عودة اريحي ، فابشر بانتقال الاعتلال
ومن احسن ما مدح به المعتز قول منصور بن اسماعيل
الفقيه
يا واحدا من واحد ، اولى بمجد او مروة
مما بوه وجده ، بين الخلافة والنبوة
فصل في المسايل والجوابات قال الاصمعي سيل

بعض الحكماء عن المروءة قال باب مفتوح وستر مرفوع وطعام
موضوع ونائل مبذول وكلام معسول **وسئل** محمد بن
حرب الهلالي عنها فقال اصلاح المال واطعام الطعام
ومجالسة الكرام والاخبار بما تقبله العقول **وسئل**
مسعر بن كدام عنها فقال التفقه في الدين ولزوم المسجد
الى طلوع الشمس **وسئل** بعضهم عنها فقال قول ابي تمام
وان اولى البرايا ان تواسيه ، عند السرور لمن واساك في الحزن
ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا ، من كان يالفهم في المنزل الخشن
وسئل بعض مشيخة نيسابور عن احسن ما يراه من مروءة
الكرام فقال الاستصباح بالشموع واتخاذ الحمام في الدور
واستخدام الخصيان واستعمال اهل الدالة والاكثار من
الحطب في الشتا والثلج في الصيف **فصل** في التوقيعات
دفع الى المنصور في كثرة نفقات محمد بن سليمان بن علي
والي البصرة فوقع اعظم الناس مروءة اكثرهم مؤونة
وقع الرشيد الى اهل السواد وقد دفعوا اليه ان الجراد
اتى على غلاتهم ليس من المروءة ان تكونوا بضيافة الجراد
اقلمنا وقد امرنا ان يحط عنكم نصف خراجكم **وقع**
المامون الى الرستمي ليس من المروءة ان تكون انيتك
من الذهب والفضة وجارك طاوٍ وغريمك عارٍ
فصل في المروءة والكرم قال ابراهيم بن السندي
ابن شاهك قلت في ايام ولاية الكوفة لرجل من

اهلها

اهلها كان لا تجف كبده ولا يستريح قلمه ولا تسكن
حركته في طلب الحوايج للناس وادخال المرافق على الضعفا
وكان وجيها ذا مروة خبرني عن ما هون عليك هذا النصب
فقال قد والله سمعت تغريد الاطيار بالاسحار على الاشجار
واصوات القيان في خفق اوتار العيدان فما طربت قط
كطربي من ثنا حسن على رجل محسن فقلت لله انت فقد
حشيت مروة وكرما وكان المعلى ابن ايوب صديقا
له ضعيف فاعاده فراى في حاله علة وخلة فاسر الى
وكيله فذهب وعاد ومعه خمسماية دينار مختومة في
قرطاس فوضعها بين يدي العليل وقال هذا دواوك
فاستعمله ونهض ففتحها العليل عن منية المتمني فغير
حاله فلما دار الاسبوع عاده فراه متماسكا فقال له كيف
وجدت الدوا فقال يا سيدي وجدته نافعا لعلتي وحالي
فقال اتريد زيادة قال نعم يا مولاي فقال للوكيل اذهب
وجينا بمثل ذلك الدوا فذهب وجاه بمثلها ونشط العليل
من العلة فقال هذه اعادة حياة لا عيادة وقف
الرشيد بعرفة فجا غلمان الشراب على اكتافهم المناديل
فقال اذهبوا فانتم احرار وامرلهم بمال فجاوز الحد فقال
الفضل بن الربيع امير المومنين قد قضى حقوق المروة
والكرم والبر والاجر وبكى الناس وقالوا هذا عبدك
اعتق عبيده ونحن عبيدك فاعتقنا من النار وقال

مسلم بن سعد كاتب ام جعفر زبيدة رفعت اليها حساب
غلاتها فخرج توقيعها انا احمد الله على نعمته واساله
اذ وسع علينا ان يجعلنا موسعين لحاشيتنا ولا يجعلنا
محاسبين وكان اثمان الغلاة عشرين الف الف درهم
وقال ابو العينا لا مروة لكذوب ولا لمن زاد ماله
على عرضه وقال ابن عايشة لولا ان المروة صعب
محملها لما ترك اللئام منها للكرام بيتة ليلة فصل
في مروة الدور دار الرجل عشه وفيها عيشه وهي
مقر نفسه وماوي الفته وحرز ماله ومجمع مروته
وما احسن ما قال القايل

ومن المروة للفتى ، ما عاش دار فاخره
فاصنع من الدنيا لها ، واعمل لدار الاخره

ولما دخل ابن الموفق البصرة وطافها وراى حسن
دور المهالبة فيها قال صدق والله من قال المهالبة
قريش اليمن وهذه منازل قوم تشهد لهم بالمروة والسود
وكان جعفر الصادق ابن محمد يقول من سعادة المرء
سعة داره وحسن مجلسه ونظافة متوضاه وقال
ابو الحسن بن سوادة الرازي اذا اجتمع في دار الحمام
والقصر والبستان وبيت الضيافة وخزانة الكتب
فقد اجتمعت فيه المروة فصل في الهدية وهي
سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ورسم الملوك

واستمالة

واستمالة القلوب وعماد المروة ومفتاح المودة وهي
اللطف الاكبر والسحر الاعظم **وقال** الشيخ ابو
الفضل الميكالي هدية الاخوان بر ولطف وهدية
السلطان جوز وشرف **وكتب** عبيد الله بن عبد الله
بن طاهر الى اخيه محمد مع اربع خواتيم اهداها اليه
قد بعثت الى الامير ايده الله اربع خواتيم احدها ياقوت
للمروة والثاني فيروزج للفال والثالث عقيق للسنة
والرابع حديد صيني للحرز **وكتب** ابو سعيد الى صديق
له قد بعثت الى سيدي من الات المروة الشموع التي
تجعل الليل نهارا والند الذي اذا دخل الدار حكى رايحة
الجنة وماء الورد الذي هو غذاء الروح وكتاب كذا
وهو الجليس الاكبر الافضل فان راي ان يسرني بقبولها
ويوقع الي بحصولها **فصل** في المال وما يعتمد
فيه من المروة **قال** بعض الفضلا وما ل المرء موئله
وعمدته وجماله ومروته **وقال** بعض السلف المروة
اصلاح المال وحسن التدبير وتعهد الضيف والافضال
على الاخوان **وكان** محمد بن سليمان بن علي يشغل
بالبصرة كل يوم ثلاثة الاف مولى وكان من دعائه
اللهم وسع علي فانه لا يسعني الا الكثير وارزقني
مروة ومجدا فانه لا مروة الا بالفعال ولا مروة الا
بالمال **وقال** ابن المعتز في فصوله القصار المروة

والانيس [illegible]

ان تكسب ببعض مالك المحامد وتتصوّن ببعضه عن
المسالة وقال بعضهم من اقام مروته بغير مال كثير
فلله درّه وناهيك به وقال سالم بن عمرو في مثله
وهو يعني يحيى بن خالد البرمكي

وفتى خلا من ماله ، ومن المروة غير خال
اعطاك قبل سواله ، وكفاك مكروه السوال

وقال سهل بن هارون الكاتب

رزقت لبًّا ولم ارزق مروّته ، وما المروة الا كثرة المال
اذا اردت مساماة تقاعدني ، عمّا ينوّه باسمي رقة الحال

وقال آخر

ولو مدّ سروري بمال كثير ، لجدت ولم اك بالباخل
فانّ المروة لا تستطاع ، اذا لم يكن مالها فاضلا

وقال آخر

احتل لنفسك ايها المحتال ، فمن المروة ان يرى لك مال
انّي رايت الموسرين اعزّة ، والمعسرين عليهم الاذلال

وقال شبيب بن شيبة ان كنتم تحبّون المروة فاصلحوا
اموالكم فانكم لا تزالون ذوي مروات ما استغنيتم
عن عشيرتكم وقال غيره المال والمروة رضيعا لبان
وشريكا عنان وفرسا رهان وقال ابو منصور الثعالبي
النيسابوري المروة ان تكون بمالك متبرّعا وعن مال
غيرك متورّعا فصل في مروة النسا قال مسلمة

بن عبد الملك ما اعان على مروة الرجل كالمراة الصالحة
وهي احدى الحسنيين **وشكا** صديق لابن عايشة القرشي
سوء خلق امراته فقال عجل بتطليقها فانها تهرم المرء
قبل هرمه وتذهب بمروته وكرمه **وكان** بعض المشايخ
يقول من اراد المروة وحفظ خزانته فالحرة ومن اراد
اللهو والسرور فالسرية **وقال** ابو منصور الثعالبي
في كلام له بعض النسا للمروة والمعونة وبعضهن
للرعونة والاخلاق الملعونة **وقال شعر**

سارسل بيتاً قد تحلت بر الذهبي ، كما يتحلى معصم بسوار
اذا لم يكن في منزل المرء حرة ، مدبرة ضاعت مروة دار

وكان انوشروان يقول من لا امراة له فلا مروة له
ومن لا ولد له فلا سرور له ومن ليست له هاتان فلا
هم له **ذكر النسا وعاداتهن** اعلم ان جملة النسا على
عشرة اصناف كل واحدة تشبه صفة بعض
الحيوانات فالواحدة كالخنزير والثانية كالقرد والثالثة
كالكلب والرابعة كالحية والخامسة كالبغلة والسادسة
كالعقرب والسابعة كالفارة والثامنة كالطير ه
والتاسعة كالثعلب والعاشرة كالغنمة **تفسيرهن**
اما التي عادتها كعادة الخنزير فهي التي لا تحسن غير الاكل
وحشو البطن والكسر كالونية ولا تبالي اين مضت ولا
تهتم بالدين والصلاة والصيام ولا تفتكر في الموت

والثواب والعقاب والامر والنهي بل تكون غافلة عن رضاء
الله تعالى وسخطه ولا تشتغل بحفظ الاولاد وتاديبهم
وتعليمهم القران والعلم وتلبس الثياب القذرة وتظهر
منها الرايحة الكريهة واما التي عادتها كعادة القرد
فهي التي تكون عادتها همتها في لبس الثياب الملونة
من الاصفر والاحمر والاخضر ولبس اللولو والجواهر والذهب
والفضة وتفتخر على اقرانها وتعظم منزلتها عند زوجها
كان حالها اينا في ذلك واما التي عادتها كعادة الكلب
فهي التي اذا كلمها زوجها وثبت في وجهه وصاحت
عليه وخاصمته ووهرت عليه كالكلبة ومتى ابصرت
كيس زوجها ملانا من الذهب والفضة وبيته محشوا بالخير
والنعمة والحنطة والفاكهة اكرمته وتقربت اليه وقالت
له روحي لك الفدا ولا لقاك الله مكروها وانا اموت
قبلك ومتى كان حاله بخلاف ما ذكرناه وثبت في وجهه
وشتمته وتنقصت بحسبه ونسبه واخرجته من بيته
وعيرته بالفقر ولا تسكت يومها ابدا واما التي كالحية
فهي التي تلين كلامها لزوجها وتضمر له شرا ولا تريد
له خيرا فهي لين لمسها قاتل سمها واما التي عادتها
كعادة البغلة فهي التي تكون حرونة كالبغلة اذا وقفت
على الجسر لا تبرح من مكانها وتكون لجوجة منفردة برايها
معجبة بنفسها واما التي عادتها كعادة العقرب

وهي

فهي التي تدور في بيوت الجيران بالنميمة والغمز مثل العقرب
واين وصلت ضربت بحمتها ولا تخاف ان تكون من الذين
قال في حقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتات لا يدخل
الجنة واما التي عادتها كعادة الفارة فهي المراة السارقة
التي تحل كيس زوجها وتسرق منه وتخبي في بيوت الجيران
وتسرق من امتعته واسبابه وتعطيه للغزالات واما
التي عادتها كعادة الطير فهي التي تدور نهارها ولا تستريح
من دورانها وتقول لزوجها اين تمضي ولا شك انك
ما تريدني وانك تحب غيري ولست معي مستقيما
ولا علي مشفقا واما التي عادتها كعادة الثعلب
فهي التي اذا خرج زوجها من البيت فتحت عليه اكلة
ونامت وتعللت واذا دخل زوجها البيت فتحت عليه
باب الخصومة وابتدائه بالنقار وتقول تركتني في
البيت وحيدة مريضة واما التي عادتها كعادة الغنمة
فهي المباركة الرحيمة كالغنمة التي كل شيء منها فيه
منفعة وكذلك المراة الصالحة الكثيرة النفع المشفقة
على زوجها وجيرانها وقرابتها واهل بيتها واولادها
المطيعة لربها حكمة قال بعض الحكما النسا على
اربعة انواع امراة كلها للرجل وامراة نصفها للرجل
وامراة ثلثها للرجل وامراة هي عدوة للرجل تفسير
ذلك اما المراة التي كلها للرجل فهي البكر واما المراة التي

نصفها للرجل فهي الراجع والتي ثلثها للرجل فهي التي قد
مات زوجها الاول ولها منه ولد واما التي عدوة
للرجل فهي المطلقة التي زوجها بالحياة ولها منه
ولد وقلبها معه فاعلم اذا ان خيرهن البكر فصل
فيما تنتهي عنه المروة كان بعض المشايخ يقول خلال
تنافي المروة الاكل في السوق ومحادثة النساء
في السكك والاغتسال في غير منزلك وذكر المرزباني
عن الرياشي قال جلس ابو نواس الى نفر من قريش فذكروا
صديقا له فعابوه فقام ابو نواس فاستجلسوه فقال
ليس من المروة ان اجالس قوما يذمون صديقي وانشد

لا اعير الدهر سمعي ، من يعيبوا لي حبيبا
احفظ الاخوان كيما ، يحفظوا منك المعيبا

وقال صديقي الشيخ يوسف الملوي وقد غير القافية
واستوفي المعنى

لا اعير الدهر سمعي ، معشرا عابوا حبيبي
احفظ الاخوان كيما ، يحفظوني في مغيبي

وكان علي بن مهدي نديم ابن المعتز يحمل على نفسه
لضيفانه ويوثرهم باطايب طعامه ولا ينال منها
ما يغني عن جوع حتى اضر به واثر في جسمه فقال له ابو
المعافا الصوفي لا تهدم جسمك بعمارة مروتك
وانظر لنفسك ثم لضيفانك وكان ابو احمد العسكري

يقول

يقول الكريم اشد ما يكون اضاقة اظهر ما يكون مروة
وقال ابو منصور الثعالبي في المعنى
لي فاقة غطيتها بتجمل، وتحمل وتمحل وتستر
والحال ظاهرها مروة موسر، لكن باطنها خصاصة معسر
وكان ابو نواس يقول ليس من المروة مدح الرجل نفسه
وكان علي بن يحيى بن ابي منصور المنجم من الكرم
والسودد ومحاسن الشيم بحيث يضرب به المثل قل
ما مدحه كل من يقول قافية من شعر اعصره وللخاص
والعام من فضلاء وقته كالبحتري وابن الرومي وابي
السمط ويزيد المهلبي وعبد الله بن المعتز وعبيد الله بن
عبد الله بن طاهر واحمد بن ابي طاهر وابي هفان وابي
علي الكناني والحسن بن شاكر وغيرهم فاكثروا ومدح هو
ايضا نفسه فقال مع قول الله عز وجل ولا تزكوا انفسكم
بيتين من الشعر
علي بن يحيى جامع لمحاسن، من العلم مشهور بكسب المحامد
فلو قيل هاتوا فيكم اليوم مثله، لعز عليهم ان يجيئوا بواحد
فاستهدف لسهام العائبين وتناولته السن العذال
بالثلب وما احسن قول من قال
العيب في الجاهل المغمور مغمور، وعيب ذي الشرف المذكور مذكور
كفوفة الظفر تخفى من مكانتها، ومثلها في سواد العين مشهور
وانشد يوما في بعض المجالس بحضرته بيتان فقال

بعض الحاضرين يا ابا الحسن ما اقبح العروس تضرب
الدف بيديها فاستحي وخجل وكثيرا ما كان ينشد في
زلته التي كان عليها من النادمين شعر

واصبحت لا استطيع رد الماضي كما لم يرد الدر في الضرع حالبه

الباب التاسع في الصبر على المصايب والامور الصعايب

قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر
في القران في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الخيرات
والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قايل
وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال
تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل بما
صبروا وقال ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن
ما كانوا يعملون وقال اولئك يؤتون اجرهم
مرتين بما صبروا وقال انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب فما من قربة الا واجرها بتقدير وحساب
الا الصبر ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف
الايمان قال تعالى الصوم لي وانا اجزي به فاضافه
الى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين
بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين
وعلق النصر على الصبر وقال بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين امور لم

جمعها

يجمعها لغيرهم وقال اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدي
والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين واستقصا
جمع الايات في مقام الصبر يطول واما الاخبار فقد
قال صلي الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان
وقال صلي الله عليه وسلم الصبر كنز من كنوز
الجنة وسيل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا
يشبه الحج عرفه وروي جابر رضي الله عنه انه
سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الايمان
فقال الصبر والسماحة وقال ايضا الاعمال
ما اكرهت عليها النفوس وقيل اوحي الله الي
داود عليه السلام تخلق باخلاقي وان من اخلاقي
اني انا الصبور وفي حديث عطا عن ابن عباس
رضي الله عنهما لما دخل رسول الله صلي الله عليه
وسلم علي الانصار فقال امومنون انتم فسكتوا
فقال عمر نعم يا رسول الله فقال وما علامة ايمانكم
فقالوا نشكر علي الرخا ونصبر علي البلاو ونرضي بالقضا
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم مومنون ورب
الكعبه وقال صلي الله عليه وسلم في الصبر علي
ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم
لا تدركون علي ما تحبون الا بصبركم علي ما تكرهون

وقال صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار في هذا المعنى ما لا تحصى واما الاثار فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران احدهما افضل من الاخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تعالى واعلم ان الصبر ملاك الايمان وذلك بان التقوى افضل البر والتقوى بالصبر وقال علي كرم الله وجهه بني الايمان على اربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمة العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير واشار به الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرا هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ايما رجل حبسه السلطان ظلما فمات في حبسه مات شهيدا وان

ضربه فمات فهو شهيد فاتضح لك ان العبد لا يدرك
منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء وكان
الصالحون يفرحون بالشدة لاجل الذنوب لان فيها
كفارة الذنوب **وحكى** ان امراة من بني اسرائيل
لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت
امرها الى الله ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف
ريشها نبت جميعه في وجهه فسعى في ازالته فلم
يقدر على ذلك الى ان اتى حبرا من احبار يهود بني
اسرائيل فشكى له ذلك فقال لا اجد لك دواء الا ان
تدعوا عليك هذه المراة فارسل من قال لها اين دجاجتك
فقالت سرقت فقال لقد اذاك من سرقها فقالت قد
فعل ولم تدع قال وقد فجعك في بيضها فقالت هو
كذلك فما زال بها حتى اثار الغضب منها فدعت
عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر
من اين علمت ذلك فقال لانها لما صبرت ولم تدع عليه
انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه
سقط الريش من وجهه **فالواجب** على العبد ان
يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم
ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا **ولمؤلفه
في المغني**
توكل على مولاك في كل حالة، ولا تشتكي من ضر دين ولا عسر

فان الغني الرزاق قد جل قدره ، سيعقب بعد العسر امرك باليسر

ولمؤلفه ايضا

وعاقبة الصبر الجميل سلامة ، تصبر عسى تلقى من الله مفرجا
ومن يتق الله الحسيب فحسبه ، سيجعل له مما يعانيه مخرجا

ولمؤلفه ايضا

ايا من بات في ضيق ، وكرب لا تخف واصبر
فرب العرش مولانا ، لطيف جابر يقدر

وقال زهير بن ابي سلمى

ثلاث تعوز الصبر عند حلولها ، ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها ، وفرقة اخوان وفقد حبيب

ومن كلام الحكما ما جوهد الهوى بمثل الراي ولا استنبط الراي بمثل المشاورة ولا حصنت النعم بمثل المواساة ولا اكتسب البغضاء بمثل الكبر ولا استنجحت الامور بمثل الصبر قال نهشل الشاعر

ويوم كان المستظل محرم ، وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما ، تفرج ابواب الكريهة بالصبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال لا دوآء لداء الدهر الا بصبر الصبر وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخبرني جبريل عن الله تبارك وتعالى انه قال ما ابتليت عبدي ببلية في نفسه او ماله او ولده فتلقاها بصبر جميل الا

استحييت

استحييت يوم القيمة منه ان ارفع له ميزانا
وانشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم من
ابتلي ببلاء فكتمه ثلاثة ايام صبرا واحتسابا
كان له اجر شهيد وسمع الفضيل يشكو رجلا
بلاء نزل به فقال يا هذا تشكو من يرحمك الى من لا
يرحمك وقال بعضهم في المعنى
لا تشكون لغير ربك حالة ، فهو العليم وغيره لا يعلم
واذا شكوت الى العباد فانما ، تشكو الرحيم الى الذي لا يرحم
قال الشيباني اخبرني صديق لي قال شكوت
الى صديق لي بعض ما غمني فسمعني شيخ فاخذ بيدي
وقال يا ابن اخي اياك والشكوى الى غير الله فلا يخلو من
من تشكو اليه ان يكون صديقا او عدوا فاما الصديق
فتحزنه ولا ينفعك واما العدو فيشمت بك انظر
الى عيني هذه واشار الى احدى عينيه وقال فوالله
ما ابصرت بها شخصا ولا طريقا منذ خمس عشرة
سنة وما اخبرت به احدا الى هذه الغاية اما سمعت
قول العبد الصالح انما اشكو بثي وحزني الى الله
فاجعله موردك ومفزعك عند كل نائبة تنوبك
فانه اكرم مسؤول واقرب مدعو اليه وكتب عقيل
بن ابي طالب الى اخيه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
يسأله عن حاله فكتب اليه هذا الشعر

فان تسئلني كيف انت فانني ، جليد على ريب الزمان صليب
عزيز علي ان ترى بي كآبة ، فيفرح واش او يساء حبيب
وقيل ان احنف بن قيس شكى وجع ضرسه لعمه
فقال له يا احنف اراك تشكو من ضرس ان ضرسك ليلة
واحدة والله ان لي بذلك نحو ثلاثين سنة ما اشعرت
احدا شعر بذلك غيرك في هذا الوقت وكان ابن شبرمة
اذا نزلت به نازلة يقول سحابة صيف عن قليل تقشع
وكان يقول اربع من كنوز الجنة كتمان المصيبة
وكتمان الصدقة وكتمان الفاقة وكتمان الوجع وقال
الاشعث بن قيس دخلت على امير المؤمنين علي بن ابي
طالب رضي الله عنه فوجدته قد اثر فيه صبره على العبادة
الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا امير المؤمنين الى كم
تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادني على ان قال شعر

اصبر على مضض الادلاج في السحر ، وفي الرواح على الطاعات في البكر
اني رايت وفي الايام تجربة ، للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في امر يحاوله ، واستلزم الصبر الا فاز بالظفر

وقال آخر

اذا ما رماك الدهر يوما بنكبة ، فهيئ لها صبرا ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة ، فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا
وما مسني عسر ففوضت امره ، الى الملك الجبار الا تيسرا

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله قال كنت معتقلا

بالكوفة

بالكوفة فخرجوا يوماً من الحبس جميع من في السجن وقد
بقيت وحدي منفرداً فزاد همي وكادت نفسي ان
تزهق وضاقت علي الارض بما رحبت واذا برجل عليه
آثار العبادة قد اقبل علي ورأى ما انا فيه من الكآبة
فقال ما حالك فاخبرته القصة فقال الصبر الصبر
فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر
ستر الكروب وعون على الخطوب وروي عن ابن عمه رضي
الله عنه انه قال الصبر مطية لا تكبو وسيف لا يكل

وانا اقول

ما احسن الصبر في الدنيا واجمله، عند الاله وانجاه من الجزع
من شد بالصبر كفاً عند مؤلمة، الوت يداه بحبل غير منقطع
فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة
فقال ما يحضرني شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني

اقول

اما والذي لا يعلم الغيب غيره، ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مراً مذاقه، لقد يجتني من بعده الثمر الحلو
ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت احداً يعرفه ولا رآه
احد قبل ذلك في الكوفة ثم اخرجت في ذلك اليوم من
الحبس وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت
به ووقع في نفسي انه من الابدال انساً بحين ارسله الله
تعالى لي ليوقظني ويؤدبني وحكى التنوخي في كتابه

الفرج بعد الشدة عن بعض الهاشميين قال حبس امير
المومنين المهدي يعقوب ابن داود وزيره في جب
وبنيت عليها قبة فمكث خمسة عشر سنة حتى مضى
صدر من خلافة الرشيد وكان يدلى اليه في كل يوم
رغيف وكوز ماء ويوذن باوقات الصلاه فلما كان
راس ثلاث عشر حجج اتاه آت فقال

حنا على يوسف ربه فاخرجه ، من قعر جب وبيت حولها غم

قال فحمدت الله وقلت اتى الفرج قال ثم مكثت حولا لا
اري شيا ثم اتاني آت بعد الحول اتاني ذلك الاتي

فقال

عسى فرج ياتي به الله انه ، له كل يوم في خلقه امر

قال ثم اقمت حولا لا اري شيا ثم اتاني الاتي بعد الحول

فقال

عسى الكرب الذي امسيت فيه ، يكون وراءه فرج قريب
فيامن خائف ويفك عان ، وياتي اهله النائي الغريب

فلما اصبحت نوديت فظننت اني اوذن بالصلاة فدلي
الي حبل وقيل لي شد وسطك ففعلت فاخرجوني فلما
تاملت الضوء غشي بصري فانطلقوا بي فادخلت على الرشيد
فقيل لي سلم على امير المومنين فقلت السلام عليك
ورحمة الله وبركاته فقيل لي من امير المومنين فقلت المهدي
فقيل لي رحم الله المهدي سلم على امير المومنين فقلت

السلام

95

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقيل
لي من أمير المؤمنين فقلت الهادي فقيل لي رحم الله الهادي
سلم على أمير المؤمنين فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين
ورحمة الله وبركاته فقيل لي من أمير المؤمنين فقلت
أبو جعفر هارون الرشيد فكلمني الرشيد وقال وعليك
السلام يا يعقوب يعز علي ما نالك فجعلت المهدي
في حل وسعة وشكرته على تخليصي فقال الأيمن
عليك يحيى بن خالد ولا عين مما لأحد في إطلاقك
منه ولكني حملت على عتقي بنية لي فذكرت حملك
اياي على عاتقك وتمسحك اياي من الكتاب فأمرت
بإخراجك فدعوت له فأمر لي بخمسمائة ألف
درهم ورد علي من ضياعي ما يغل خمسة آلاف دينار
في كل سنة وتقدم بعلاج عيني فعولجت شهوراً إلى
أن صرت أقرأ الخط الجليل فكان يدعوني ويخلو معي
ويحدثني فرأيت ذلك يسوء يحيى بن خالد فتنكر لي
كأنه خاف أن أغلب على أمير المؤمنين دونه فخفته
فاستأذنت الرشيد في الحج فأذن لي فذهبت إلى مكة
ولم أزل مقيماً بها فقيل ولم يزل بها حتى مات
حكى التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة قال
حدثني البهلول بن محمد بن إسحاق بن بهلول التنوخي
قال حدثني أبو علي الوكيل على أبواب القضاة

ببغداد ويعرف بالنّاقد قال كنت اقيم بخبر المسجونين
في المطبق بمدينة المنصور في ايام المقتدر فرايت في
المطبق رجلا مغلولا على ظهره لبنة حديد فيها
ستون رطلا فسالته عن قصته فقال انا والله مظلوم
فقلت وكيف كان امرك قال كنت ليلة من الليالي في دعوة
صديق لي بسوق يحيى فخرجت من عنده مغلسا وفي
الوقت فضل وانا لا اعلم فلما صرت في قطعة من
الشارع رايت مشاعل الطايف فهربت ولم ادر ما
اصنع فرايت دكانة خربة ففتحتها ودخلتها ورددتها
كما كانت وقمت في الدكان الى ان يجوز الطايف
فاخرج وبلغ الطايف الى الموضع الذي انا فيه فقال
بعضهم فتشوا هذا الدكان فدخلوا ومعهم مشعل
فراوا رجلا مذبوحا وعلى صدره سكين فجزعت ورا[وني]
واقفا فلم يشكوا اني القاتل فاخذني صاحب الشرطة
فحبسني ثم عرضت فضربت ضربا عظيما وعوقبت
اصناف العقوبات وانا انكر وعندهم اني اتجلد وهم
يزيدونني فاجتمع اهلي وكانت لهم شعب باسباب
السلطان فتكلموا فيّ واستشهدوا ناسا كثيرا على
ستري فبعد شدايد اعفيت من القتل ونقلت الى
المطبق وثقلت بالحديد كما [ترى] منذ ستة عشر سنة
قال فتوجعت له وتهت من حديثه فقال ما كلاع والله

مااليس

ما آيس مع هذا من تفضل الله عز وجل فان من ساعة الى
ساعة فرج قال فوالله ما خرج كلامه من فيه حتى ارتفعت
ضجة عظيمة وكسر الحبس ووصلت العامة الى المطبق
ومطاميرها واخرجوا كل من في السجن وخرج الرجل في
جملتهم فانصرفت وقد فرج الله عن الرجل وعن من كان
معه ولمؤلفه في المعنى

كن صبورا يا حبيبي حامدا ، شاكرا للحق ما بين الملا
واذا ما نابك الدهر فقل ، يا جميل الستر اذ عم البلا

ولما حبس ابو ايوب في الحبس خمس عشرة سنة ضاقت
حيله وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكوا طول
حبسه وقلة صبره فورد عليه جواب رقعته وهو يقول

صبرا ابا ايوب صبر مبرح ، فاذا عجزت عن الامور فمن لها
ان الذي عقد الذي عقدت به ، عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة ، ولعلها ان تنجلي ولعلها

فاجابه ابو ايوب

صبرتني ووعظتني وانا لها ، وستنجلي بل لا اقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها ، كرما اذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك الا اياما حتى اطلق مكرما وقال بعضهم

على قدر فضل المرء تاتي خطوبه ، ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يتقيه اصطباره ، لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي

الله عنها يا عايشة ان الله تعالى لم يرض من اولي العزم
من الرسل الا بالصبر ولم يرض الا ان كلفني ما كلفهم
فقال عز وجل فاصبر كما صبر اولي العزم من الرسل
واني والله لاصبرن كما صبروا فالنبي صلى الله
عليه وسلم لما صبر كما امر اسفر وجه صبره عن
ظفره ونصره وكذلك اوليك الرسل صلوات الله عليهم
اجمعين الذين هم اولي العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا
وقيل كتب يوسف الصديق الى يعقوب عليهما
الصلاة والسلام ان اباك صبروا فظفروا فاصبر
كما صبروا تظفر كما ظفروا **وقد** اختلف اهل
العلم فيهم على اقوال كثيرة فقال قتادة هم نوح وابراهيم
وموسى وعيسى عليهم السلام **وقال** مقاتل رضي الله
عنه هم ستة نوح وابراهيم واسحاق ويعقوب
ويونس وايوب صلوات الله عليهم **ذكر** ما صبروا عليه
حتى سماهم الله تعالى اولي العزم **واما** نوح صلوات
الله وسلامه عليه فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه
قد مات ثم يعود يخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى
هكذا حتى اذا ايس من ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكا
عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني هذا الشيخ
انظر اليه واعرفه ولا يغرك فقال له ابنه يا ابت

ماكني

امكنني من العصاة فاخذها من ابيه فضرب بها نوحا
عليه السلام وشج بها راسه وسالت الدماء على وجهه
فقال يا رب قد ترى ما يفعلون بي عبادك فان يكن لك
فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني الى ان تحكم فاوحى الله
تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا
تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا
رب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه
الماء انجي فيه اهل طاعتي واغرق اهل معصيتي قال
يا رب واين الماء قال انا على كل شيء قدير قال يا
رب واين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين
سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا انهم
يستهزؤن به فلما ادرك الشجر امره ربه فقطعها
وجففها فقال يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال
اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل يعلمه
واوحى اليه ان عجل عمل السفينة فقد اشتد غضبي
على من عصاني فلما بخرت السفينة جاء امر الله تعالى
بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الا من
معه وفار التنور فظهر الماء على وجه الارض وقذفت
السماء بامطار كافواه القرب حتى عظم الماء وصارت
امواجه كالجبال وعلا فوق اعلى جبال في الارض اربعين
ذراعا وانتقم الله سبحانه من الكافرين ونصر نبيه

نوحاً عليه السلام وفي تمام قصته وحديث السفينة
كلام مبسوط ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا
زبدة صبر نوح وانتصاره **واما** ابراهيم عليه الصلاة
والسلام فانه لما كسر اصنام قومه التي يعبدونها لم يروا
في قتله ونصرة آلهتهم ابلغ من احراقه فاخذوه وحبسوه
ببيت ثم بنوا حايراً كالحوش طول جدارها ستون ذراعاً
الى سفح جبل عالي ونادى منادي ملكهم احتطبوا
لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب احرق فلم
يتخلف منهم احد وفعلوا ذلك اربعين يوماً ليلاً ونهاراً
حتى كاد الحطب يساوي روس الجدران وسدوا
ابواب ذلك الحاير وقذفوا فيه النار وارتفع لهبها حتى كان
الطاير ليمر بها فيحترق من شدة حرها ثم بنوا بنياناً
شامخاً وبنوا فوقه منجنيقاً ثم رفعوا ابراهيم عليه
السلام على راس البنيان فرفع ابراهيم طرفه الى السماء
ودعى الله سبحانه وتعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل
وقيل كان عمره يومئذٍ ستة وعشرين سنة فنزل اليه
جبريل عليه السلام وقال يا ابراهيم الك حاجة فقال
اما اليك فلا فقال جبريل فاسال ربك قال حسبي من
سوالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كوني برداً وسلاماً
على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل فجلس
به الى الارض واخرج له عين ماء عذب قال كعب ما

احرقت

احرقت النار غير كتافه واقام في ذلك الموضع سبعة
ايام وقيل اكثر من ذلك ونجاه الله تعالى منها ثم
اهلك نمرود وقومه باخس الاشياء وهو البعوض وانتقم
الله منهم وظفر ابراهيم عليه السلام بهم فهذا
ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها
وفوض امره الى الله تعالى وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته
قضية ذبح ولده وامره الله تعالى بذلك فقابل امره
بالامتثال وسارع الى ذبحه بغير اهمال ولا امهال
وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير
مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته
الى طاعة مولاه وصبر على ما قدره وقضاه عوضه
الله عن ذبح ولده وفداه واتخذه خليلا من بين خلقه
واجتباه وقال بعضهم

فوحقه لا اسلمن لامره ۞ في كل ضائقة وشد خناق
موسى وابراهيم لما سلما ۞ سلما من الاغراق والاحراق

واما يعقوب عليه السلام فانه لما ابتلى بفراق
ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل
وكذلك يوسف عليه السلام لما ابتلاه الله سبحانه
تعالى بالقائه في ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد
وفراقه لابيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع
سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم

أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك
في الدنيا مع ملك النبوة في الآخرة **وأخذ** البحتري يسلي
محمد بن يوسف عن حبسه

وما هذه الأيام إلا منازل ، فمن منزل رحب إلى منزل ضنك
وقد هذبتك الحادثات وإنما ، صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك
أما في نبي الله يوسف أسوة ، لمثلك محبوس على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في السجن برهة فآل به الصبر الجميل إلى الملك

وأما أيوب عليه الصلاة والسلام فإنه ابتلاه الله
تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم
المهلك حتى أفضى أمره إلى ما تضعف القوة البشرية
عن حمله **ولنذكر** شيئاً مختصراً من هذا وهو أن ملكاً من
ملوك بني إسرائيل كان يظلم الناس فكلمه في
الظلم جماعة من الأنبياء وسكت عنه أيوب عليه
السلام لأجل خيل كانت لأيوب في مملكته فأوحى
الله تعالى إلى أيوب عليه السلام تركت كلامه لأجل
خيلك لأطيلن بلاءك فقال إبليس عليه اللعنة يا رب
سلطني على أولاده وماله فسلطه فجمع إبليس مردة
من الشياطين فبعث بعضهم إلى دوابه ورعاته
فاحتملوها جميعاً فقذفوها جميعاً في البحر وبعث
بعضهم إلى زروعه وجناته فأحرقوها وبعث
بعضهم إلى منازل أيوب وفيها أولاده وكانوا ثلاثة

عشر ولداً وخدمه واهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء
ابليس الى ايوب وهو يصلّي فتمثّل له في صورة رجل
من غلمانه فقال يا ايوب انت تصلّي ودوابك وزرعاتك
فذهبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع في البحر
واحرقت زرعك وانهدمت منازلك على اولادك
واهلك فهلك الجميع ما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال
الحمد لله الذي رزقني ذلك كله ثم قبله مني وقام الى
صلاته فرجع ابليس خايباً فقال يا ربّ سلّطني على
جسده فسلّطه فنفخ في ابهام رجله فانتفخ ولا
زال يسقط لحمه من شدّة البلاء الى ان بقي عظامه
تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب وفوّض امره الى
الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه والقوه
خارجاً عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة
بنت افراييم بن يوسف الصدّيق عليه السلام قد
سلّمت اليه فكانت تتردّد عليه تتفقّده فجاءها
ابليس يوماً في صورة شيخ ومعه سخلة وقال لها
يذبح ايوب هذه السخلة على اسمي فيبرأ فجاءته فاخبرته
فقال لها ان شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة تامرني
ان اذبح لغير الله فطردها عنه فذهبت وبقي ليس له من
يقوم به فلما رأى انه لا طعام له ولا شراب ولا احد
من الناس خرّ ساجداً وقال ربّ مسّني الضرّ وانت

ارحم الراحمين فلمّا علم الله تعالى منه ثباته على هذه
البلوي طول هذه المدّة وهي على ما قيل ثمانية عشر سنة
وقيل غير ذلك وانّه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكي الى
مخلوق ما نزل به عاده الله تعالى بالطافه عليه فقال
تعالى فكشفنا ما به من ضرّ وآتيناه اهله ومثلهم معهم
رحمةً منّا وافاض عليه من رحمته ونعمه ما انساه
به بلوي نقمه ومنحه من اقسام كرمه ان افتاه في
يمينه بتحلّة قسمه ومدحه في نصّ الكتاب فقال
تعالى وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث انّا
وجدناه صابراً نعم العبد انّه اوّاب فلولم يكن
الصّبر من اعلا المراتب واسني المواهب لما امر الله تعالى
به رسله الكرام ذوي الحزم وسمّاهم بسبب صبرهم
اولوا العزم وفتح لهم بصبرهم ابواب مرادهم وسؤلهم
ومنحهم من لدنه غاية مرامهم ومأمولهم فما اسعد من
اهتدي بهداهم واقتدي بهم وان قصر عن مداهم
واعلم انّ العسر يعقبه اليسر والشدّة يعقبها الرّخا
والتعب يعقبه الراحة والضّيق يعقبه السّعة والصّبر
يعقبه الفرج وعند تناهي الشدّة تنزل الرحمة والموفق
من رزق صبراً واجراً والشقيّ من ساق القدر اليه جزعاً
ووزراً ومما روي عن الحسن البصري رحمه الله انّه
قال كنت بواسط فرايت رجلاً كانّه قد نبش من

قص

قبر فقلت ما دهاك يا هذا فقال اكتم علي امري حبسني
الحجاج من ثلاث سنين فكنت في اضيق حال واسوء
عيش واقبح مكان وانا مع ذلك كله صابر لا اتكلم
فلما كان بالامس اخرجت جماعة كانوا معي في السجن
فضربت اعناقهم وتحدث بعض اعوان السجن ان غدا
يضربون عنقي فاخذني حزن شديد وبكاء مفرط
واجري الله على لساني فقلت الاهي اشتد الضر ونفد
الصبر وانت المستعان ثم ذهب من الليل اكثره فاخذتني
غشيه فاني لبين النائم واليقظان اذ اتاني آت فقال
لي قم وصلي ركعتين وقال يا من لا يشغله شيء عن شيء يا من
احاط علمه بكل شيء انت عالم بخفيات غيوب الامور
ومحصي وساوس الصدور وانت بالمنزل الاعلى وعلمك
محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يا مغيث اغثني
وفك اسري واكشف ضري فقد نفد صبري فقمت
وتوضات في الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته
منه ولم يختل علي منه كلمة واحدة فما تم القول
حتى سقط القيد من رجلي ونظرت الى ابواب
السجن فرايتها قد تفتحت فقمت وخرجت ولم يعارضني
احد فانا والله طليق الرحمن واعقبني الله بصبري فرجا
وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعني وانطلق
بقصد الحجاز وقال بعض الرواة دخلت مدينة

يقال لها داد فارقبينا انا اطوف في خرابها اذ رايت مكتوبا على باب قصر خراب **هذه الابيات**

يا من الح عليه الدهر والفكر، وغيرت حاله الايام والعبر
اما سمعت لما قد قيل في مثل، عند الاياس فاين الله والقدر
ثم للخطوب اذا احداثها طرقت، واصبر فقد فاز اقوام بما صبروا
فكل ضيق سياتي بعده سعة، وكل فوت وشيك بعده الظفر

وكان عروة بن الزبير صبورا حين ابتلي حكي انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطي عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطبا فاجمع رايهم على قطع رجله فقالوا اشرب مرقدا فقال ما احب ان اغفل عن ذكر الله تعالى فاحمي المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في اعضا فبينما هو على ذلك اذا اتاه خبر ولد انه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن اخذت واحدا لقد ابقيت جماعة **وقدم** على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فساله عن حاله وذهاب بصره فقال بت ليلة في بطن واد ولا اعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من مال واهل وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت

روضة

لاخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا
راس الذيب في بطنه وهو ياكل فيه فرجعت
الى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي
فاصبحت بلا عينين ولا ولد ولا اهل ولا مال فقال
الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الدنيا من
هو اعظم مصيبة منه وقال الشاعر

والخير لا ياتيك مجتمعا ، والشر يسبق سيله مطر

وسئل بزرجمهر عن حاله في نكبته فقال عولت
على اربعة اشيا هونت علي مما انا فيه اولها اني قلت
القضاء والقدر لا بد من جريانهما الثاني قلت ان
لم اصبر فما ذا اصنع الثالث قلت قد كان يجوز ان
يكون اشد من هذا الرابع قلت لعل الفرج قريب وقال
بعض الحكما استعن بالصبر على اعمالك ، واستظهر
بالورع على افعالك من صبر نال المنى ، ومن شكر خص بالنعما ،
من رضي بالقضا ، صبر على البلا ، من صبر على الخطوب
نال المطلوب ، من لم يصبر على المصايب ، عزت
عليه المطالب ، الصبر على المصايب ، من اعظم
المواهب ، الصبر على الغصة ، يودي الى الفرصة ،
تجرع الغصة ، تظفر بالفرصة ، عزيمة الصبر ،
تطفي الشر وقال الشاعر

اذا ابتليت فثق بالله وارض به ، ان الذي يكشف البلوى هو الله

اليأس يقطع احيانا بصاحبه، ولا تيأسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته، فما ترى حيلة فيما قضى الله

الباب العاشر في الامانة واجتناب الخيانة

قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان انه كان ظلوما جهولا **حدث** ابوبكر
الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ابا بكر عليك بصدق الحديث ووفاء بالعهد
وحفظ الامانة فانها وصية الانبيا **نزل** ناس من
محارب الى جنب المدينة فاشترى منهم النبي صلى الله عليه
وسلم جزورا بوسق تمر فلما ذهب وتوارى في بيوت
المدينة قالوا اعطينا رجلا لا نعرفه فقالت عجوز منهم
لقد رايت وجه رجل ما كان ليلبسه غدرا فما كان الا ان
ارسل اليهم فدعاهم ثم امر بالتمر فنثر على نطع ثم قال
كلوا فاكلوا حتى شبعوا ثم اوفاهم ثمنهم فقالوا ما راينا
كاليوم في الوفا **اتى** عمر رضي الله عنه بتاج كسرى
وسيفه ومنطقته وسواريه فراى فيه من الدر
واليواقيت شيئا لم ير قط فكره ان يمسه بيده فاخذ
عودا فجعل يقلب ذلك وينظر اليه فلما اطال النظر
اليه قال ان الذي ادى هذا الامين فقال له علي رضي الله
عنه يا امير المومنين انك اديت الامانة الى الله فلما

اديتها

اديتها اديت اليك وقال لقمان لابنه يا بني اذا كان
خازنك حفيظا وخزانتك امينة سدت في دنياك
وآخرتك يعني اللسان والقلب وقال ابن عباس رضي
الله عنهما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم التجار
فقال يا معاشر التجار ان الله باعثكم يوم القيمة فجارا
الا من صدق ووصل وادى الامانة وقال عبد الله
بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان فرجه
وقال هذه امانة استودعكها فالفرج امانة والاذن
امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا
ايمان لمن لا امانة له قيل مكتوب في التورية الامين
من اهل الاديان كلها عايش بخير وقال لقمان
لابنه يا بني كن امينا تعش غنيا وقال النبي صلى الله
عليه وسلم الامانة غنى وعنه عليه الصلوة
والسلام انه قال الامانة تجر الرزق والخيانة تجر
الفقر قال رجل لسلمان يا ابا عبد الله فلان
يقرئك السلام فقال اما انك لو لم تفعل لكانت امانة
في عنقك كان ابو العاص بن الربيع بن عبد العزى
بن عبد شمس ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم
على بنته زينب تاجرا تضارب قريش باموالهم فخرج
الى الشام سنة الهجرة فلما قدم عرض له المسلمون
فاسروه واخذوا ماله معه وقدموا به المدينة ليلا

فلما صلوا الفجر قامت زينب على باب المسجد فقالت
يا رسول الله اجرت ابا العاص وما معه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت ودفع اليه
جميع ما اخذ منه وعرض عليه الاسلام فابى وخرج
الى مكة ودعا قريشا فاطعمهم ثم دفع اليهم
اموالهم فقال هل وفيت قالوا نعم قد اديت الامانة
ووفيت فقال اشهدوا جميعا اني اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما منعني
ان اسلم الا ان يقولوا اخذ اموالنا ثم هاجر فاقره
رسول الله صلى الله عليه وسلم على النكاح وتوفي سنة
اثنتي عشرة من الهجرة **حكي** انه كان بمدينة مرو
رجل يقال له نوح بن مريم وكان رئيس مرو وقاضيها
وكان له نعم كثيرة وحاله موفورة وكانت له بنت ذات
حسن وجمال وبهاء وكمال فخطبها منه جماعة من
اكابر الرؤسا وذوي النعمة والثرا فلم ينعم بها لاحد
منهم وتحير في امرها ولم يدر لايهم يزوجها وقال
ان زوجتها لفلان اسخطت فلانا وكان له غلام هندي
ديّن تقي اسمه مبارك وكان له كرم عامر كثير الاشجار
والفواكه والثمار فقال للغلام اريد ان تمضي وتحفظ
الكرم فمضى الغلام واقام في الكرم شهرين فجا بعض
الايام الى الكرم وقال يا مبارك ناولني عنقودا عنبا

فناوله

فناوله عنقودا فوجده حامضا فقال له سيده اعطني
من غير هذا فناوله عنقودا حامضا فقال له سيده
ما السبب في انك لا تناولني الا من هذا الكرم الحامض
فقال لانني لا اعلم الحامض من الحلو فقال سيده
سبحان الله لك مدة شهر من مقيم بالكرم ولا تعرف
الحامض من الحلو فقال وحقك يا سيدي انني ما ذقته
ولا اعلم حامض هو ام حلو فقال سيده لم لم تاكل منه
فقال لانك امرتني بحفظه ولم تامرني باكله فما كنت
اخونك فتعجب منه القاضي وقال حفظ الله امانتك
عليك وعلم القاضي ان الغلام غزير العقل فقال له
القاضي ايها الغلام قد وقع لي فيك رغبة وينبغي ان
تفعل ما امرك به فقال انا الطايع لله ولك فقال
القاضي اعلم ان لي بنتا جميلة وقد خطبها كثير من الاكابر
المتقدمين ولا اعلم لمن ازوجها فاشر علي بما ترى
فقال له الغلام اعلم ان الكفار في زمان الجاهلية
كانوا يريدون الاصل والنسب والبيت والحسب واليهود
والنصارى يريدون الحسن والجمال وفي عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يطلبون الدين
والتقى وفي زماننا هذا يطلبون المال والجاه فاختر
الان من هذه الاربعة اشيا ما تريد فقال القاضي
يا غلام قد اخترت الدين والتقوى واريد ازوجك

ابنتي لاني قد وجدت فيك الصلاح والديانة فقال
الغلام ايها السيد انا عبد رقيق اسود ابتعتني بمالك
كيف تزوجني بابنتك وكيف تختارني وترضاني
فقال القاضي قم بنا الى البيت لنتدبر هذا الامر فلما صار
الى المنزل قال القاضي لزوجته اعلمي ان هذا الغلام
الهندي دين تقي قد رغبت في صلاحه واريد ان
ازوجه بابنتي فما تقولين فقالت الام الرأي لك ولكن امض
واعلم الصبية واعد الي جوابها فجاءت الام الى
الصبية فادت اليها رسالة ابيها فقالت الصبية
مهما اردتما بي فعلته ولا اخرج عن حكم الله وحكمكما
ولا اعقكما بالمخالفة لامركما فزوج القاضي ابنته
بمبارك واعطاهما مالا عظيما فاولدها مبارك ولدا
وسماه عبد الله وهو معروف في جميع العالم بعبد الله
بن المبارك صاحب الزهد والعلم ورواية الحديث وما
دامت الدنيا فالحديث عنه يروى فانظر يا اخي الى
عاقبة الامانة ما اجملها بسبب امانته صار صهرا
وتزوج كريمة مولاه وَمِمَّا يُضَاهِي هذه الحكاية هو ان
احمد بن طولون رحمه الله كان يربي الاطفال الذين
يجدهم مطروحين في الاسواق والطرقات ويقيم لهم
الكوافل ويجري عليهم ما يكفيهم من النفقة رغبة
في الثواب فوجد يوما في جامعه طفلا فالتقطه

ورباه

وربّاه وسمّاه احمد باسمه واشتهر باليتيم فلمّا كبر
وانتشا وكان اكثر الناس ذكاء وفطنة فصار احمد بن طولون
يرعاه ولمّا حضرته الوفاة اوصى ولده ابا الجيش خمارويه
به فاخذه بعده وقال له انت عندي بمكانة ذراعك
لها غير انني آخذ العهد على كل من كان اصرّفه في امر من
اموري انه لا يخونني فعاهده وجعله اقرب الناس اليه
وصرّفه في امواله وقدّمه على سائر اتباعه فصار احمد
مستحوذا على جميع الامور وكلّما راى منه خمارويه
النصح ركن اليه واعتمد في اسبابه عليه فقال له يوما
يا احمد امض الى الحجرة الفلانيّة ففي المجلس الذي كنت فيه
مسبحة بجوهر فجئني بها فمضى احمد فلمّا دخل الحجرة
وجد جارية من حظايا الامير مع غلام من الفراشين
ممّن هو من الامير بمحلّ قريب فلمّا رآياه خرج الفتى وجاءت
الجارية الى احمد فعرضت نفسها عليه ودعته الى
قضاء وطر فقال معاذ الله ان اخون الامير وقد
احسن اليّ واخذ العهد عليّ ان لا اخونه ثمّ تركها ومضى
الى الامير بالسبحة فدفعها اليه وبقيت الجارية شديدة
الخوف من احمد متوقّعة منه ان يذكر للامير ما راه منها
ومن الغلام فبقيت اياما ولم تر من الامير ما تنكره من حاله
فقد اتفق ان الامير اشترى جارية وقدّمها على حظاياه
وغمرها بعطاياه واشتغل بها عن غيرها من الجواري

وكان قبلها مشغوفاً بتلك الجارية فلما اشتغل عنها
بالجديدة فكبر عليها اعراض الامير عنها وظنت احمد
اليتيم وشى منها اليه فتغيرت محاسنها وعلاها صفرة
وكآبة فدخلت يوماً على الامير وبكت بكاءً مفرط فقال
لها الامير ما دهاك فقالت ان احمد اليتيم راودني عن
نفسي فلما سمع الامير ذلك منها استشاط غضباً وهم
في الحال بقتله ثم عاوده عقله فتأنى واستحضر خادماً
يعتمد وقال له اذا ارسلت اليك انساناً ومعه طبق
وقال لك على لساني املأ هذا الطبق مسكاً فاقتل ذلك
الانسان واجعل راسه في الطبق واحضره مغطى ثم ان
الامير جلس لشربه وحضر عنده ندماؤه واحمد اليتيم
واقف بين يديه فلما تمثل الامير قال يا احمد خذ
هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يملأه
مسكاً فاخذ احمد الطبق ومضى واجتاز في طريقه
بالمغنيين وبقية الندما والخواص فقاموا اليه وسالوه
الجلوس ساعة فقال انا ماض في حاجة الامير فقالوا
له نرسل من ينوب في احضارها وخذها وادخلها على
الامير فاداره عينه فراى ذلك الفتى الفراش الذي
كان مع الجارية فاعطاه الطبق وقال له امض الى
فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا مسكاً
فمضى الغلام الفراش الى الخادم وبلغه الرسالة فقتله

وقطع

وقطع راسه وغسله وجعله في الطبق وغطاه
فاقبل به وناوله لاحمد اليتيم وليس عنده علم من
باطن الامر فلما وصل به الى الامير كشفه وتامله وقال
ما هذا فقص عليه القصة وخبره مع الندما وما كان
من انفاذه الطبق مع الفراش وانه لا علم عنده غير ان
ما ذكره فقال له الامير هل تعلم لهذا ذنب استوجب
به ما جرى عليه فقال ايها الامير الذي جرى عليه استوجبه
بما ارتكب من خيانتك ثم حدثه بما شاهده منه وحديث
الجارية معه من اوله الى آخره فدعا ابو الجيش بالجارية
واستقرها فاقرت بصحة ما قاله احمد واخبرت كما اخبر
لم تزد ولم تنقص فاعطاها لاحمد وامر بقتلها ففعل
وازدادت مكانة احمد عند ابو الجيش خمارويه
وجعل ازمة امور بيديه فانظر يا اخي الى عاقبة
الامانة ما اجملها والى منتهى الخيانة ما اقبحها
ومما حكي السهيلي في نوادره قال كان بمكة
رجل مجاور فبينما هو يطوف بالبيت في بعض الايام
اذ عبرت رجله بشي فاذا هو كيس مملو بالدنانير فذهب
به الى منزله وطلب ان يعرف عنه فنازعته نفسه
وقال ليس هذا بلقطة انما هو كنز فلم يزل تغلبه النفس
ويغلبها الى الصباح ثم انه ذهب الى الحرم وانتظر
هل احد ينشد ضالة فلم يسمع احدا فعاد به الى

منزله ولم يزل يتردد به إلى أن سافر الحجاج فالقاه في
متاعه إلى أن حال الحول وعاد الحجاج فخرج على عادته
يترقب من ينشد ضالة فسمع رجلا أعجميا ينشد ضالة
فدنى منه وقال ما ضالتك فقال كيس فيه ألف دينار
وقد جعلت لمن وجده ثلاثين دينارا فأخرج له الرجل
الكيس وأخذ منه ثلاثين دينارا ثم مضى إلى سوق الرقيق
فرأى غلاما فساوم فيه صاحبه فطلب ثلاثين دينارا
فدفعها له وأخذ الغلام ومضى به إلى منزله فتبناه
وأكرمه وأحسن تربيته فرأى مولاه يوما غلامين
دخلا عليه فساراه طويلا ثم دفعا وعادا في اليوم
الثاني ففعلا كذلك ثم في اليوم الثالث كذلك إلى ثلاث
مرات فاستخبر مولاه عن قصة الغلامين فقال له
يا مولاي إن أبي ملك الحبشة فاتفق أن عدوا له حاربه
وهزمه وقتل أبطاله وأسر خلقا كثيرا من شيعته فأسرت
من جملتهم وباعوني وإن أبي دفع لهذين الغلامين
خمسين ألف دينار وأمرهم أن يفدوني بها فإذا حضروا
لك وسألوك الفداء فلا تسمح لهم في بيعي إلا بأقل من
ذلك فلما حضر في اليوم الرابع ساوماه الغلام وهو يأبى
إلى أن بلغ خمسين ألف دينار فباعه لهما وقبض الدنانير
فاشترى ما يناسب العجم من المتاع وسافر في قافلة
عظيمة إلى أن دخل بلاد العجم فاستوطن خانا بها

فجاءه بعض الدلالين يوماً وقال له يا سيدي مات رجل
من اعيان التجارة وترك ابنة لا وارث لها غيرها وخلف
اموالاً لا تحصى فان احببت زوجتكها فسأله عن ذلك
فمضى الدلال وعرفها فاجابت فلما دخل بها فوجدها
من الجمال ما لا يوجد الا عند بنات الملوك ووجد عندها
صندوق عشرة اكياس مكتوب على كل كيس عدد ما فيه
الف دينار ما خلا كيساً منها مكتوب عليه تسعماية
وسبعون ديناراً فسألها عن سبب نقصه فقالت له ان
ابي كان سافر الى مكة فضاع منه هذا الكيس فجعل
عليه لمن لقيه ثلاثين ديناراً فهذا سبب نقصه عن
اخوته فلما سمع منها ذلك تعجب غاية العجب من ذلك
الاتفاق فسألته عن سبب تعجبه فاخبرها بالخبر
وانه هو الذي وجد الكيس وبركة مخالفته نفسه
وامانته ودفعه له وانه رضي منه بثلاثين ديناراً حلالاً
انما هي الله تعالى وبارك له فيها فانظر يا اخي الى عاقبة
الامانة ما احسنها **فصل** في ذكر الخيانة والسرقة
قال الله تعالى حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد
الخائنين **حكي** ان بعض التجار سرق له مملوك
كيساً فيه الف دينار وفر هارباً فخرج مولاه في طلبه
قال فادركه المساء في موضع تخوفته لما ذكر انه مسبع

فرايت شجرة فتسنمتها فلما كان الليل اقبل الاسد
والارض تكاد تنشق من زئيره فجزعت منه ثم جذبت
غصناً من الشجرة لارتفع من مكاني خوفاً من الاسد فسقط
من الشجرة شخص سمعت وجبته فافترسه الاسد
وجعل يلغ في دمه فلما اضا النهار وانتشر الناس
نزلت فاذا الذي افترسه السبع غلامي وراسه ملقي
والى جانبه كيسي بختمي فاخذته وانصرفت فانظر يا اخي
الى عاقبة الخيانة ما اقبحها **قيل** مر عمر بن عبيد
بجماعة وقوف فقال ما هذا قالوا السلطان يقطع سارقاً
فقال لا اله الا الله السارق العلانية يقطع سارق السر **وامر**
الاسكندر بصلب سارق فقال ايها الملك اني فعلت ما
فعلت وانا كاره فقال وتصلب ايضاً وانت كاره **وسرق**
اعرابي غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرا
الامام هل اتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا
تدخل في الفضول فلما قرا وجوه يومئذٍ خاشعة قال خذوا
غاشيتكم ولا تخشع وجهي لا بارك الله لكم فيها ثم رماها
من يده وخرج **وسرق** اعرابي صرة فيها دراهم ثم دخل
المسجد يصلي وكان اسمه موسى فقرا الامام وما تلك
بيمينك يا موسى فقال والله انك لساحر ثم رمى بالصرة
وخرج **ودخل** اعرابي يصلي في المسجد وكان اسمه موسى
ايضاً فقرا الامام يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك

فاخرج الي ذلك من الناصحين فترك الصلاة وفر هاربا فجلس
على باب المسجد وبين عصاه فمر الامام وما تلك بيمينك
يا موسى قال هي عصاي يا فقيه اذ خرجت الى عندي
عملت لك قبرا على باب المسجد **وسرق** مديني قميصا فاعطاه
لابنه يبيعه فسرق منه فجاء فقال ابوه بكم بعته فقال
براس المال **وقال** ابن كوتل السلمي وكان لصا فاتكا

واني لاستحيي من الله ان ارى ، اجرجر حبلا ليس فيه بعير
وان اسال المرء الدني بعيره ، وابعرا ربي في البلاد كثير

وكان لعمر بن دويرة البجلي اخ قد كلف ببنت عم له فتسور
عليها الدار ذات ليلة فاخذه اخوها واتوا به خالد بن
عبد الله القشيري وجعلوه سارقا فساله خالد فصدقهم
ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم خالد بقطعه **فقال
عمرو اخوه**

اخالد والله اوطأت عشوة ، وما العاشق المظلوم فينا بسارق
اقر بما لم ياته المرء انه ، راى القطع خيرا من فضيحة عاشق

ومما نقله صديقنا الشيخ يوسف الملوي الشهير
بابن الوكيل في كتابه غنية المسامر وبغية المسافر
لطائف العيارين التي في مصر القاهرة فاحببت ان
اذكر بعضا منها تبعا في كتابنا ونورده من خطابنا **قال**
حدثني الفاضل الشهابي احمد ان جماعة من العيارين
مر بهم رجل من الاتراك فوجد جيبه مثقلا بالدراهم

فقال بعض العيارين لبعض ما تقولون فيمن ياخذ لكم ما في
جيب هذا التركي من الدراهم على القاضي فجعلوا له شرطا
على ذلك وان يجعلوه شيخا عليهم ورئيسا فقام ذلك
العيار من وقته وتبع التركي متى اتى به في محل خاص
بالزحام فاشترى اترجة واخذها في يده ثم قارب الرجل
التركي فادخل يده في جيبه والقى فيه الاترجة واخذ
الكيس منه وسبقه الى محل فاخرج الدراهم منه وعدها
ووجد في الكيس خاتما فصه عقيق ومرجانتين ثم اعاد
الدراهم الى الكيس ووقف في سوق الصاغة حتى مر به
التركي وصاح بالاسلام يا امة محمد ادركوني وخلصوا
مالي من هذا التركي فاجتمعوا عليه الناس وسالوه ما
الذي فعل به فقال انه كان معي كيس فيه مال فسقط
من يدي فاهويت عليه لاخذه فسبقني عليه التركي
فاخذه وادعى انه كيسه وضربني على وجهي فسال الناس
ذلك التركي ان يعطيه كيسه فقال هذا رجل كذاب فاني
لم اره الا هذه الساعة وليس له عندي مال ولا كيس فقال
لهم العيار احملوني معه الى القاضي فحملوهما الى القاضي
فادعى العيار على التركي بانه اغتصب منه كيسا له ملآنا
بالدراهم فسال القاضي التركي عن دعوى ذلك الرجل فقال
له ليس له عندي مال ولا كيس ولم اره الا في هذه الساعة
ثم زاد التخاصم والتشاجر بينهما فقال له التركي انا

معي

ما معي الا هذا الكيس الذي فيه نفقتي واخرجه من جيبه
فقال العيار هو كيسي بعينه وتعلق به واستغاث فقال له
التركي اذ كنت تعلم اصناف الدراهم التي فيه فهو لك فقال
نعم فيه من الدراهم كذا ومن القروش كذا ومن الذهب كذا وفيه
خاتم من فضة كذا وفيه مرجانتان فتناول القاضي الكيس
من يد التركي وافرغه بين يديه وعد ما فيه من المال فوجده
كما اخبر العيار لم يزد ولم ينقص ووجد الخاتم
والمرجانتين كما اخبر العيار فحكم بالكيس للعيار وبصق
على وجه التركي وقال له ما رات عيني قبلك احدا من الاتراك
يقدر على هذا الباطل امض في غير حفظ الله فبهت ذلك
التركي وطار عقله وصار يتعجب من ذلك العيار كيف
علم عدد المال وعرف ما في الكيس من المرجان والختام
وجعل يتاوه ويتعجب ويتوجع ثم انه ذهب في حاله ومضى
ذلك العيار لاصحابه وعرفهم ما جرى بينه وبين التركي
واخرج لهم الكيس فاعترفوا له بالفضيلة ووفوا له بما
اشترطوه على انفسهم فانظر الى هذه اللباقة وخفة
الايادي والحركات والرشاقة واثبات الجنان الذي لا يقدر
عليه اقوى رجل من الشجعان واهل مصر في هذا العلم
هم الطراز المعلم اذ هم اجرا على ذلك من غيرهم واقدم
ولهم في ذلك حكايات لو جمعت لجاء منها مؤلفات وحكي
ايضا لطف الله به قال اخبرني ممن اثق به

من أهل مصر ان رجلاً من المغاربة سافر الى مكة واشترى
بما معه من المال بزّاً للتجارة ولما ورد مكة باعه وحجّ
وعاد الى مصر وكان معه ماية دينار فبلغه ما لعيّارين
مصر من الاقدار فمن خوفه منهم وحذره ربط الدنانير
على دكة سراويله وادخلها داخل السراويل فلمحه بعض
الشطّار فتبعه ليأخذ الدنانير منه فاعيته الحيلة
واستمرّ يمضي خلفه اينما ذهب حتى غابت الشمس فراه
بعض الشطّار فسأله عن حاله فاخبره بقصّته وعجزه
عن اخذ الدنانير من المغربي فقال له هذا سهل اذا قربنا
من سوق بين القصرين فاخطف عمامة المغربي والقها
على سقيفة دكان وامض الى سبيلك ودعني واياه فلما قربوا
من سوق بين القصرين فعل ذلك العيّار ما امره به صاحبه
وترك المغربي ومضى فوقف المغربي باهتاً لا يدري كيف
يتوصّل لاخذ عمامته فاتاه ذلك العيّار الاخر وقال
له ما لي اراك مكشوف الراس وانت واقف كالمبهوت فاخبره
انّ رجلاً مرّ عليه فخطف عمامته والقاها الى اعلا السقيفة
وانه لا يمكنه الوصول اليها فاظهر له ذلك العيّار
التوجّع وجعل يضرب كفّاً على اخرى ويقول لا جزاه الله
خيراً بما فعل معك ثمّ قال له اركب على ظهري وتناول
عمامتك وطاطا ظهره له فلما ركب على ظهره مدّ
ذلك العيّار يده بالمشرطة فشرط سراويل المغربي

وتمهل

وتوصّل الى الدكة وقطعها واخذ المال ومضى مسرعا
فلما وصل المغربي الى الخان تفقد الصرة فلم يجدها
ووجد دكته مقطوعة وسراويله مشروطا فخار لبّه
ولم يدر كيف الحيلة تمت عليه وصار يلطم صدره
ويعض يديه **وحكى** ابو احمد الحارثي قال كنت مسافرا
في بعض الجبال فخرج علينا القطاع وكان رئيسهم
يعرف بابن شبان وكان يتزيّا بزي الجند الامرا لا بزي
القطاع قال فاخذوا جميع ما كان معنا ثم اني قربت
منه لانظر اليه واسمع كلامه فوجدته يدل على
فهم كثير واذا هو رجل فاضل يروي الشعر ويفهم النحو
فطمعت فيه وعملت في الحال ابياتا امدحه فيها فقال
لي لست اعلم ان هذا من شعرك ولكن اعمل لي على قافية
هذا البيت ووزنه شعرا الساعة لاعلم صدقك
وانشدنيه قال فقلت في الحال ثلاثة ابيات في مدحه
ايضا فقال لي اي شيء اخذ منك لارده فذكرت له
ما اخذ مني واضفت له قماش رفيقين كانا معي فرد
جميع ذلك ثم اخذ من اكياس التجار التي اخذها الف
درهم ووهبها لي فجزيته خيرا ورددتها عليه فسالني
عن سبب ردها فقلت وانا آمن فقال وانت
آمن فقلت لانه اموال الناس وانت لا تملكه فقال لي
اما قرات ما ذكره الجاحظ في كتاب اللصوص عن بعضهم

انه قال انّ هؤلاء التجّار لما طلبوا من المطالبة باخراج
الزّكاة ووكلت اليهم تاديتها خانوا اماناتهم ومنعوا
الزّكاة فتركبّت الزّكوات عليهم فصارت اموالهم مستهلكة
بها واللصوص فقرا اليها فاذا اخذوا من اموال التجّار
كان ذلك مباحا لهم وان كرهه التجّار لان عين المال
مستهلكة بالزّكاة وهؤلاء يستحقون المال هذا ان
شاء اربابه ام كرهوا فقلت بلى قد ذكر الجاحظ ذلك
ولكن من اين علمنا انّ هؤلاء استهلكت اموالهم الزّكاة
فقال لي انا احضر لك هؤلاء التجّار واسالهم عمّا
يثبت لك صحّة قولي ثم قال لاصحابه هاتوا التجّار فجاؤا
بهم فقال لاحدهم منذ كم تتجر في هذا المال الذي
قطعت فيه قال منذ كذا وكذا سنة قال فكيف كنت
تخرج زكاته قال فتلجلج وتكلم بكلام من لا يعرف
الزّكاة على حقيقتها فضلا عن ان يخرجها ثم دعا باخر
فقال له اذا كان معك ثلاثمائة درهم وعشرة دنانير
وحال الحول كم تخرج منها الزّكاة فما احسن ان يجيب
ثم قال لاخر اذا كان معك مال للتجارة ولك
مال على نفسين احدهما غني والاخر معسر ومعك
دراهم وقد حال الحول على الجميع كيف تخرج زكاة ذلك
قال فما فهم السّؤال اصلا فضلا من ان يتعاطى
الجواب فصرفهم ثم قال لي بان لك الان صدق حكاية

ابي عثمان الجاحظ رحمه الله وان هولاء ما زكوا قط
خذ الان الكيس فاخذته وساق هو القافلة لينصرف
فقلت له ان رايت ايها الامير ان تنفذ معنا من يبلغنا
المأمن ففعل ذلك وارسل معنا من اوصلنا مأمننا

فصل في الغدر من قصة ثعلبة بن حاطب الانصاري
وتلخيص معناها ان ثعلبة هذا كان من انصار النبي
صلى الله عليه وسلم فجاء يوماً وقال يا رسول الله ادع
الله ان يرزقني مالاً فقال له رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير
من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك مرة اخرى
فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالاً فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما لك في رسول الله اسوة حسنة
والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ذهباً
وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله
ادع الله ان يرزقني مالاً والذي بعثك بالحق لئن رزقني
لاعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله على ذلك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق
ثعلبة مالاً قال فاتخذ ثعلبة غنماً فنمت كما ينمو
الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل
وادياً من اوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان
يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر

ويصلي باقي الصلوات في غنمه فكثرت ونمت حتى بعد
عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت
ونمت فتباعد ايضا حتى صار لا يشهد جمعة ولا
جماعة فكان اذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس
يسالهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول
الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة فانزل الله عز وجل
اية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلين رجل من بني سليم ورجل من جهينة وكتب
لهما اسباب الصدقة كيف ياخذانها وقال
لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل اخر من بني سليم
فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة
واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى
تفرغا ثم عودا الي فانطلقا ثم سمع بهما السلمي
فنظر الى خيار ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها
فلما راياه قالا ما هذا قال خذاه فان نفسي به
طيبة فمرا على الناس واخذا الصدقات ثم رجعا
الى ثعلبة فقال اروني كتابكم فقراه ثم قال ما هذه
الا جزية ما هذه الا اخت الجزية اذهبا حتى اري

رايا

رايا قال فاقبلا فلما راهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قبل ان يتكلما ويح ثعلبة فانزل الله تعالى
ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به
وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى
يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا
يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله
علام الغيوب وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل من اقارب ثعلبة فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا
ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل صدقته
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله منعني ان
اقبل منك صدقة فجعل ثعلبة يحثو التراب على راسه
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد
امرتني فلم تعطني فلما ابى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه شيئا ثم اتى ابابكر
رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار
فاقبل صدقتي فقال ابو بكر رضي الله عنه لم يقبلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا اقبلها فقبض

ابوبكر رضي الله عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه
اتاه فقال يا امير المومنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابوبكر رضي الله عنه فانا
لا اقبلها فقبض عمر ولم يقبلها ثم ولي عثمان رضي الله عنه
فسال ان يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا ابوبكر ولا عمر رضي الله عنهما فانا
لا اقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه
فانظر الى سوء عاقبة غدره كيف اذاقه وبال امره ووسمه
بسمة عار قضت عليه بخسره واعقبه نفاقا يخزيه
يوم فاقته وفقره فاي خسر اربح من ترك الوفا بالميثاق
واي سوء اقبح من غدر يسوق الى النفاق واي عار افضح
من نقض العهد اذا اعددت مساوي الاخلاق **ويروى**
في بعض اخبار العرب ان الضيزن بن معاوية بن قضاعة
كان ملكا بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد
يعرف بالجوسق وبلغ ملكه الشام فاغار على مدينة شابور
ذي الاكتاف فاخذها واخذ اخت شابور وقتل منهم
خلقا كثيرا ثم ان شابور جمع جيوشا فسار الى
الضيزن فاقام على الحصن اربع سنين لا يصل منه الى شيء
ثم ان النضيرة بنت الضيزن عزلت اي حاضت فخرجت
من الربض وكانت اجمل اهل دهرها وكذلك كانوا يفعلوا
بنسائهم اذا حضن وكان شابور ايضا اجمل اهل زمانه

فرآها

فرآها ورآته وعشقها وعشقته فارسلت اليه تقول
ما تجعل لي ان دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل
ابي قال حكمك قالت عليك بحمامة مطوقة ورقا فاكتب
فاكتب عليها بحيض جارية ثم اطلقها فانها
تقعد على حايط المدينة فتتداعى المدينة كلها وكان
ذلك طلسم لا يهدمها الا هو ففعل ذلك وتاهب لهم
فقالت وانا اسقي الحرث الخمر فاذا صرعوا فاقتلهم
ففعلوا ذلك فتداعت المدينة وفتحها شابور عنوة
وقتل الضيزن فاعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها
تتضور في فراشها وهو من حرير محشو بالقز فالتمس
ما كان يوذيها فاذا هو ورقة آس التصقت بعكنتها
واثرت فيها قيل وكان ينظر الى مخ عظمها من لين
بشرتها ثم ان شابور بعد ذلك غدر بها وقتلها قيل
انه امر رجلا فركب فرسا جموحا وظفر ظفايرها بذنبه
ثم استركضه فقطعها قطعا قطعه الله ما اغدره

ويقول العرب جزاني جزاء سنمار وهو ان يزدجرد
لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد فسال
عن منزل صحيح مري فدل على ظهر الجزيرة فدفع ابنه
بهرام الى النعمان وهو عامله الى ارض العرب وامره
ان يبني له جوسقا فامتثل ما امره وبنى له جوسقا
كاحسن ما يكون وكان الذي بنى الجوسق رجل يسمى سنمار

فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال لو علمت انكم توفوني اجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس فقالوا وانك لتبني احسن من هذا ولم تبنه ثم امر به فطرح من اعلا الجوسق فتقطع وكانت العرب تقول جزاني جزا سنمار

وممن غدر عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله غدر بعلي رضي الله عنه وقتله وعمرو بن جرموز غدر بالزبير بن العوام رضي الله عنه وابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة غدر بامير المؤمنين عمر رضي الله عنه وقتله **وجعل** المنصور العهد الى عيسى بن موسى ثم غدر به واخره وقدم المهدي عليه **فقال عيسى**

اتنسى بنو العباس ذبي عنهم ، بسيفي ونار الحرب زاد سعيرها

فتحت لهم شرق البلاد وغربها ، فذلت معاديها وعز نصيرها

اقطع ارحاما علي عزيزة ، واسدي مليدات لها واثيرها

فلما وضعت الامر في مستقره ، ولاحت له شمس تلالا نورها

دفعت عن الحق الذي استحقه ، وسقت باوساق من الغدر غيرها

وحكي بعضهم قال دخلت البادية فاذا انا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جنبها جرو ذيب فقالت اتدري ما هذا قلت لا قالت جرو ذيب اخذناه صغيرا وادخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي كما ترى

وانشدت تقول

بقرت شويهتي وفجعت فيها ، وانت لشاتنا ابن ربيب

غذيت

غذيت بدرّها وربيت فينا ، فمن انبأك انّ اباك ذيبُ
اذا كان الطّباع طباع سُوءٍ ، فلا ادبٌ يفيد ولا اديبُ

الباب الحادي عشر في الوعد والوفا بالعهد

اوضح دليل يتمسّك به الانسان كتاب الله الذي من تمسّك به هداه ومن توسّل به ارشده هُداهُ قال الله تعالى يا ايّها الّذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال جلّ وعلا الّذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال وتقدّس اسمه واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تبارك وتعالى واوفوا بالعهد انّ العهد كان مسئولا والايات في ذلك كثيرة ومن اشباهها قوله تعالى يا ايّها الّذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وروي في صحيح مسلم والبخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال آية المنافق ثلاث اذا حدّث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان فالوفا من شيم النّفوس الشّريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه في العيون وتصدّق فيه خطرات الظّنون ويقال الوعد وجه والانجاز محاسنه الوعد سحابة المعروف تعجيله

وقال بعضهم واجاد

اذا قلت في شيءٍ نعم فاتمّه ، فانّ نعم دين على الحرّ واجبُ

ولا فقل لا تستريح وترح بها ، كيلا يقول الناس انك كاذب

وقال آخر

ما كلف الله نفساً غير طاقتها ، ولا تجود يد الا بما تجد
فلا تعد عدة الا وفيت بها ، واحذر خلاف مقال للذي تعد

وقال اعرابي

وعد الكريم نقد وتعجيل ، ووعد اللئيم مطل وتعليل

وقال اعرابي العذر الجميل خير من المطل الطويل

ومدح بشار خالد بن برمك فامر له بعشرين الفاً فابطات عليه فقال القائم اقمني حيث يمر فاقامه فاخذ بلجام فرسه

وقال شعر

اظلت علينا منك يوماً سحابة ، اضاءت لنا برقاً وراث رشاشها
فلا غيمها يصحي فييئس طامع ، ولا غيثها ياتي فيروي عطاشها
فقال لا تبرح حتى تؤتى بها

وقال بعضهم

فرحتني بالوعد منك ولم اجد ، ما قد وعدت به وطال عنائي
فاسمح باعطائي ولا تمطل به ، فالمطل يذهب لذة الاعطاء

وقال صالح اللخمي

لئن جمع الافات فالبخل شرها ، وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد اذا كان كاذباً ، ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

وقال آخر

تعجيل وعد المرء اكرومة ، تنشر عنه اطيب الذكر
والحر لا يمطل معروفه ، ولا يليق المطل بالحر

وقال

وقال آخر

ووعدتني وعداً حسبتك صادقاً، فجعلت من طمعي اجي واذهب
فاذا جمعت انا وانت بمجلس، قالوا مسيلمة وهذا اشعب

وقال آخر

اتوعدني بوعدٍ بعد وعدٍ، فلم ار منكم وعداً صحيح
كأن وعودكم نغمات زمرٍ، تلذ بها المسامع وهو ريح

واما الوفا بالعهد ورعاية الذمم فقد نقل فيه
من عجايب الوقايع وغرايب البدايع ما يطرب السامع
كقضية الطائي وشريك نديم النعمان بن المنذر
وتلخيص معناها ان النعمان قد جعل له يومين يوم بوس
من صادفه فيه قتله وابداه ويوم نعيم من لقيه فيه
احسن اليه واغناه وكان هذا الطاي قد رماه حادث
دهره بسهام فاقته وفقره فاخرجته الفاقة من محل
استقراره ليرتاد شيئاً لاهله واولاده فبينما هو كذلك
اذ صادفه النعمان في يوم بوسه فلما راه الطاي
علم انه مقتول وان دمه لمطلول فقال حيا الله الملك
ان لي اولاداً صغاراً واهلاً وجياعاً وقد ارقت ماء وجهي
في حصول شي من البلغة لهم وقد اقدمني سوء الحظ
على الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الاولاد
والاهل وهم على شفاء تلف من الطوي ولن يتفاوت
الحال في قتلي بين اول النهار واخره فان راي الملك

ان ياذن لي في ان اوصل اليهم هذا القوت واوصي بهم اهل المروءة من الحي لئلا يهلكوا ضياعا ثم اعود الى الملك واسلم نفسي لنفاذ امره فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله وراى تلهفه على ضياع اطفاله رق بحاله غير انه قال له لا اذن لك الا ان يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي الى شريك

وقال له

يا شريك بن عدي ، ما من الموت انهزام
من لاطفال ضعاف ، عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار ، وافتقار وسقام
يا اخا كل كريم ، انت من قوم كرام
يا اخا النعمان جد لي ، بضمان والتزام
ولك الله باني ، راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي اصلح الله الملك علي ضمانه فمر الطائي مسرعا وصار النعمان يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك علي سبيل حتى ياتي المسا فلما قرب المسا قال النعمان لشريك جاء وقتك فتاهب فقال شريك هذا شخص قد لاح مقبلا وارجو ان يكون الطائي فان لم يكن فامر الملك ممتثل فبينما هم كذلك واذا

الطائي

الطائي قد اشتد في عدوه مسرعا حتى وصل فقال
خشيت ان ينقضي النهار قبل وصولي ثم وقف قائما
وقال ايها الملك مر بامرك فاطرق النعمان ثم رفع
راسه وقال والله ما رايت اعجب منكما اما انت يا
طائي فما تركت لاحد في الوفاء مقاما يقوم فيه ولا
ذكرا يفتخر به واما انت يا شريك فما تركت لكريم سماحة
يذكرها في الكرماء فلا اكون انا الام الثلاثة الا
واني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس ونقضت عادتي
كرامة لوفاء الطائي وكرم شريك **فقال الطائي**
ولقد دعتني للخلاف عشيرتي ۞ فعددت قولهم من الاضلال
اني امرؤ مني الوفاء سجية ۞ وفعال كل مهذب مفضال
فقال له النعمان ما حملك على الوفاء وفيه تلاف نفسك
فقال ديني فمن لا وفاء فيه لا دين له فاحسن النعمان
اليه ووصله بما اغناه واعاده مكرما الى اهله واناله
ما تمناه **ومن الوفاء** الذي شاهدته بالعيان
ولم ينقله لي انسان هو انه سنة اربع وعشرين ومايه
والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل صلاة
واكمل تحية في دمشق الشام حضر مجلس عمنا
وشقيق والدنا المرحوم اسماعيل بيك بن حسن بيك
الكردي رحمه الله رجل من الاعراب نجدي من بلاد
الحسا والقطيف يقال له فرحان فذكر الحاضرون

في المجلس هجن بلاد نجد وانهم يقطعون مسافة سفر
خمسة ايام او اكثر بيوم واحد فهل لذلك صحة فقال
نعم في بلادنا هجن يقال لهم عشاريات على هذه الصفة
ان شاء الله تعالى في سنة الاتية آتيكم بواحدة من تلك
الهجن فضحك الحاضرون وقالوا يا نجدي بلادك من
هنا مسافة شهرين او اكثر فكيف يمكن ان تاتي بواحدة
واستكذبوه ولم يصدقوه فصمت النجدي ولم ينطق بشيء
غير ان قال لهم يكون خيراً فلما اقبلت السنة الاتية
وكان المرحوم اسماعيل بيك نازل بالخيام في ناحية
جبل عجلون من اعمال دمشق وكان اذ ذاك حاكم تلك
الديار والكورك واذا بفرحان قد اقبل ومعه الهجين
التي ذكرها بشدادها وعبايتان من صنعة الحسا
والقطيف فنزل عن هجينه واقبل على اسماعيل بيك
وقبل يديه فقال الحاضرون وفيت العهد يا فرحان
فقال من لا وفاء فيه ليس له ايمان فغمر المرحوم
اسماعيل بيك باحسانه وانعامه واعطاه دراهم
لها جانب وفرس بعدتها وكسوة له ولعياله وصرفه
وهو شاكر عنه فانظر يا اخي الى وفا هذا الاعرابي
ومروته وحكى التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة
عن احمد بن ابي خالد الاحول انه قال كان ابي صديقا
لابي عبيد الله وزير المهدي وهو اذ ذاك معلم صبيان

بطبرية وابي مجمل فكان يتحاشران وثالثهما احمد
بن ايوب قال ابو خالد وكنا نري في ابي عبيد الله الرياسة
ونصدره اذا اجتمعنا ونستشيره فيما يعرض علينا
فقلت له ليلة من الليالي ونحن نشرب نحسبك ستصير
من الرؤسا وتبلغ مبلغا عظيما فان كان ذلك فما انت
صانع بنا قال اما انت يا ابا خالد فاصيرك على امري
واما انت يا ابن ايوب فقل ما اردت فقال اريد ان
توليني مصر سبع سنين متوالية لا تسالني بعد الصرف
عن حساب قال ذلك لك قال ابو خالد فلم يمض على هذا
الامر الا مدة يسيرة وخرج الناس يستسقون وكان
عليهم اذ ذاك ثعلبة بن قيس من قبل صالح بن علي
فما انصرف الناس حتى اتت السما بمطر غزير فقال
ثعلبة لكاتبه اكتب الى الامير بما كان من القحط
والاستسقا وما تفضل الله به من الغيث فكتب كتابا
لم يرضه فقال ثعلبة لمن حوله الا تعرفون رجلا يخاطب
السلطان عني بخطاب حسن فقال له بعضهم ها هنا
رجل مؤدب معه بلاغة وآداب وفيه مع ذلك عقل
فامر باحضاره فاحضر ابو عبيد الله فامره ان يكتب عنه
الى صالح بن علي فلما قراه اعجب به وكتب الى ثعلبة احمل
الي كاتبك على البريد فحمله اليه فلما وافاه امتحنه
فوجده كاتبا كافيا في كل ما اراده منه فاستكتبه فلما

تتابعت كتبه عن صالح الى المنصور قال المنصور كنت
ارى كتب صالح ترد قبيحة ملحونة واراها الآن ترد بغير
ذلك الخط وهي غير ملحونة فاخبروه بخبر ابو عبيد الله
فاحضره فلما فاتشه وجده كما اراد فاستكتبه لابنه
المهدي قال ابو خالد ثم اشخصني ابو عبيد الله لما كتب
للمهدي فقلدني خلافته على الديوان فلما ولي المهدي
الخلافة انفذ الكتب الى احمد بن ايوب بولاية مصر
فلم يزل واليا عليها حتى مات وحكى صاحب المستطرف
عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس
امير المؤمنين المأمون يوما وبين يديه رجل مكبل بالحديد
فقال لي يا عباس قلت لبيك يا امير المؤمنين قال خذ
هذا اليك فاستوثق به واحفظه وبكر الي به في غد
واحترز عليه حد الاحتراز قال فدعوت بجماعة حملوه
اذ كان لا يقدر على الحركة وقلت في نفسي مع هذه
الوصية التي اوصاني بها امير المؤمنين من الاحتفاظ
به ما يجب الا ان يكون في بيتي فلما تركوه في داري
اخذت اسأله عن قضيته وحاله ومن اين هو فقال انا
من دمشق فقلت جزا الله دمشق واهلها خيرا فمن انت من
اهلها قال وعن من تسأل قلت وتعرف فلانا فقال ومن
اين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لي معه قصة فقال
ما كنت بالذي اعرفك خبره حتى تعرفني قصتك معه

فقلت

١ فقلت كنت مع بعض الولاة بدمشق فسعت اهلها وخرجوا
علينا حتى ان الوالي تدلى في زنبيل من قصر حجاج وهرب
هو واصحابه وهربت في جملة القوم فبينا انا هارب
في بعض الدروب واذا انا بجماعة يعدون خلفي وانا
اعدو امامهم حتى مررت بهذا الرجل الذي ذكرته
لك وهو جالس على باب داره فقلت اغثني اغاثك الله فقال
لا باس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت لي زوجته
ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب
الدار فما اشعر الا وقد دخل والرجال معه يقولون
هو والله عندكم فقال دونكم والدار ففتشوا الدار
حتى لم يبق غير تلك المقصورة وامراته فيها فقالوا
هو ههنا فصاحت بهم المراة ونهرتهم فانصرفوا
وخرج الرجل فوقف على باب داره ساعة وانا قائم
ارجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المراة
اجلس لا باس عليك فجلست فلم البث ان دخل الرجل
فقال لي لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت
الى الامن والدعة ان شاء الله فقلت له جزاك الله خيرا
فما زال يعاشرني احسن معاشرة واجملها وافرد لي
مكانا من داره ولم يحوجني لشيء وتفقد سائر احوالي
فاقمت عنده اربعة اشهر في اتم عيش واوسعه الى
ان هدات الفتنة وسكنت وزالت فقلت له اتاذن

لي في الخروج حتى اتفقد حال غلماني فلعلي اقف لهم
على خبر فاخذ علي المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت
غلماني فلم ارى لهم اثراً فرجعت اليه واعلمته الخبر
وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يعرف لي خبر فقال
لي على ما تعزم فقلت له قد عزمت على التوجه الى بغداد
فان القافلة بعد ثلاثة ايام تخرج وقد تفضلت علي
هذه المدة وكل علي عهد الله انني لا انسى لك هذا الفضل
ولا وفينك مهما استطعت قال فدعى بغلام له اسود
وقال له انعل الفرس الفلاني ثم جهز آلة السفر فقلت
في نفسي ما اشك انه يريد الخروج الى ضيعة او ناحية
من النواحي فاقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما
كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر فقال لي يا فلان
قم فان القافلة تخرج الساعة واكره ان تنفرد عنها
فقلت في نفسي كيف اصنع وليس معي ما اتزود به ولا ما
اكري به مركباً فاذا هو وامراته يحملون بقجة من فاخر
القماش واللباس وخفين جديدين وآلة السفر ثم
جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم
بغلاً فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع لي
نسخة ما في الصندوقين وفيهما خمسة الاف درهم
وقدم الي الفرس الذي انعله بسرجه ولجامه وقال
اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك

واقبل هو وامراته يعتذران اليّ من التقصير في امري
وركب معي يشيّعني وانصرفت الى بغداد وانا اتوقّع خبره
لافي بعهدي له في مجازاته ومكافاته واشتغلت مع
امير المؤمنين فلم اتفرّغ ارسل اليه من يكشف لي خبره
فلهذا انا اسال عنه فلمّا سمع الرّجل الحديث قال قد
امكنك الله تعالى من الوفاء له ومكافاته على فعله ومجازاته
على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤونة فقلت وكيف ذلك
قال انا ذلك الرّجل وانما الضرّ الذي انا فيه غيّر عليك
حالي وما كنت تعرفه منّي ثمّ لم يزل يذكر لي تفاصيل الاشياء
حتّى اثبتّ معرفته فما تمالكت ان قمت وقبّلت راسه ثمّ
قلت له فما الذي اصارك الى ما اري فقال هاجت بدمشق
فتنة مثل الفتنة التي ثارت في ايامك فنسبت اليّ
وبعث امير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد واخذت انا
وضربت الى ان اشرفت على الموت وقيّدت وبعثت الى امير
المؤمنين وامري عنده عظيم وهو قاتلي لا محالة وقد
خرجت من عند اهلي بلا وصيّة وقد تبعني من غلماني
من ينصرف الى اهلي بخبري وهو نازل عند فلان فان
رايت ان تجعل من مكافاتك لي ان ترسل من يحضره اليّ حتى
اوصيه بما اريد فان انت فعلت ذلك فقد جاوزت
حدّ المكافاة وقمت بوفاء عهدك قال العبّاس فقلت
يصنع الله خيرًا ثمّ احضر حدّادا في الليل ففكّ قيوده وازا

ما كان عليه من الانكال وادخله حمام داره والبسه
من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من احضر اليه غلامه
فلما راه جعل يبكي ويوصيه فاستدعي العباس نايبه
وقال علي بفرسي الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانيه
حتي عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن الكسوة كذا
وكذا ومن الطعام كذا وكذا واحضر لي عشرة الاف
درهما وكيسا فيه خمسة الاف دينارا وقال لنايبه
في الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه الي حدود الانبار
قال فقلت له ان ذنبي عظيم عند امير المومنين وخطبي
جسيم وان انت احتججت باني هربت بعث امير المومنين
في طلبي كل من في بابه فادرك واقتل فقال لي انج
بنفسك ودعني ادبر امري فقلت والله لا ابرح من
بغداد حتي اعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الي
حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر
علي ما يقول فليكن في موضع كذا فان انا سلمت اعلمته
وان انا قتلت وقيته بنفسي كما وفاني بنفسه وانشدك
الله ان لا تاخذ من ماله درهما وتجتهد في اخراجه
من بغداد قال الرجل فاخذني صاحب الشرطة وصيرني
في مكان يثق عليه وتفرغ العباس لنفسه وتحنط
وجهز له كفنا قال العباس فلم افرغ من صلاة الصبح
الا ورسل المامون في طلبي يقولون لي قال لك امير المومنين

هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار امير المومنين
واذا هو جالس وعليه ثيابه فقال اين الرجل فسكت فقال
ويحك الرجل فقلت يا امير المومنين اسمع مني قال لله علي
عهد لئن ذكرت انه هرب ضربت عنقك فقلت والله
يا امير المومنين ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه
ثم شانك وما تفعل في امري قال قل فقلت يا امير
المومنين كان من حديثي وحديثه كيت وكيت
وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته اني في له
واكافيه على ما فعل معي وقلت انا وسيدي ومولاي
امير المومنين بين امرين اما ان يصفح عني فاكون قد
وفيت وكافيت واما ان يقتلني فافيه بنفسي وقد
تحنطت وها كفني يا امير المومنين قال فلما سمع المامون
الحديث قال لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل معك
ما فعل من غير معرفة وانت تكافيه بعد المعرفة والعهد
بهذا لا غير الا عرفتني خبره فكنت اكافيه عنك ولا اقصر
في وفائك له فقلت يا امير المومنين انه ههنا قد حلف
انه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره
حضر فقال المامون وهذه منه اعظم من الاولى اذهب
الآن اليه فطيب خاطره وسكن روعه واتيني به
حتى اتولى مكافاته قال فاتيت اليه وقلت له ليزول
خوفك ان امير المومنين قال كيت وكيت قال الحمد لله

الذي لا يحمد على السرّاء والضرّاء غيره ثم قام فصلّى
ركعتين واتيت به امير المؤمنين فلمّا مثل بين يديه اقبل
عليه وادناه من مجلسه وحدّثه حتى حضر الغدا واكل
معه وخلع عليه وعرض عليه اعمال دمشق فاستعفى
فامر له المامون بعشرة افراس بسروجها ولجمها وعشرة
بغال بالاتها وعشرة بدر وعشرة الاف دينار وعشرة
مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية
عليه واطلاق خراجه وامره بمكاتبته باحوال دمشق
فصارت كتبه تصل الى المامون وكلما وصلت خريطة
البريد فيها كتابه يقول يا عباس هذا كتاب صديقك
وحكى مالك بن عمارة اللخمي قال كنت اجالس في ظل
الكعبة ايام الموسم عبد الملك بن مروان وقبيصة بن
ذويب وعروة بن الزبير وكنا نخوض في الفقه مرة وفي
المذاكرة مرة وفي اشعار العرب وامثال الناس مرة فكنت
لا اجد عند احد ما اجد عند عبد الملك بن مروان
من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن
استماعه اذا حدّث وحلاوة لفظه اذا حدّث فخلوت
معه في ليلة فقلت والله اني لمسرور بك لما شاهدته
من كثرة تصرفك وحسن حديثك واقبالك على جليسك
فقال ان تعش قليلا فسترى العيون طامحة اليّ والاعناق
نحوي متطاولة فاذا صار الامر اليّ لعلك ان تنتقل اليّ

ركابك

ركابك فلا ملأن يديك فلمّا افضت الخلافة اليه توجّهت
اليه فوافيته يوم جمعة وهو يخطب على المنبر فلمّا رآني
اعرض عنّي فقلت لم يعرفني او عرفني واظهر لي نكرة
فلمّا قضيت الصلاة ودخل لم البث ان خرج الحاجب
فقال اين مالك بن عمارة فقمت فاخذ بيدي
وادخلني عليه فمدّ اليّ يده وقال انك تراءيت لي في
موضع لا يجوز فيه الا ما رايت فامّا الآن فمرحبا واهلا
كيف كنت بعدي فاخبرته فقال اتذكر ما كنت قلت
لك فقلت نعم فقال والله ما هو بميراث ادّعيناه ولا
اثر رويناه ولكنّي اخبرك بخصال سمت لها نفسي الى
الموضع الذي ترى ما لاحيت ذا ودّ قط ولا شمتّ بمصيبة
عدوٍّ قط ولا اعرضت عن محدّث حتى ينتهي ولا قصدت
كبيرة من محارم الله ملتذّا فكنت اومل بهذا ان يرفع الله
منزلتي وقد فعل يا غلام بوّئه منزلا في الدار فاخذ
الغلام بيدي وافردني منزلا حسنا فكنت في الذّ حال
وانعم بال وكان يسمع كلامي واسمع كلامه ثمّ
ادخل عليه في وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتي
ويقبل عليّ ويحادثني ويسائلني مرّة عن العراق ومرّة عن
الحجاز حتّى مضت لي عشرون ليلة فتغديت يوما عنده
فلمّا تفرّق الناس نهضت قائما فقال على رسلك فقعدت
فقال ايّ الامرين احبّ اليك المقام عندنا مع النّصفة

لك في المعاشرة او الرجوع ولك الكرامة فقلت يا امير
المؤمنين فارقت اهلي وولدي على ان ازور امير المؤمنين
واعود اليهم فان امرني امير المؤمنين بالمقام اخترت
رؤيته عن الاهل والولد فقال لا بل ارى لك الرجوع اليهم
ولكن لا تبعد في زيارتنا وقد امرنا لك بعشرين الف دينار
وكسوناك وحملناك اترانى ملأت يديك فلا خير فيمن ينسا
اذا وعد وعدا اذا شئت صحبتك السلامه ومن الوفاء
ما روي عن ابي زكار الاعمى وكان قد انقطع الى آل برمك
قال مسرور الكبير لما امرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى
دخلت عليه فوجدت عنده ابا زكار الاعمى يغنيه شعر
فلا تحزن فكل فتى سياتي ، عليه الموت يطرق او ينادي
فقلت في هذا والله اتيتك ثم مسكت بيد جعفر واقمته
وضربت رقبته فقال ابو زكار ناشدتك الله الا الحقتني
به فقلت له ما الذي حملك على هذا قال اغنايي عن الناس
فقلت حتى استامر امير المؤمنين ثم احضرت الراس الى
الرشيد واخبرته بخبر ابي زكار فقال هذا رجل مصطنع
اضممه اليك وانظر ما كان جعفر يجريه عليه فادفعه
اليه وكان يحيى بن خالد اذا الكد في يمينه يقول لا
والذي جعل الوفاء اعز ما يري وسال المنصور بعض
بطانة هشام عن تدبيره في الحروب فقال رحمه الله كان يفعل
كذا وكذا فقال المنصور عليك لعنة الله تطا بساطي

فتحهم

وتترحم على عدوّي فقال الآن بنعمة عدوّك لقلادة في
عنقي لا ينزعها إلا غاسلي فقال له المنصور ارجع يا
شيخ فإني أشهد أنك وفي حافظ للخير ثم أمر له بمال
فأخذه وقال والله لولا جلالة أمير المؤمنين وامضاء
طاعته ما لبست لأحد بعده نعمة فقال المنصور لله
درّك فلو لم يكن في قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم
مجداً مخلداً **حديث السموأل** ابن عاديا وتلخيص معناه أن
أمرئ القيس الكندي لما أراد المضي إلى قيصر ملك الروم
أودع عند السموأل دروعاً وسلاحاً نفيساً وجملة كثيرة
فلما مات أمرئ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع
والسلاح المودع عند السموأل فقال السموأل لا أدفعه
إلا لمستحقه وأبى أن يدفع إليه منه شيئاً فعاوده فأبى
وقال لا أغدر بذمتي ولا أخون أمانتي ولا أترك الوفاء
الواجب علي فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل
السموأل في حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك
فأخذ ابنه أسيراً ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل
فلما أشرف عليه من أعلى الحصن قال له ولدك قد
أسرته وها هو معي فإن سلمت إلي الدروع والسلاح الذي
لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت إليك
ولدك وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت
تنظر فاختر أيهما شئت فقال له السموأل ما كنت

لاحق وابطل وفائي فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو
ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خايباً واحتسب السموكل
ذبح ولده وصبر محافظة على وفائه فلما جاء الموسم
وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم الدروع والسلاح
ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه احب اليه من حياة
ولده وبقائه فصارت الامثال في الوفاء تضرب بالسموءل
واذا مدحوا اهل الوفاء في الانام ذكروا السموءل في الاول
وكم اعلا الوفاء رتبة من اقتلته بيديه واغلا قيمة
من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه لفاعله
بالثناء عليه واستطلق الايدي المقبوضة عنه
بالاحسان اليه **ويقال** اذا اردت ان تعرف الرجل
ودوام عهده فانظر الى حنينه الى اوطانه وتشوقه
الى اخوانه والى بكائه على ما مضى من زمانه **بيت**
سقى الله اطلال الوفاء بكفه ، فقد درست اعلامه ومنازله
وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب
في بعض جبابين الشام فاذا امرأة جالسة على قبر
تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فجلت
شمساً عن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها
فقال لها يزيد بن المهلب يا امة الله هل لك في امير
المؤمنين بعلاً فنظرت الينا نظر مستتبع **وانشدت**
فان تسألاني عن هواي فانه ، بجوماء هذا القبر يا فتيان

واني

واني لاستحييه والترب بيننا ، كما كنت استحييه وهو يراني
ومن احسن الوفاء ما روي عن نايلة بنت الفرافضة بن
الاخوص الكلبي زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه ان
عثمان لما قتل اصابتها ضربة على يديها وخطبها معاوية
فردته وقالت ما يعجب الرجل مني قال ثناياك فكسرت
ثناياها وبعثت بها الى معاوية فكان ذلك مما رغب
قريشا في نساء بني كلاب ولما قدم هدبة بن الخشرم
للقتل بحضرة مروان بن الحكم قالت زوجته ان لهدبة
عندي وديعة فامهله حتى اتيك بها فقال اسرعي فان
الناس قد كثروا وكان مروان قد جلس لهم بارزا
عن داره فمضت الى السوق واتت الى قصاب فقالت اعطني
شفرتك وخذ هذين الدرهمين وانا اردها عليك فقربت
من حايط وارسلت ملحفتها على وجهها ثم جذعت
انفها من اصله وقطعت شفتيها وردت الشفرة الى
القصاب ثم اقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت اتراني
متزوجة بعد ما ترى فقال الان طابت نفسي بالموت
فجزاك الله من خلة وفية خيرا ولما احس مصعب
بن الزبير بالقتل دفع الى مولاه زياد فص ياقوت قيمته الف الف
وقال له انج بهذا فاخذه زياد ودقه بين
حجرين وقال والله لا ينتفع به احد بعدك

الباب الثاني عشر في المشاورة في الامور لاجتناب المحذور

قال الله تعالى معلماً نبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم
في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله **وقال** صلى
الله عليه وسلم ما ندم من استشار ولا خاب من استخار
وقال عليه الصلاة والسلام المستشار مؤتمن
يريد بذلك اداء النصيحة الى المستشير وحفظ الامانة
للمشير والمشورة آلة يستعان بها في تدبير السياسة
والاراء اصنافها والسياسة نظام الدولة وصورة
الملك واذا ضعفت الالة وفسدت ضعف الملك او فسد
اذا استعملت تلك الالة فيه **قال** بعض العلماء الاراء
هي قياس من امور مستقبلة على امور ماضية ولها
امثال واشباه ومادة الرأي التجارب مباشرة او سماعاً
فلكثرة التجارب ندب الى استشارة المشايخ ومن قال
باستشارة الشبان شرط ان تكون امزجتهم صحيحة
وقرايحهم سليمة وعلومهم ورواياتهم غزيرة
وقال المأمون لولده موصياً ومعلماً استشير واذوي
الرأي والتجربة والحنكة فانهم اعلم بمصارف الامور
وتقلبات الدهور واطيعوهم وتحملوا ما يغلظون به
من قول او يكشفونه من عيب لما ترجون من حالة تنصلح
وفتق يرتتق فان من جرعكم المرار لشفائكم اشفق
ممن اطعمكم الحلاوة لاسقامكم **وقال** القاضي
الجرجاني في المعنى

شاور

شاورسواك اذا نابتك نائبة، يوما وان كنت من اهل المشورات
فالعين تلقي كفاحا ما نأى ودنى، ولا ترى نفسها الا بمرآة
وقال بعض العلما المشورة والاراء صناعة نفسانية
صرفة فلهذا كانت اشرف كما ان الحمل على الراس وغيره
صناعة جسمانية فلهذا كانت احسن والخطا في ذلك
شديد الضرر والخلل بخلاف هذا فكم من دما
اريقت وبلاد اخربت ومحارم انتهكت وسبب ذلك
سوء الاراء واختلالها وفي منثور الحكم شاور قبل ان
تقدم وتمكن قبل ان تندم وكان يقال ما استنبط
الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم المشورة موكل
بها التوفيق لصواب الراي وقال الحسن الناس ثلاثة
فرجل رجل ورجل نصف رجل ورجل لا رجل فاما
الرجل فذو الراي والمشورة واما الذي نصف رجل
فالذي له راي ولا يشاور واما الذي ليس رجلا فالذي
ليس له راي ولا يشاور وقال المنصور لولده خذ عني
شيئين لا تقل في غير تفكير، ولا تعمل بغير تدبير،
وقال الفضل المشورة فيها بركة واني لاستشير
حتى هذه الحبشية الاعجمية وقال اعرابي لا مال اوفر
من العقل ولا فقر اعظم من الجهل ولا ظهر اقوى من
المشورة وقيل من بدا بالاستخارة وثنى بالاستشارة
فحقيق ان لا يخيب رايه وقيل الراي السديد احمى

من البطل الشديد وقال الامام علي رضي الله عنه خاطر
من استغنى برايه وقال محمد بن ادريس الطائي
ذهب الصواب برأيه فكانما، اراؤه اشتقت من التقييد
فاذا دجى خطب تبلج رايه، صبحا من التوفيق والتسديد
لمحمود الوراق
ان اللبيب اذا تفرق امره، فتق الامور مناظرا ومشاورا
واخو الجهالة يستبد برايه، فتراه يعتسف الامور مخاطرا
وقال الرشيد حين بدا له في تقديم الامين على المامون
في العهد شعر
لقد بان وجه الراي لي غير انني، عدلت عن الامر الذي كان احزما
فكيف يرد الدر في الضرع بعدما، توزع حتى صار نهبا مقسما
اخاف التواء الامر بعد استوائه، وان ينقض الحبل الذي كان ابرما
بيت مفرد
خليلي ليس الراي في جنب واحد، اشيرا علي اليوم ما تريان
وصف رجل عضد الدولة فقال وجه فيه الف
عين وفم فيه الف لسان وصدر فيه الف قلب
وقال اردشير بن بابك اربعة تحتاج الى اربعة
الحسب الى الادب، والسرور الى الامن، والقرابة الى المودة،
والعقل الى التجربة وقال لا تستحقر الراي الجزيل من
الرجل الحقير فان الدرة لا يستهان بها لهوان غايصها
وكان ملوك اليونان والفرس لا يجمعون وزرائهم

على أمر يستشير وظهر فيه وانما يستشيرون الواحد من
غير أن يعلم الآخر به لمعان شيء منها اليه أو يقع بين
المتشاورين منافسة فتذهب اصابة الرأي لأن من
طباع المشتركين التنافس والطعن من بعضهم
على بعض وربما سبق أحدهم بالرأي الصواب فحسدوه
وعارضوه وفي اجتماعهم على المشاورة يعرض السر
للإذاعة فإن كان كذلك وأذيع السر لم يقدر
الملك على مقابلة من أذاعه للإبهام فإن عاقب الكل
عاقبهم بذنب واحد وإن عفى عنهم ألحق الجاني بمن لا
ذنب له وقيل إذا أشار صاحبك برأي ولم تحمد
عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوماً وعذاباً بأن تقول
أنت فعلت ولولا أنت ما كان صدر هذا فهذا كله
ضجر ولؤم وخفة وقال أفلاطون إذا استشارك
عدوك فجرد له النصيحة لأنه بالاستشارة خرج من
معاداتك الى موالاتك وقيل من بذل نصحه ورأيه
لمن لا يشكره فهو كمن صنع معروفاً لأحمق وقال ابن
المعتز في المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال
الأحنف لا تشاور الجائع حتى يشبع، ولا العطشان
حتى يروى، ولا الأسير حتى يطلق، ولا المقل حتى يجد،
ولما أراد نوح بن مريم قاضي مرو أن يزوج ابنته
استشار جاراً له مجوسياً فقال سبحان الله الناس

ده

يستفتونك وانت تستفتيني قال لا بد ان تشير علي
قال ان رئيس الفرس كسرى كان يختار المال، ورئيس
الروم قيصر كان يختار الجمال، ورئيس العرب كان يختار
النسب، ورئيسكم محمد صلى الله عليه وسلم كان يختار
الدين، فانظر لنفسك من تقتدي وكان يقال من اعطي
اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي
التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة
ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب وقالت الحكما لا تشاور
معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا
صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خايفا ولا حاقنا وقيل
اذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه واجتهد رايه
فقد قضى ما عليه ويقضي الله في امره ما يحب وقيل
سبعة لا ينبغي لذي لب ان يشاورهم جاهل وعدو وحسود
ومرائي وجبان وبخيل وذا هوى فان الجاهل يضل والعدو
يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائي واقف
مع رضى الناس والجبان من رايه الهرب والبخيل حريص
على جمع المال فلا راي له في غيره وذو الهوى اسير هواه
فهو لا يقدر على مخالفته وقال بعض الحكما اذا نويت
فاستشر، واذا امضيت فاستخر، من لم يجد في امره
استمكن عدوه من حزمه، من استهر عين همته، بلغ كنه
فكرته، من عمل بالراي غنم، ومن نظر في العواقب سلم،

من

من ركب جهله غلب ضلاله ، اذا استشرت الجاهل
اختار لك الباطل ، من اقبل علي النصح اعرض عن القبح ،
من نصحه مشيره صلح تدبيره ، ومن صلح تدبيره حسن
تاثيره ، من فسد رايه اشتد عناؤه ، من استعان
بالراي ملك ، ومن كايد الامور هلك ، من عمل بالرفق غنم ،
ومن ركب العنف ندم ، من ركب اللجة اتلف المهجة ،
من اعجب برايه ضل ، ومن استغني بعقله زل ، من استغني
بذوي العقول ادرك المامول ، من استشار ذوي
الالباب سلك سبيل الصواب ، من حق العاقل
ان يضيف الي رايه اراء العلما ، ويجمع الي عقله
عقول الحكما ، فالفرد في الراي ربما زل ، والعقل
الفرد ربما ضل ، من استشار العالم فيما ينويه ، واسترشد
العاقل فيما ياتيه ، وضح له الامور ، وصلح به الجمهور
فارجع الي راي العقلا ، وافزع الي استشارة النصحا ،
لا تانف الاسترشاد ، ولا تستنكف من الانفراد ، من
قلد ذوي الفضايل استقامت احواله ، ومن قلد ذوي
الرذايل اضطربت احواله واعماله ، من نصحك فقد ارشدك
ومن صدقك فقد اعزك ، من نصحك فقد احسن
اليك ، ومن وعظك فقد اشفق عليك ، من اعرض
عن نصيحة الناصح احترق بمكيدة الكاشح ، الشركة
في الراي تودي الي الصواب ، والشركة في الملك تودي

الى الاضطراب، ولتكن مشورتك في الليل فانه اجمع
للفكر، واعون على الذكر، ثم شاور في امرك من تثق بعقله
وتعتقد ودّه، فالعاقل لا ينصح ما لم ينصف ودّه **وحكي**
ان رجلاً من اهل يثرب يعرف بالاسلمي قال ركبني دين
اثقل كاهلي وطالبني به مستحقوه واشتدت الي
ما لا بد منه فضاقت عليّ الارض بما رحبت ولم اهتد الى
ما اصنع فشاورت من اثق به من ذوي المودة والراي
فاشار عليّ بقصد المهلب بن ابي صفرة بالعراق
فقلت يمنعني بعد المشقة وتيه المهلب ثم انني عدلت
عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ان زادني
على ما ذكره الصديق الاول فرايت ان قبول المشورة خير
من مخالفتها فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق
وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت
عليه وقلت له اصلح الله الامير اني قطعت اليك الدهنا
وضربت اكباد الابل من يثرب فانه اشار عليّ ذوو
الحجى والراي بقصدك لقضاء حاجتي فقال هل اتيتنا
بوسيلة او بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكني رايتك
اهلاً لقضاء حاجتي فان قمت بها فاهل لذلك انت
وان يحل دونها حايل لم اذمم يومك ولم اياس من
غدك فقال المهلب لحاجبه اذهب وادفع اليه ما
في خزانة مالنا الساعة فاخذني معه فوجدت في

خزانته

خزانته ثمانين الف درهم فدفعها الي فلما رايت
ذلك لم املك نفسي فرحا وسرورا ثم عاد الحاجب الي اليه
مسرعا فقال هل وصلك ما يقوم بدفع حاجتك فقلت
نعم ايها الامير وزياده فقال الحمد لله علي نجح سعيك
وانجاح املك بحسن مشورتك وتصديق ظن من اشار
عليك بقصدنا فقال الاسلمي فلما سمعت كلامه وقد
احرزت صلته وقبضت عليها انشدت وانا واقف
بين يديه

يا من علي الجود صاغ الله راحته ، فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك اهل الارض قاطبة ، فانت والجود منحوتان في عود
من استشار فباب النصح مفتتح ، لديه في كل امر غير مردود

ثم عدت الي المدينة فقضيت ديني ووسعت علي اهلي
وجازيت المشير علي وعاهدت الله انني لا اترك
الاستشارة في جميع اموري مهما عشت وحكي
عن الخليفة المنصور انه كان صدر من عمه عبد الله
بن علي بن عبد الله بن عباس امور مولمه لا تحتملها
حراسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك
فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسي بن موسي بن
علي وكان واليا بالكوفة ما افسد عقيد ترفيه واوحشه
منه وصرف وجه ميله عنه فتالم المنصور من ذلك
وساء ظنه وتارق جفنه وقل امنه وترادف

خوفه وحزنه فاذت فكر المنصور الي امر دبره وكتمه
عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسي بن
موسي واجراه علي عادة اكرامه ثم اخرج من كان بحضرته
واقبل علي عيسي وقال يا ابن العم اني مطلع علي امر
لا اجد غيرك من اهله ولا اري سواك مسعدا الي علي
حمل ثقله فهل انت في موضع ظني بك وعامل ما فيه بقاء
نعمتك التي هي منوطة ببقاء ملكي فقال له عيسي بن موسي
انا عبد امير المومنين ونفسي طوع نهيه وامره فقال
ان عمي وعمك عبد الله قد فسدت بطانته واعتمد ما
في بطنه ما يبيح دمه وفي قتله صلاح ملكنا فخذه
اليك واقتله سرا ثم سلمه اليه وعزم المنصور علي الحج
مضمرا ان عمه عيسي اذا قتل عبد الله الزمه القصاص
واسلمه الي اعمامه اخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصا
فيكون قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسي قال عيسي
فلما اخذت عمي وافكرت في قتله رايت من الراي ان
اشاور في قضيته من له راي عسي ان اصيب الصواب
في ذلك فاحضرت يونس بن فروة الكاتب وكان لي حسن
ظن في رايه وعقيدته فقلت له ان امير المومنين دفع الي
عمه وامرني بقتله واخفي امره فما امرك وما رايك
في ذلك وما تشير به فقال لي يونس ايها الامير احفظ
نفسك بحفظ عمك وعم امير المومنين فاني اري لك

ان تدخله الى مكان داخل دارك وتكتم امره عن كل من
عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل
دونه مغالق وابواب واظهر لامير المومنين انك انفذت
امره وانتهيت الى العمل بطاعته فكانى به اذا تحقق
منك انك فعلت ما امرك به وقتلت عمه امر باحضاره
على رؤس الاشهاد فان اعترفت انك قتلته بامره
انكر ذلك واخذك بقتله وقتلك به **فقال** عيسى
بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها واظهرت
لامير المومنين انى انفذت امره ثم حج المنصور فلما
قدم من حجه وقد استقر في نفسه انى قتلت عمه
عبد الله فدس الى عمومته اخوة عبد الله وحثهم على ان
يسالوه في اخيهم ويستوهبوه منه فجاءوا اليه وقد
جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسالوه في
عبد الله قال نعم ان حقوقكم تقضى ويساوي شفاعكم
بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو في
مقام الوالد ثم امر باحضار عيسى بن موسى فاحضر
لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجي
الى الحج عمي عبد الله ليكون عندك في منزلك الى
حين رجوعي فقال عيسى قد فعلت يا امير المومنين
فقال المنصور قد سالني فيه عمومتك وقد رايت
الصفح عنه وقضا حاجتهم وصلة الرحم باجابة

سوالهم فاتنا به الساعة قال عيسى فقلت يا امير
المؤمنين الم تامرني بقتله والمبادرة الى ذلك قال كذبت
ما امرتك بذلك ولو اردت قتله لسلمته الى من هو بصدد
ذلك ثم اظهر الغيظ وقال لعمومته وقد اقر بقتل
اخيكم مدعيا اني امرته بقتله وقد كذب علي قالوا يا
امير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله ونقتص منه فقال
شانكم به قال عيسى فاخذوني الى الرحبة واجتمع
الناس علي فقام واحد من عمومتي الي وسل سيفه
ليضربني فقلت له يا عم افاعل انت قال اي والله كيف
لا اقتلك وقد قتلت اخي فقلت لهم لا تعجلوا وردوني
الى امير المؤمنين فردوني اليه فقلت له يا امير المؤمنين
انما اردت قتلي بقتله والذي دبرته علي عصمني الله من
فعله وهذا عمك باق حي سوي وان امرتني بدفعه
اليهم دفعته فاطرق وعلم ان ريح فكره صادفت
اعصارا وان انفراده بتدبيره قارن خسارا ثم رفع
راسه وقال ائتنا به فمضى عيسى واحضر عبد
الله فلما راه المنصور قال لعمومته اتركوه عندي
وانصرفوا حتى ارى فيه رايا قال عيسى فتركته وانصرفت
وانصرف اخوته فسلمت روحي وزالت كربتي وكان
ذلك ببركة الاستشارة ليودني وقبول استشارته والعمل
بها ثم ان المنصور اسكن عبد الله في بيت اساسه قد

بني على الملح ثم ارسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط
البيت فمات عبد الله ودفن بمقابر باب الشام
وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها
البعيدة **وقيل** اشار فيروز بن حسين على يزيد بن
المهلب ان لا يضع يده في يد الحجاج فلم يقبل منه
وسار اليه فحبسه وحبس اهله **فقال فيروز**

امرتك امرا حازما فعصيتني ، فاصبحت مسلوب الامارة نادما
امرتك بالحجاج اذ انت قادر ، فنفسك ولي اللوم ان كنت لائما
فما انا بالباكي عليك صبابة ، وما انا بالداعي لترجع سالما

ويقال من اصفر وجهه من النصيحة ، اسود وجهه
من الفضيحة **وقال طرفة**

ولا ترفدن النصح من ليس اهله ، ولكن حين تستغني برايك عانيا
وان امرا يوما تولى برايه ، فدعه يصيب الرشد او يك غاويا

وقال لقمان ان الموعظة والنصيحة تشق على
السفيه كما يشق الصعود الوعر على الشيخ الكبير
نصح رجل لهشام فقال لا تعدن يا امير المؤمنين
عدة لا تثق من نفسك بانجازها ولا يغرنك المرتقى
السهل اذا كان المنحدر وعرا واعلم ان الاعمال
جزاء فاتق العواقب وان للامور بغتات فكن على حذر
فحدث به الهادي وفي يده لقمة فامسك حتى سمعه
مرات **فصل** في وصف من ينبغي ان يستشار

ومن لا يستشار ويختار للمشورة اهل العقول الغزيرة
والتجارب الكثيرة والحلوم الرزينة **وقال** البلخي
شاور في امرك من جرب الامور وخبرها وتقلبت
عليه الحوادث وباشرها ما لم يوهنه ضعف الهرم
ولا يغيره حادث السفه **ويروي** ان اكثم بن صيفي
حكيم العرب اجتمعت عليه بنوا تميم في حرب يوم
الكلاب فقالوا اشر علينا بالصواب فانك شيخنا
وموضع الرأي منا فقال لهم ان الكبر قد شاع في
جميع بدني وانما قلبي بضعة مني وليس معي من حدة
الذهن ما ابتدي له بالرأي ولكنكم تقولون فاسمع
لاني اعرف الصواب اذا مر بي **وقال** بعض الحكما عول
علي ذوي الاسنان فان الحكمة معهم **وقد قال الشاعر**
ان الامور اذا الاحداث دبرها ، دون الشيوخ تري في بعضها خللا
ان الشباب لهم في الامر بادرة ، وللشيوخ اناة تدفع الزللا
وقال بعضهم اعدل عن اشارة من قصد موافقتك
متابعة لهواك واعتمد مخالفتك انحرافا عنك وعول
علي من توخي الحق لك وعليك **وقد** قيل في منثور الحكم
من التمس الرخص من الاخوان في الرأي ومن الاطبا في
المرض ومن الفقها في الشبهة اخطا الرأي وزاد في المرض
واحتمل الوزر **وقال** بعض الحكما لا تاخذ من استشرت
بدرك الرأي ان زل فما عليه الا الاجتهاد وان عجزته

الاقدار

الإقدار عن الظفر وكان القاضي رحمه الله ينشد مذاكرة
إذا ما انجلى الرأي فاحكم به ، ولا تحكمن بما يشتبه
ونبه فؤادك من غفلة ، فإن الموفق من ينتبه
وقال يستشار في الحرب ذوو العقول السليمة من
العلماء ولا يستشار أهل الحرب كالزند يستنبط منه
النار فإن يصليها ولا يصطليها وأرسل عبد الله
بن حمزة العلوي الناجم باليمن إلى عاملين من عماله على
بعض قلاعه وهو أعلما أن للمشورة آفة أن سلمتما منها
نفعتما نفعها إن شاء الله تعالى وهو أن المشير لا بد أن
يجمع أربعة أمور الدين والعقل والنصح والمودة وكل من
كان بغير هذه الصفة فمشورته الداء الدفين
وبعد هذه الخصال تصح المشورة إلا أنها لا تستتم ما لم
يعلم المستشير طبع المشير فإن الجهل بذلك يؤدي إلى
الغرور لأن المشير إنما يشير بما يناسب طبعه فإن كان
ترقا أشار بالتثبت والعجلة وإن كان جبانا أشار بالوهن
والاستكانة وإن كان متهورا مقداما أشار بالاقتحام
على غير بصيرة وإن كان يقظا حازما حارسا حولا قلبا
أشار بما ينتظم به التدبير وتصلح به الأمور وتسد
الثغور ولبعض المتقدمين في المعنى
إذا كنت في حاجة مرسلا ، فأرسل حكيما ولا توصه
وإن ناصح منك يوما دنا ، فلا تنأ عنه ولا تقصه

وان بابا امر عليك التوى فشاور لبيبا ولا تعصه

وقال بعض الحكما شاور في امورك من تثق منه بثلاث خصال صواب الراي وخلوص النية وكتمان السر فلا عار عليك ان تستشير من هو دونك اذا كان بالشورى خبيرا فان لكل عقل ذخيرة من الراي وحظا من الصواب فتزداد براي غيرك وان كان رايك جزلا كما يزداد البحر بمواده من الانهار وان كان غزيرا **فقد** روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا مظاهرة اوثق من المشاورة وقد يفضل المستشير على المشير ويظفر بالراي المشير لانها ضالة يظفر بها من وجدها من فاضل ومفضول **وقد** روي ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا **وقال** بعضهم عول على استشارة من جرب الامور وخبرها وتقلب فيها وباشرها حتى عرف مواردها ومصادرها فلن يخف عليه خيرها وشرها ما لم يوهنه ضعف الهرم **ولبعضهم شعر**

وانفع من شاورت من كان ناصحا، لبيبا فابصر بعد ذا من تشاور

فليس بشانيك الصديق ورايه، عدو ولا ذو الراي والصدر واغر

وقيل في منثور الحكم من التمس الرخص والموافقة من الاخوان في الاراء فقد غش وخان كما ان من فعل ذلك في الفقه اخطا في الاحكام ومن فعله في الطب زاد في

الاسقام

الاسقام ولا ينبغي ان يستشار النسا والصبيان
لنقص عقولهم وضعف ارائهم وقل من حكم النساء الا
وانقاد الى الخطا **حكي** ان مصعب بن الزبير لما قدم
البصرة متجهزا الى الشام لحرب عبد الملك بن مروان
بذل العطاء وندب الناس للخروج وكان فيمن عزم على
مساعدته الاحنف بن قيس فاخرج مضربه حتى نصبه
في عسكر ابن الزبير فتسامعت بنو تميم فخرجت معه
فوجا بعد فوج وبادرت زبرا جاريته فبكت عنده فسالها
عن ذلك فقالت يقول الناس ان الاحنف قد ارتكس في
الفتنة وخرج للطمع فقال اصبت ولست امضي ثم
وجه الى مضربه فرده فلما بلغ ذلك مصعبا وعلم ان
الناس يتقاعدون فقال من اين دهيت في الاحنف
فقيل من جاريته فبعث اليها بتحف وثياب والف
درهم او اكثر فجاءت وبكت عنده فقال ما يبكيك
فقالت عيرني النسا فقلن خرج رجالنا وجبن سيدك
وفزع فبعث مضربه وخرج فعجب الناس من ذلك فكانت
هذه من سقطات الاحنف **وهكذا** كانت دولة المقتدر
بالله كان في مباديها من الضعف والوهن والاختلال
وفساد قواعد الملك ما لا خفا فيه وسببه انه ولي
الخلافة وهو صغير وتصرفت والدته وخالته وقهرمانته
في الملك فكان ما كان وقد يكون فيهن ذات العقل

ذات العقل

والرأي وكذلك في الاحداث والصبيان الا انه على
الندرة وقال عليه الصلاة والسلام لن يفلح قوم
ولوا امرهم امرأة ويروى ان بعض وفود العرب دخل
على عمر بن عبد العزيز فتقدم شاب ليتكلم منهم فقال
عمر ليتكلم شيوخكم فقال الشاب يا امير المؤمنين
ان قريشا ترى فيها من هو اسن منك قد متع فوجم
لها عمر ولم يحر جوابا فصل في كتمان الاسرار
وكيفية المشورة ينبغي للملك اذا استشار في مهم
ان ينفرد مع كل مشير على حدة ويسمع ما يشير
به ولا يحدث به الاخر فاذا اجتمعت محضها اختبارا
ونقحها واستخار الله تعالى في احدها ثم جمع الجماعة
وفاوضهم في جميع ذلك ولم يعين لهم اصحاب الاراء
ثم فاوضهم في ما ترجح عنده حتى يتفق معهم عليه فان
خالفوه استشار غيرهم فان خالفوه وافقهم اذ الجمع
من العقلاء ابعد عن الخطا من واحد واذا عارضهم
في رايه معارض فلا يجبه بالرد او بمعارضة بل
يستوضح منه ويمعن النظر فان الفكر والتاني محمود
العواقب قال القطامي

قد يدرك المتاني بعض حاجته ، وقد يكون مع المستعجل الزلل

ويحكى ان المنصور لما بلغه خلع اهل افريقية لطاعته
عزم على النهوض الى قنسرين والمقام بها وتجهيز

العساكر منها والعدد في البر والبحر فاظهر الحركة وامر
اصحابه بالتاهب لذلك ولم يذكر الجهة فاجتمع ابو ايوب
المورياني وعبد الملك والربيع الحاجب فتذاكروا ذلك
ورجموا الظنون فلم يصيبوا شيئا ولم يقدموا على مسالته
فقال عبد الملك انا استكشف لكم خبره فاذا دخلنا
عليه واردنا الانصراف فتاخروا عني ساعة حتى اكلمه
ففعلوا ذلك فتقدم اليه وقال يا امير المومنين قد تهيانا
للمسير وفرغنا من كل ما نحتاج اليه وبقي علينا
ما نتكاره من الظهر ولا ندري اين نتكاراه فقال
المنصور يا ابن الخبيثة جلست انت وفلان وفلان
وقلتم كذا وكذا وقلت انت انا اكشف لكم خبر
المقصد اخرج فاكتر مياومة ولو كل يوم بالف واما
ان اطلعك فلا ولا كرامة وكان ذلك حدسا منه وفطنة
والكتمان تدبير وسياسة وينبغي للملك ان لا يجعل
بين الوزرا وبين اصحاب الاخبار والبريد تعلق ولا التزام
فان يطوي عنه كثير من الاخبار ويوهن المملكة
وتتم الحوادث وهو لا يشعر بها **ويحكي** ان المامون
لما بايع لعلي بن موسى الرضا وهو بمرو وبلغ ذلك بني
العباس ببغداد فغضبوا لذلك وقالوا لا نطيعه على
اخراج الامر من بيننا فاجتمعوا وبايعوا ابراهيم بن
المهدي وثارت العلوية بالحجاز واليمن والعراق

وطبرستان وحاربوا الحسن بن سهل حتى كسروه والاخبار
اذ ذاك مطوية عن المامون بسبب تحكم الفضل بن
سهل وتحكم اصحاب البريد والاخبار فتحيلت جارية
المامون الى ان بعثت له خلعا من خز ووشي وكتبت على بطانتها
ما ارادت وجعلت عليها بطاين خلقة فوق ذلك فلما
عرضت على الفضل حملها الى المامون فلما اراد المامون
لبسها تعجب من رداة بطانتها ووسخها فنزعها فوجد
الكتابة عليها فغضب من انطواء الخبر عنه وتنكر
للفضل بن سهل فقال اردت ان اكفيك هذا الامر ثم
اعلمك به فلم يقبل عذره ورحل الى العراق من وقته
وامر اصحاب البريد ان يردوا عليه ولا يحجبوا عنه
من ذلك الوقت **فصل** في وجوب النصح بالاستشارة
فاعلم حيث قدمت لحضرتك الشريفة احتياج الملك
اليك فيجب عليك النصيحة لما ورد عن ابي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدين النصيحة قالها
ثلاثا قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولايمة
المسلمين وعامتهم **وفي** الحديث عن جابر بن عبد
الله قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع
والطاعة والنصح لكل مسلم **وقد** استشار زياد
عبد الله بن عمر في تقليد رجل القضا فاشار عليه
به فاستشاره ذلك الرجل في القبول فنهاه وكره

عليه فبلغ ذلك زيادًا فقال له كيف يكون هذا فقال
الدين النصيحة وقد نصحتكما وفي جزالة الرأي وسداده
وعند صعوبة الامر واشتداده تجب المبادرة بالعمل
بالرأي السديد متى ظهر والا اعقب اثر تاخيره سوء
العاقبة وحدوث الندم كما قال ابو مسلم الخراساني
حين فارق معسكره وجاء الى العراق قادمًا على المنصور
لما استدعاه وكان كاتبه قد اشار عليه بان لا يعود
اليه احتياطًا لنفسه فلم يقبل فلما ظهر له وجه
الخطا قال تركت الرأي بالري فذهبت مثلًا ولمؤلفه في المعنى

ايا من كان ذا حزم ، وعزم لا تكن ذا عي
كما قد قال ابو مسلم ، تركت الراي لي بالري

ومن ذلك قول العرب لو ترك القطا ليلًا لنام وسبب
ذلك ان بعض امراء العرب من اليمن يقال له عاطس بن
جلاح سار الى الريان بن فلان الحميري وهو في جمع
عظيم فاقتتلوا قتالًا شديدًا ثم انحازوا فلما اجنهم
الليل فر هاربًا بقومه وليلته ولما اصبح عاطس غدا
الى القتال فلم يجد منهم احدًا فجرد الخيل في طلبهم
وسار الى قرب منزلهم ليلًا فنزلوا ليصبحوهم فاثار
القطا فخرجت حذام ابنة الريان من خبائها فرات
اسراب القطا تمر بهم فقالت
الا يا قومنا ارتحلوا وسيروا ، فلو ترك القطا ليلًا لناما

ده

دوا

فلم يلتفتوا الى قولها لما نالهم من التعب فقام ديسم
بن طارق فانشد بصوت عال مجيزا مرتجلا
اذا قالت حذام فصدقوها، فان القول ما قالت حذام
فثاروا معتصمين حتى التجاوا الى واد منيع وجاء العدو
صباحا فلم يجدوهم وفاتوهم فكان ذلك سببا
لنجاتهم ولما بلغ المنصور وفاة اخيه السفاح
وكان قافلا من الحج ومعه ابو مسلم لانه يتقدمه
في المنازل وهو وان كان ولي العهد الا انه خائف
لبعده عن الكوفة ان ينتقض عليه الامر وكثر خوفه
من ابي مسلم فاستشار اسحق بن مسلم العقيلي فقال
انت بين امرين مخوفين احدهما ان يسبقك ابو مسلم
الى الانبار مع التباعد بينكما فيعقد الامر لغيرك قال
المنصور فان سلمنا من ذلك قال يعارضك عبد الله
بن علي وهو في مثل النخل من الرجال فياخذك ويعقد
الامر لنفسه قال فان سلمت من ذلك قال فالسلام
عليك يا امير المومنين فقال له فما الراي عندك
اذا قال تكتب كتابا كانه على لسان اخوتك
ان عمومتك وسائر اهلك قد عقدوا لك الامر وبايعوا
وتبعثه مع رجل خبير عاقل فيمر بعسكر ابي مسلم فانه
سيقبضه ويعلم ما عنده فاذا قرا الكتاب يعرج عن
الطريق ولا يدخل الانبار فاذا علمت ذلك ركبت

علي قعود وتسللت خفية فبادرت الى الانبار في الطريق
المختصر فتستبق الامر وتظفر به ففعل ذلك فكان كما
قال ووجد عمه عيسى بن علي قد امسك الامر عليه
حتى قدم فبويع وقد قال الشاعر

تمسك باهداب المشورة واستعن ، بحزم نصيح او نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ، فريش الخوافي قوة للقوادم

وقال آخر

اذا ما عرى خطب ودمت وروده ، فشاور فكم بحر هدته المشاوره
وانفع من شاورت من كان ناصحا ، شفيقا فابصر بعدها من تشاوره

الباب الثالث عشر في حفظ اللسان عند كل انسان

قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وقال تعالى ان ربك لبالمرصاد اعلم انه ينبغي لكل
مكلف ان يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما
تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في
المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد ينجر الكلام
المباح الى حرام ومكروه بل هذا كثير وغالب في العادة
والسلامة لا يعدلها شيء وروينا من صحيح مسلم
والبخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فليقل خيرا او ليصمت وكان مكتوب على خاتم
الامام ابا حنيفة رضي الله عنه قل الخير والا فاسكت

وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى اذا اراد
الانسان الكلام فليتفكر قبل كلامه فان ظهرت
المصلحة تكلم وان شك لم يتكلم حتى تظهر وقد ورد
في صحيح البخاري ومسلم رحمهما الله عن ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي المسلمين افضل
قال من سلم الناس من يده ولسانه وقد ورد في
كتاب الترمذي عن عقبة بن عامر قال قلنا يا رسول
الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك
بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن
صحيح وروى الترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والاحاديث
الصحيحة بمعنى ذلك كثيرة فيما اشرت اليه كفاية لمن
وفق واما اثار السلف والخلف في هذا الباب كثيرة
لا نحصرها لكن ننبه عليها مما جاء في ذلك بلغنا
ان قس بن ساعدة واكثم بن صيفي اجتمعا فقال احدهما
للاخر كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال هي
اكثر من ان تحصى وقد وجدت خصلة اذا استعملها
الانسان سترت العيوب كلها قال ما هي قال حفظ
اللسان وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى
لصاحبه الربيع يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك

فانك

فانك اذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها وقال
بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك

وقال ابن مطيع

لسان المرء ليث في كمين ، اذا خلى عليه له اغار
فصنه عن الخنا بلجام صمت ، يكن لك من بليته ستار

وقال آخر

احفظ لسانك ايها الانسان ، لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ، قد كان هاب لقاءه الشجعان

وقال آخر

اذا تم عقل المرء قل كلامه ، وايقن بحمق المرء ان كان مكثر

وقال الامام علي رضي الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال بعض الحكما الحكمة عشرة اجزا تسعة منها في الصمت والعاشر عزلة الناس وقال علي بن هشام

لعمرك ان الحلم زين لاهله ، وما الحلم الا عادة وتحلم
اذا لم يكن صمت الفتى من ندامة ، وعي فان الصمت اولى واسلم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي ذر عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان وعون لك على امر دينك ومن كلام الحكما من نطق في غير خير فقد لغا، ومن نطق في غير اعتبار فقد سها ومن سكت في غير فكر فقد لها وقيل لو قرات صحيفتك

لاغمدت صفيحتك، ولو رأيت ميزانك لختمت على
لسانك ولما خرج يونس عليه الصلاة والسلام
من بطن الحوت طال صمته فقيل له ألا تتكلم فقال
الكلام صيرني في بطن الحوت وقال حكيم جواب
الاحمق السكوت وقال بعضهم جواب العاقل
قوت، وجواب الجاهل السكوت وكان يقال من السكوت
ما هو أبلغ من الكلام لأن السفيه اذا سكت عنه كان
في اغتمام وقيل لرجل بم سادكم الاحنف فوالله
ما كان باكبركم سنا ولا باكثركم مالا فقال بقوة
سلطانه على نفسه وقيل الكلمة اسيرة في وثاق
الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها وقيل اجتمع اربع
ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس ما ندمت على ما لا قلت
مرة وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر انا
على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقال
ملك الصين ما لم اتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت
بها ملكتني وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة
ان رفعت ضرت وان لم ترفع لم تنفع وكان بهرام جالسا
ليلة تحت شجرة فسمع صوت طاير فرماه فاصابه
فقال ما احسن حفظ اللسان بالطاير والانسان لو
حفظ هذا لسانه ما هلك وقال عمرو بن العاص
الكلام كالدوا ان اقللت منه نفع وان اكثرت منه

قتل

قتل وقال لقمان يا بني اذا افتخر الانسان بحسن
كلامه فافتخر انت بحسن صمتك وقال ايضا يا
بني ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب
ومعناه يعني اذا كان كلام الخير من الفضة فالسكوت
عن المعاصي من الذهب يقول اللسان عند كل صباح
ومساء للجوارح كيف انتن فيقلن بخير ان سلمنا منك

وقد قال بعضهم

احفظ لسانك لا تقول فتبتلي ، ان البلاء موكل بالمنطق

وقال اعرابي رب نطق صدع حقا وسكوت شعب
صدعا كما قال الشاعر

وكم ساكت نال المنى بسكوته ، وكم ناطق يجني عليه لسانه

وقيل لعروة اخي مرداس لم لا تحدثنا ببعض ما
عندك من العلم قال اكره ان يميل قلبي باجتماعكم الي
الي حب الرياسة فاخسر الدارين كان عمرو بن
عبيد لا يكاد يتكلم فاذا تكلم لم يكد يطيل وقال
النخعي انما يهلك الناس في فضول الكلام وفضول
المال صحب رجل الربيع فقال اني لا اري الربيع لم يتكلم
منذ عشرين سنة الا بكلمة تصعد وكان لا يتكلم
في الفتنة فلما قتل الحسين قالوا ليتكلمن اليوم فقالوا
له يا ابا يزيد قتل الحسين فقال او قد فعلوا اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت

تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ثم سكت
وكان يقول ان العبد ان شاء ذكر وتبر وهو صام شفيتيد
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم
ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى
يستقيم لسانه فمن استطاع منكم ان يلقى الله وهو نقي
الراحة من دماء المسلمين واموالهم سليم اللسان
من اعراضهم فليفعل وعنه عليه الصلاة والسلام
انه قال اذا رايتم المومن صموتا فادنو منه فانه يلقى
الحكمة والصمت وقال بعضهم الاسترسال
الى الناس مجلبة لقرناء السوء والانقباض عنهم مكسبة
للعداوة فكن بين المنقبض والمنبسط اذا طلبت صلاح
قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك وقال محمد
بن القاسم قوي على باب صنعا ان كانت العافية من
شانك فسلط السكوت على لسانك وقال عبد الله
بن زكريا عالجت العبادة فلم اجد شيئا اشد من الصمت
اخذ ابن عباس رضي الله عنهما لسانه فقال يا لسان
قل خيرا تغنم واسكت عن القبيح تسلم وقال الامام
علي رضي الله عنه في نثر اللالي سلامة الانسان في
حفظ اللسان وقال ايضا بلاء الانسان من
اللسان وقال ايضا صلاح اللسان سلامة الانسان
من بعض نصايح ارسطاطاليس للاسكندر يا ملك

الزمان

الزمان اذا اردت التكلم افتكر الكلام وتكلم وقال
بعضهم اللسان صغير الجرم عظيم الجرم وقال
منصور لا تقل بلا تفكر لا تعمل بلا تدبير وقال
صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلم من يده
ولسانه وقال عبد الكريم بن امية ينبغي
للمؤمن ان يكون اشد حفظ للسان منه لموضع قدميه
لان تكون اخرس عاقلا خير لك من ان تكون نطوقا
جاهلا ولكل شيء دليل ودليل العقل التفكر ودليل
التفكر الصمت وقال بعضهم الصمت سلامة
من الندامة وتلافيك ما فرطت فيه من صمتك
ايسر من ادراك ما فات من منطقك وقال
علي رضي الله عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب
الناس وطوبى لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل
بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه في
شغل والناس منه في راحة وعنه راضية لا خير
في الصمت عن الحكم كما انه لا خير في القول بالجهل
وقال بعضهم احفظ راسك من عثرة لسانك
فما يهلك الانسان الا عثرات اللسان كما قال الشاعر
يموت الفتى من عثرة بلسانه ، وعثرته في الرجل تبرا على مهل
فعثرته من فيه ترمي براسه ، وليس يموت المرء من عثرة الرجل

وَقال بعض الحكما الزم الصّمت تعد في عقلاء فاضلو، وفي خلقك عاقلو، وفي قدرك حكيما، وفي عجزك حليما، وإياك وفضول الكلام، وتوقي كثرة الاقتحام، كلام المرء بيان فضله، وترجمان عقله، فاقتصر منه على القليل، واختصر منه على الجميل، فقال مريدا، وافعل حميدا، من لزم شانه، وحفظ لسانه، عما لا يعنيه وكفّ عن عرض اخيه، دامت سلامته، وقلّت ندامته الزم الصمت فانه يلزمك صفو المحبة، ويكسيك ثوب المودّة والقربه، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار، الصّمت آية الفضل، وثمرة العقل، وزين العلم، وعون الحلم، فالزمه تلزمك السّلامه، واصحبه تصحبك الكرامه، كن صموتا وصدوقا، ونصوحا وشفيقا، فالصّمت حرز، والصّدق عز، الصّمت دليل العقل والهنا، والصّدق وسيلة المنى، من اكثر مقاله سئم، ومن اكثر سؤاله حرم، كثرة المقال تملّ السّمع، وكثرة السّؤال توجب المنع، واذا احاججت فلا تقصر، واذا لاججت فلا تكثر، فمن قصّر في محاججته خصم، ومن اكثر في لجاجته شتم، ومن قصّر الكلام خصم، ومن اكثر فيه اثم، ومن كثر كلامه، كثرت اثامه، وزالت هيبته،

وقالت

وطالت غيبته، ولم يرع له حق، ولم يسلم عليه
خلق، واياك وما يستقبح من الكلام، فانه ينفر
عليك الكرام، ويجسّر عليك اللئام، فمن افرط في
المقال زل، ومن استخف بالرجال ذل، ومن بسط
لسانه بالمقال، قصر اخوانه عن الفعال، من قال
كلامه بطن الاحترام، وتوقّي سبيل الاقتحام، فلا
تبدي المقال، ولا تتبسّط في السؤال، واياك
وازالة الحشمه، واضاعة الحرمه، فازالة الحشمه
توجب الغضب والانكار، وازالة الحرمه توجب
العطب والدمار، اللسان، وزن الانسان، الكلام
المهذب، كالحسام المجرّب، اصدق المقال، ما
نطق به صوت الحال، من قلّ كلامه، قلّت اثامه،
من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قلّ حياؤه
ومن قلّ حياؤه كان من اهل النار، من حسن لسانه
ملك سلطانه، لسانك اسدك، ان حبسته
حرسك، وان اطلقته افترسك، من لزم الصمت،
امن من المقت، احسن الكلام ما صحّت اصوله،
وتمت فصوله، وابلغ الكلام ما زهرت مبانيه،
واتضحت معانيه، واحسن الكلام ما اعرب عن
الضمير، واستغني عن التفسير، طول المقام يمل،
وطول الكلام يزل، عثرة الرجل تزل القدم، وعثرة

اللسان تزيل النعم وقال بعض الحكما جعل الله
الانسان افضل الحيوان، وصير افضل جارحة فيه
اللسان فجعله للضماير ترجمانا، وللعقول والبصاير
تبيانا، وبين الحق والباطل فرقانا ولقد قال الاحنف
بن قيس النطق مسفر والصمت مستر وللكلام
دوية تتقدم علي المعاني دون الالفاظ فكل المعاني
اليك رويتك وفوض الالفاظ الي بديهتك فان
ابتكار المعاني خطر والروية في الالفاظ لكن ولان
يكون الكلام مطبوعا اولي من ان يكون مصنوعا
الا ان يكل الخاطر بشوايب الهموم ويكون الكلام
مع ذي قدر عظيم فيروي في الاختصار، ففي الاكثار
عثار يفضي الي ضجر ان استرذل، والي ملل ان استثقل،
وقد قيل اول العي الاختلاط، واسوء القول الافراط،
ولذلك قيل الحصر خير من الهذر، لان الهذر يتلف
المهجة وقال عبد الحميد العاقل، لسانه عاقل
وقيل في منثور الحكم اذا تم العقل نقص الكلام

وقد قال الشاعر

احفظ لسانك واستعذ من شره ، ان اللسان هو العدو الفاضح
وزن الكلام اذا نطقت بمجلس ، وزنا يلوح به الصواب اللايح
فالصمت من سعد السعود بمطلع ، يحمي الفتي والنطق سعد ذابح

وقال اخر

رأيت سكوتي متجراً فلزمته ، إذا لم أجد ربحاً فلست بخاسر
وما الصمت إلا للرجال متاجر ، وتاجره يعلو على كل تاجر

وقال بعضهم

اصمت فإن لسان المرء يورثه ، نوعاً من الذل أو نوعاً من الغصص
أما ترى طائر المسموع أوقعه ، كلامه دون جمع الطير في القفص

يقول مؤلف الكتاب اللسان عدو الإنسان ،
إن ملكته ملكك ، وإن أطلقته هلكك ، فكم من شجيع
هلك من إطالة لسانه ، وكم من جبان نال المنى بمداراة
أهل زمانه ، فعليك بحفظه ، وتوقّ من كثرة لفظه ،
فما يهلك الإنسان إلا عثرات اللسان لمؤلفه مفرد
عليك بحسن النطق إن كنت عاقلاً ، فما عاقل إلا لنطقه عاقل
فقد روي عن الصديق رضي الله عنه أنه كان
يضع حجراً في فيه يمنع بها نفسه من الكلام ويشير
إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد وقال
ابن مسعود والله الذي لا إله إلا هو ما من شيء أحوج
إلى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع
إن أطلقته أكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل
داود حق على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه حافظاً
للسانه ، مقبلاً على شأنه وقال الأوزاعي كتب
إلينا عمر بن عبد العزيز أما بعد فإنه من أكثر ذكر
الموت رضي من الدنيا باليسير ، ومن عدّ كلامه من عمله

قلّ كلامه فيما لا ينفعه وقال بعضهم الصمت
يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه والفهم عن
صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا
يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من الدنانير والدراهم
وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون
لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك على سائر
عمله وقيل ان ابن المعتمر لم يتكلم بعد عشاء الاخرة
اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام
الدنيا عشرين سنة وقيل انه كان اذا اصبح وضع
قرطاسا نقيا وقلما وكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب
نفسه عند المسا فان قلت هذا الفضل الكثير
للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان
من الخطاء والكذب والنميمة والغيبة والريا والنفاق
والفحش والمرا وتزكية النفس والخصومة والفضول
والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان
وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي
سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب
وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها
قلما يقدر على ان يذم اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه
عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم ففي الخوض خطر
وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما

فيه

فيه من جمع الهمّ ودوام الوقار والفراغة للفكر والعبادة
والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن
حسابه في الآخرة **ويدلك** على لزوم الصمت أمر وهو
أن الكلام أربعة أقسام قسم وهو ضرر محض وقسم
فيه ضرر ومنفعة وقسم لا ضرر فيه ولا منفعة أما
الذي هو ضرر محض فلا بدّ من السكوت عنه وكذلك
ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر وأمّا ما لا منفعة
فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان
وهو عين الخسران فلا يبقى إلا القسم الرابع وقد
سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع
فيه خطر إذ يمتزج به ما فيه إثم من دقائق الريا
والتصنّع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام
امتزاجاً يخفى مدركه فيكون الإنسان به مخاطراً
وقد قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا فلقد
أوتي والله جوامع الكلم وجواهر الحكم ولا يعرف أحد
ما تحت كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء
وقال مجاهد سمعت ابن عباس رضي الله عنهما
يقول خمس لهن أحسن من الدهم الموقفة لا تتكلم فيما
لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم
فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً فإنه ربّ متكلم في
أمر قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليماً

ولا سفيهًا فانّ الحليم يقليك والسّفيه يوذيك
واذكر اخاك اذا تغيّب عنك كما تحبّ ان يذكرك به
واعفه ممّا تحبّ ان يعفيك منه واعمل عمل رجل
يري انّه مجازي بالاحسان مأخوذ بالاجرام **وقيل**
للقمان ما حكمتك قال لا اسئل عمّا كفيت ولا اتكلّف
ما لا يعنيني **فصل** في تحريم الغيبة اعلم انّ
الغيبة من اقبح القبائح واكثرها انتشارًا في النّاس
حتّى لم يسلم منها الا القليل من النّاس وهي ذكرك
الانسان بما فيه وبما يكره سواء كان في دينه او بدنه
او نفسه او خلقه او خلقه او ماله او ولده او زوجه
او خادمه او عمامته او ثوبه او مشيته او حركته او
بشاشته او خلاعته او غير ذلك ممّا يتعلّق به سواء
ذكرته بلفظك او بكتابك او رمزت اليه بعينك
او يدك او راسك ونحو ذلك **وامّا** البدن فقولك
اعمي او اعرج او اعمش او قصير او طويل او اسود او
اصفر **وامّا** الدّين فقولك خاين ظالم متهاون
بالصّلوة ليس برّ ابو الديه ولا يضع الزكاة مواضعها
لا يتجنّب الغيبة **وامّا** الدّنيا فقولك فلان قليل
الادب متساهل بالنّاس لا يري لاحد عليه حقًّا
كثير الكلام كثير الاكل والنّوم وما اشبه ذلك
او يقول فلان ابوه نجّارا او اسكافًا او حدّادا او

حايك

حايك يريد تنقصه بذلك أو فلان سيّئ الخلق متكبّر
مرائي معجب عجول جبّار ونحو ذلك أو فلان واسع الكمّ
طويل الذيل وسخ الثوب ونحو ذلك ورويْنا في صحيح
مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن أبي
هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال
ذكرك أخاك بما يكره قيل فإن كان في أخي ما أقول قال
إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد
بهتّه قال الترمذي حديث حسن صحيح ورويْنا في سنن
أبي داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت
قلت للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم حسبك من صفيّة كذا وكذا
قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت
بماء البحر لمزجته أي خالطته مخالطة يتغيّر بها طعمه
أو ريحه ورويْنا في سنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا عرج بي مررت
بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم
فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون
لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وروي عن جابر
رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال
إيّاكم والغيبة فإنّ الغيبة أشدّ من الزنا ثمّ قال رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم إنّ الرجل ليزني فيتوب الله عليه

بهتّه بهتاً وبهتاناً قال عليه ما لم يفعل قاموس انتهى

وان صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها وعن انس رضي الله عنه من اغتاب المسلمين واكل لحومهم بغير حق وسعى بهم الى السلطان جي يوم القيمة مزرقة عيناه ينادي بالويل والثبور يعرف اهله ولا يعرفونه وقال الاحنف في خصلتان ان لا اغتاب جليسي اذا غاب عني ولا ادخل في امر قوم لا يدخلوني فيه وقيل للربيع بن خيثم ما نراك تعيب احدا فقال لست عن نفسي راضيا فاتفرغ لذم الناس فاذمهم وفي المغني قول الشاعر

المرء يعرف في الانام بفعله ، ومحاضر الحر الكريم كاصله
لا تستغيب فتستغاب فانه ، من قال شيئا قيل فيه بمثله
وتجنب الفحشاء لا تنطق بها ، ما دمت في جد الكلام وهزله

وقال آخر

لنفسي ابكي لست ابكي لغيرها ، لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

وقال آخر

اري كل انسان يري عيب غيره ، ويعمي عن العيب الذي هو فيه

اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وقال محمد بن حرب اول من عمل الصابون سليمان واول من عمل السويق ذو القرنين واول من عمل القراطيس يوسف واول من

بني المداين في الاسلام الحجاج، واول من كتب في القراطيس
الحجاج، ~~واول من عمل السويق ذو القرنين~~ واول من اغتاب
ابليس اغتاب آدم **وقيل** للحسن البصري رحمه الله ان
فلانا اغتابك فاهدي اليه طبقا من رطب فاتاه
الرجل فقال اني اغتبتك فقال الحسن اهديت الي من
حسناتك فاردت ان اكافيك **وعن** ابن المبارك
رحمه الله تعالى قال لو كنت مغتابا احدا لاغتبت
والدي لانهما احق بحسناتي **واذا** حاكي انسان
انسانا بان يمشي متعارجا او مطاطيا او علي غير ذلك
من الهيات يريد تنقصه بذلك فهذا حرام **وبعض**
المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا
يفهم به كما يفهم بالتصريح فيقال لاحدهم كيف حال
فلان فيقول الله يصلحنا ويصلحه الله يغفر له الله يصلحه
نسال الله العافية نحمد الله الذي لم يبتلينا بالدخول
علي الظلمة نعوذ بالله من الشر يعافينا الله من قلة الحيا
يتوب الله علينا وما اشبه ذلك مما يفهم تنقيصه
فكل ذلك غيبة محرمة **فصل** في تحريم السعاية
بالنميمة قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز
مشاء بنميم وحسبك بالنمام خسيه ورذيلة وسقوطا
وضعة والهماز المغتاب الذي ياكل لحوم الناس
الطاعن فيهم **وقال** الحسن البصري هو الذي

يغمز باخيه في المجلس وهو من الهمزة اللمزة وقال علي والحسن البصري رضي الله عنهما العتل الفاحش السيئ الخلق وقال ابن عباس رضي الله عنهما العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير العتل الاكول والشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة وقال الكلبي هو الشديد في كفره وقيل العتل الشديد الخصومة، والزنيم هو الذي لا يعرف من ابوه وقال

زنيم ليس يعرف من ابوه ، بغي الام ذا حسب لئيم

وروينا في صحيح البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة نمام وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الاخر فكان لا يستتر من بوله وقال الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى النميمة انما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه كقوله فلان يقول فيك كذا فينبغي للانسان ان يسكت عن كل ما راه من احوال الناس الا ما في حكايته رواية لمسلم او دفع معصية وينبغي لكل من حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا الا يصدق ممن نم اليه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر واذا

ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبل فعله ويبغضه في الله
فانه بغيض عند الله تعالى والبغض في الله واجب وان لا
يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله اجتنبوا كثيرا من
الظن وسعى رجل الى بلال ابن ابي بردة برجل وكان
امير البصرة فقال له انصرف حتى اكشف فكشف عنه
فاذا هو لغير رشده يعني ولد زنا وقال ابو موسى
الاشعري لا ينم على الناس الا ولد بغي وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بشراركم قالوا
بلى يا رسول الله قال من شراركم المشاؤون بالنميمة
المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب وروي
ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون
كل شغار ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون
كل منان والشغار المحرش بين الناس يلقي بينهم
العداوة والقتات النمام والمنان الذي يعمل الخير
ويمن به واما السعاية الى السلطان والى كل ذي
قدرة فهي المهلكة والحالقة لانها تجمع الخصال الذميمة
من الغيبة ولؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال
في المنازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط الكبير
عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم اراقه سعي ساع
وكم حرام استبيح بنميمة ساع وكم من صفيين تقاطعا

رجل قتات وقتوت وقتيتي نمام
او يتبع احاديث الناس من حيث
لا يعلمون سواء نمها او لم ينمها
قاموس الا

وكم متواصلين تباعدا وكم من محبين افترقا وكم من
الفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه
رجل صفت له الاوقات وساعدته الايام ان يصغي
سمعه لساع او نمام **ووجد** في حكم القدما ابغض
الناس الى المثلث قال الاصمعي هو الرجل الذي يسعي
باخيه الى امام فيهلك نفسه واخاه وامامه
وفي المثل السائر من اطاع الواشي ضيع الصديق وقد
تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل
واللسان لا يندمل جرحه **كما قال الشاعر**

جراحات السنان لها التيام ، ولا يلتام ما جرح اللسان

ورفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد حثه فيها
على اخذ مال يتيم وكان مالا كثيرا فكتب اليه على ظهرها
النميمة قبيحة ، وان كانت صحيحة ، والميت رحمه الله ،
واليتيم جبره الله ، والساعي لعنه الله ، ولا حول ولا
قوة الا بالله **وقيل** في منثور الحكم سوق النفاق دائمة
النفاق **وقال** عبد الملك بن مروان لروح بن زنباع
لا تغتابن عندي احدا فاني لا ائتمنك على غيبي ولا
تفش لي سرا فانني لا اثق بك في مجلسي ولا تطريني
في وجهي فانني ان قبلته منك عتبت عقلي وان
رددته عليك اسات عشرتي وانت اعرف بنفسك
من غيرك فيما يستحق به حمدا او ذما ففاتح نفسك

بها

143

بما فيها فانك اعلم بمحاسنها ومساويها وقال صالح بن عبد القدوس

قل للذي لست ادري من تلونه ، اناصح ام على غش تناجيني
تغتابني عند اقوام وتمدحني ، في آخرين وكل عنك ياتيني
اني لاكثر مما سمتني عجبا ، يد تشج واخرى منك تاسوني
هذان شيان شتان بينهما ، فاكفف لسانك عن شتمي وتزييني

وقيل لالف لجوج جموح خير من واحد متلون وكان يشبه المتلون بابي براقش وابي قلمون فابو براقش طاير منقط بالوان النقوش يتلون في اليوم الوانا ويقال للطايش الذي لا ثبات معه ابو رياح تشبيها بمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عامود حديد فوق قبة باب الجامع يدور مع الريح ويمناه ممدوده واصابعه ممدودة الا السبابة اذا اشكل مهب الريح عرفوه فانه يدور باضعف نسيم يصيبه والذي تعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمي ابا رياح ايضا ويقال اخلاق الملوك مثل في التلون

وقال بعضهم

ويوم كاخلاق الملوك تلونه ، وصحو وتغييم وطل ووابل
اشبهه اياك يا من صفاته ، دنو واعراض وسنع ونايل

وكلم معاوية الاحنف في شي بلغه عنه فانكره الاحنف فقال له معاوية بلغني عنك الثقة فقال

الاحنف ان الثقة لا يبلغ وكان الفضل بن سهل
يبغض السعاية واذا اتاه ساع قال له ان صدقناك
ابغضناك وان كذبتنا عاقبناك وان استقلتنا اقلناك
وقيل من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب
وقال المأمون النميمة لا يقرب مودة الا افسدتها
ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها فلا بد
من عرفها ونسب اليها ان يجتنب ويخاف معرفته
ولا يوثق بمكانه وقال بعضهم
من نم في الناس لم تؤمن عقاربه، على الصديق ولم تؤمن افاعيه
كالسيل بالليل لا يدري به احد، من اين جاء ولا من اين ياتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه، والويل للود منه كيف يفنيه
ومما جاء في النهي عن اللعن ما روينا في صحيحي البخاري
ومسلم عن ثابت بن الضحاك قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله ورويناً في صحيح
مسلم ايضا عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون
شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وفي لعن اصحاب
الاوصاف المذمومة كقولك لعن الله الظالمين
لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن
الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك
وثبت في الاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله

عليه وسلم قال لعن الله الواصلة والمستوصلة وانه قال لعن الله آكل الربا وانه قال لعن الله المصورين وانه قال لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله وانه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وانه لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الالفاظ في البخاري ومسلم وبعضها في احدهما

الواصلة المراة التي تصل شعرها بشعر غيرها والمستوصلة الطالبة لذلك انتهى

الباب الرابع عشر في كتمان السر على العبد والحر

قال الله حكاية عن يعقوب عليه الصلاة والسلام يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك الاية فلما افشى يوسف رؤياه بمشهد امراة يعقوب اخبرت اخوته فحل به ما حل ومن شواهد الكتاب العزيز في السر فاوحى الى عبده ما اوحى وقوله تعالى وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم وفي الحديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي كرم الله وجهه سرك اسيرك فان تكلمت به صرت اسيره واعلم ان امناء الاسرار اقل وجودا من امناء الاموال وحفظ الاموال ايسر من كتمان الاسرار لان احراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال واحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل

الاسرار اثقل من حمل الاموال فان الرجل يستقل بالجمال
الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وان
الرجل يكون سر في قلبه فيلحقه من القلق والكرب
ما لا يلحقه من حمل الاثقال فاذا اذاعه استراح قلبه
وسكن خاطره وكانما القى عن نفسه حملا ثقيلا
وقال عمر بن عبد العزيز القلوب اوعية الشفاه
اقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان
مفتاح سره ومن عجايب الامور ان الاموال كلما
كثرت خزانها كان اوثق لها الا الاسرار فانها
كلما كثرت خزانها كان اضيع لها وكم من اظهار
سر اراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ ما به ولو كتمه
امن من سطواته وقال انوشروان من حصن سره
فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة
من السطوات وقال حكيم ضيق سرك من لا سر له
عندك وقيل لاعرابي ما بلغ من حفظك للسر قال
افرقه تحت شغاف قلبي ثم لا اجمعه وانساه كاني
لم اسمعه كما قال بعضهم
يا ذا الذي اودعني سره ، لا ترتج ان تسمعه مني
لم اجره بعدك في خاطري ، كانه ما مر في اذني
وقال بعض الحكما احزم الناس الذي لا يفشي سره
الى صديقه مخافة ان يقع بينهما شر فيفشيه

عليه وقال الشاعر

احذر عدوك مرة ، واحذر صديقك الف مرة
فلربما انقلب الصديق ، فصار ادري بالمضرة

وقال بعض الحكما قلوب الاحرار قبور الاسرار

وقال بزرجمهر الطمانينة الى كل احد قبل الاختبار حمق

وقال بعضهم

اذا ما عرفت الذنب يوما لصاحب ، فلست مجيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما صاحب حال عهده ، وعندي له سر مذيعا له سرا

لشريف الاشرف ابن الاعرابي

اكتم سر الصديق من شرف الو ، د وسر العدو من شرفي
ولا يراني اجيل سرهما ، من طرف في الحشا الى طرف
ينصرف الخل عن محافظتي ، ولست عن عادتي بمنصرف

وقال آخر

لي صديق كنت اهوى غيره ، وحقيق لي بان ارغب فيه
يكتم الجهر اذا حدثته ، واذا استودعته سرا نسيه

وقد قيل في منثور الحكم انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون كما قال الشاعر

تفرد بحفظ السر وحدك لا تثق ، الى احد فيه ولو كان ما كان
فانك ان اودعت سرك عاقلا ، يزل وان اودعته جاهلا خان

وقال بعض الحكما اخف لاسرارك من تثق بدينه وكتما وتسلم من اذاعته واذلاله لو قدرت ان لا تودع

سرك غيرك كان اولى بك واسلم لك لان فيها بين خطر او حذر وقال بعض الحكما اربعة تدل على صحة الراي طول الفكر وحفظ السر وفرط الاجتهاد وترك الاستبداد والعرب تقول في امثالها من ارتاد لسر فقد اذاعه وقال بعضهم

اذا ضاق صدر المرء عن كتم سره ، فصدر الذي اودعته السر اضيق

وقال آخر

اذا انت لم تحفظ لنفسك سرها ، فسرك عند الناس افشى واضيع

وقال آخر

كل شي ليس في القرطاس ضاع ، وكل سر جاوز الاثنين شاع

يقول مؤلف الكتاب الكشف سرك الى من تثق منه بخمسة خصال الحيا والعلم والصدق والديانة وكتمان السر وقيل في منثور الحكم صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل في منثور الحكم اربعة لا يركبها الا اهوج ولا يسلم منها الا القليل مناجزة الحرب وركوب البحر وشرب السم للتجربة وايتمان النسا على السر ومن وصايا ارسطاطاليس للاسكندر اياك يا ملك الزمان تكشف سرك على الاولاد والمجاذيب والنسا وقيل كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا وقال كعب بن سعد الغنوي

ولست ببدي للرجال سريرتي ، ولا انا عن اسرارهم بسئول

وقال أبو مسلم صاحب الدولة

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت، عنه ملوك بني مروان إذ جهدوا
ما زلت أسعى عليهم في ديارهم، والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا، من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما في أرض مسبعة، ونام عنها تولى رعيها الأسد

وأسر رجل إلى صديقه حديثا ثم قال أفهمت قال بل جهلت قال أحفظت قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر، وقال المهلب أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر إليه، ومن أحسن ما قيل في كتمان السر قول الشاعر

ولها سرائر في الضمير طويتها، نسي الضمير بأنها في طيه

وقيل كتمان الأسرار، يدل على جواهر الرجال، وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها فكذلك لا خير في إنسان لا يمسك سره وقد قال الشاعر

ومستودعي سرا كتمت مكانه، عن الحس خوفا أن ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة، فأودعته من حيث لا يبلغ الحس

وقال قيس بن الخطيم

أجود بمكنون التلاد وإنني، بسري عمن سالني لضنين
وإن ضيع الأقوام سرا فإنني، كتوم لأسرار العشير أمين

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أفشيت

سري الى احد قط فافشا فلمته اذا كان صدري به
اضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل
بسره فاذا احدث به احدا قال اكتمه علي كما قال
بعضهم واجاد

اذا المرء افشي سره عند غيره ، ولام عليه غيره فهو احمق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ، فصدر الذي يستودع السر اضيق

ولله در القايل

اذا ما ضاق صدرك عن حديث ، وافشته الرجال فمن تلوم
اذا عاتبت من افشى حديثي ، وسري عنده فانا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس لا تودع سرك الى
طالبه فالطالب للسر مذيع لا تودع سرك عند من
يستذيعه فالطالب للوديعة خاين وقال بعضهم

ولا تودعي الاسرار اذني فانما ، تصبين ما في اناء مثلم

ولله در القايل

ولا اكتم الاسرار لكن اذيعها ، ولا ادع الاسرار تغلو على قلبي
وان قليل العقل من بات ليلة ، تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال بعضهم

وانك كلما استودعت سرا ، انم من النسيم على الرياض

وقال آخر

لحا الله امرءا اولاك سرا ، فبحت به وفض الله فاه
كانك بالذي استودعت منه ، انم من الزجاج بما وعاه

وقال

وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي
اناس امنّاهم فنمّوا حديثنا، فلمّا كتمنا السرّ عنهم تقوّلوا

ولله درّ المتنبّي
وللسرّ منّي موضع لا يناله، نديم ولا يفضي اليه شراب

ومن شروط الصحبة والاخوّة ان تسكت عن افشاء سرّ اخيك الذي استودعك ايّاه وكذلك ان تنكره وان كنت كاذبًا فليس الصدق واجبًا في كلّ مقامٍ فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى الكذب فله ان يفعل ذلك في حقّ اخيه فانّ اخاه نازل منزلته وهما كشخصٍ واحدٍ لا يختلفان الّا بالبدن هذه حقيقة الاخوّة ولذلك لا يكون العمل بين يديه مرائيًا وخارجًا عن اعمال السرّ الى اعمال العلانية لان معرفة اخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرقٍ وقد قال صلّى الله عليه وسلّم من ستر عورة اخيه ستر الله عورته في الدنيا والاخرة وفي خبر آخر كانّما احيا موءودة من قبرها وقال صلّى الله عليه وسلّم اذا تحدّث الرجل بحديثٍ ثمّ التفت فهي امانة وقال صلّى الله عليه وسلّم المجالس بالامانة الّا ثلاثة مجالس مجلس فيه سفك دم حرام ومجلس يستحلّ فيه فرج حرام ومجلس يستحلّ فيه مال من غير حلّه وقال صلّى الله عليه وسلّم

ب‍ المراد بالشراب الحبيب ١٢٤١

انما يتجالس المتجالسان بالامانة لا يحل لاحدهما ان
يفشي على صاحبه ما يكره وقيل لبعض الحكما كيف
حفظك للسر قال انا قبره وقال ابن المعتز

ومستودعي سرا تبوات كتمه ، فاودعته صدري فصار له قبرا

وقيل قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في
قلبه اي لا يطيق الاحمق اخفا ما في نفسه فيبديه
من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى
والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم يقول
مؤلف الكتاب من استعمل الوقار ، وكتم الاسرار ،
فهو من الاخيار وقال بعض الحكما من كتم سره ملك
امره ، من لم يجد في امره ، استمكن عدوه من نحره ، من
اسر الى غير نفسه فقد ضيع سره ، ومن استعان بغير
رشيد فقد افسد امره ، من افشى سرك ، افسد
امرك ، من اقبح الاعذار ، اذاعة الاسرار وافشى
بعضهم سرا الى اخيه ثم قال له حفظت فقال بل
نسيت وقال الشاعر في المعنى

وما السر في صدري كثاو بقبره ، لاني ارى المقبور ينتظر النشرا
ولكنني انساه حتى كانني ، بما كان منه لم احط ساعة خبرا
ولو كان كتم السر بيني وبينه ، عن السر والاحشاء لم اعلم السرا

وكان ابو سعيد الثوري يقول اذا اردت ان تواخي
رجلا فاغضبه ثم دس عليه ما يساله عنك وعن

اسرارك

اسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه وقيل لابي يزيد من يصحب من الناس فقال من يعلم منك ما لا يعلمه الله ثم يستر عليك كما يستر الله وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب ان يراك الا معصوما ومن افشى السر عند الغضب فهو اللئيم لان اخفاءه عند الرضى تقتضيه الطباع السليمة كلها وقال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما ارى هذا الرجل يعني عمر يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا يجربن عليك كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلع منك على خيانة قال الشعبي كل كلمة من هولاء خير من الف كلمة وقال بعض الحكما لا تصحب من يتغير عليك عند اربع عند غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه، بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف هذه الاحوال ولذلك قال الشاعر

وترى الكريم اذا تصرم وصله ، يخفي القبيح ويظهر الاحسانا

وترى اللئيم اذا تقضى وصاله ، يخفي الجميل ويظهر البهتانا

وقد اقتصرت على هذا القدر اليسير، ونسال الله كمال التيسير

الباب الخامس عشر في الاخلاص والنية مع حسن الطوية

قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى الا لله الدين الخالص وقال تعالى الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم

وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن
قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله تعالى الخبر وعن
مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابي ان له فضلا على
من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
صلى الله عليه وسلم انما نصر الله هذه الامة بضعفائها
ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الاخلاص
سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي
وقال علي رضي الله عنه لا تهتموا لقلة العمل فاهتموا
للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص
العمل يجزك منه القليل وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما من عبد يخلص العمل لله اربعين يوما الا ظهرت
ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال صلى الله عليه
وسلم اول من يسال يوم القيمة ثلاث رجل اتاه الله
العلم فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيما علمت قال يا رب
كنت اقوم اناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى
كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك
ورجل اتاه الله مالا فيقول الله لقد انعمت عليك فما
صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق اناء الليل واطراف
النهار فيقول الله كذبت ويقول الملائكة كذبت بل
اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل

فقال

قتل في سبيل الله فيقول الله ماذا صنعت فيقول يا رب
امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول
الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد
قيل ذلك قال ابو هريرة رضي الله عنه ثم خط رسول الله صلى
الله عليه وسلم على فخذي وقال يا ابا هريرة اولئك اول
خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيمة فدخل راوي هذا
الحديث على معاوية وروى له هذا الحديث فبكى معاوية
حتى كادت تخرج نفسه ثم قال صدق الله اذ قال قال من
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين
ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها
وباطل ما كانوا يعملون وحكي في الاسرائيليات
ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاء قوم فقالوا ان
ههنا قوم يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب
لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها
فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك
الله فقال اريد ان اقطع هذه الشجرة فقال وما انت وذاك
تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير
ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال فاني لا اتركك
ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه على الارض
وقعد على صدره فقال اطلقني حتى اكلمك فقام عنه

فقال ابليس يا هذا ان الله قد اسقط عنك هذا ولم
يفترضه عليك وما تعبدها وما عليك من غيرك ولله
تعالى انبيا في الارض ولو شا لبعثهم الى اهلها وامرهم
بقطعها قال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه للقتال
فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس
فقال له هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك
وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقوله لك فاطلقه فقال
ابليس انت رجل فقير لا شي لك انما انت كل على الناس
يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي
جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع
عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك كل ليلة
دينارين اذا اصبحت فاخذتهما وانفقت على نفسك
وعيالك وتصدقت على اخوانك فتكون ذلك انفع لك
وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي مكانها اخرى
ولا يضرهم قطعها شيا ولا ينفع اخوانك المومنين
قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق
الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني
الله ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر
منفعة فعاهده على الوفا بذلك وحلف له فرجع العابد
الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند راسه
فاخذهما وكذلك في الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما

بعد

بَعدَه فلم يرشيئًا فغضب وَاخذ فاسه على عاتقه
فاستقبله ابليس في صُورة شيخ فقال الى اين قال اقطع
تلك الشجرة فقال كذبت وَالله ما انت بقادرٍ على ذلك
وَلا سبيل لك اليها فتناوله العابد لياخذه كما فعل
اوّل مرّة فقال هيهات فاخذه ابليس وصرعه فاذا
هُو كالعصفور بين يديه وقعد ابليس على صدره وقال
لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنّك فنظر العابد
فاذا لا طاقة له به قال يا هذا غلبتني فخلّ عنّي واخبرني
كيف غلبتك اوّلًا وغلبتني الان فقال لانّك غضبت
اوّل مرّة لله كانت نيّتك الاخرة فسخّرني الله لك
وهذه المرّة قد غضبت لنفسك وللدّنيا فصرعتك
وهذه الحكاية يصدقها قوله تعالى الا عبادك منهم
المخلصين اذ لا يتخلّص العبد من الشيطان الا بالاخلاص
ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا
نفس اخلصي تخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص
من يكتم حسناته كما يكتم سيّئاته وقال ابو سليمان
طوبى لمن صحّت له خطوة واحدة لا يريد بها الا وجه
الله تعالى وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى
ابي موسى الاشعري من خلصت نيّته كفاه الله تعالى
ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاوليا الى اخ له
اخلص العمل في اعمالك يكفك القليل من العمل

وقال ايوب السختياني تخليص النيات على العمال اشد
عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفى صفي
له ومن خلط خلط عليه وروي بعضهم في المنام فقيل
له كيف وجدت اعمالك فقال كل شيء عملته لله تعالى
وجدته حتى حبة رمان التقطها من طريق وحتى هرة
ماتت لنا فرايتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط
من حرير فرايته في كفة السيئات وكان قد نفق حمار لي
قيمته ماية دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور
في الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل قد توجه حيث
بعثته لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل اجرك
ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية
وتصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي
فوجدته لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا اما احسن
حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن
معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن
من الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النسا
ويحضر موضعا فيه عرس او ماتم فيه النسا فاتفق
ان حضر يوما موضعا فيه يجتمع النسا فسرقت درة
فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش وكانوا يفتشون
واحدة بعد واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى امراة
فدعا الله تعالى بالاخلاص فقال ان نجوت من هذه

الفضيحة

الفضيحة لا اعود الى مثلها فوجدوا الدم مع تلك
المراة وصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدم
وقال بعض الصوفية كنت قايما مع ابي عبيد البسري
وهو يحرث ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به
بعض ~~من يوم عرفة فمر به~~ بعض اخوانه من الابدال
فسارّه بشيء فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح
الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال
لك قال سالني ان احج معه فقلت لا قال فقلت فهلا
فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتم هذه
الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله تعرضت
لمقت الله لاني ادخل في عمل الله تعالى شيئا غيره فيكون ما
انا فيه هو اعظم عندي من سبعين حجة **ويروى** عن
بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت
اشتريها فانتفع بها في غزوتي فاذا دخلت مدينة كذا
بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرايت تلك الليلة في
المنام كان شخصين نزلا من السماء فقال احدهما
لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه خرج فلان متنزها
وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله تعالى
ثم نظر الي وقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله
في امري ما خرجت اتجر ولا معي تجارة اتجر فيها ما
خرجت الا للغزو فقال لي يا شيخ اليس قد اشتريت

امس بخلاوة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني
تاجرًا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى قال اكتب خرج
فلان غازيًا الا انه اشترى في طريقه بخلاوة ليربح فيها
حتى يحكم الله فيه ما يرى وقال سري السقطي لان
تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان
تكتب سبعين حديثًا او سبع ماية معلق وقال
بعضهم في خلاص ساعة واحدة نجاة الابد ولكن
الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه
الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدًا اعطاه
الله ثلاثًا ومنعه ثلاثًا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه
القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص
فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال
السري مراد الله من عمل الخلق الاخلاص فقط وقال
الجنيد ان لله تعالى عبادًا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما
عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر
اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع
الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل
وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهاذين فقد
فزت في الدارين بيان في فضيلة النية قال الله تعالى
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه والمراد بتلك الارادة النية وقال صلى الله

عليه

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا
نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ
وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا
فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَكْثَرُ شُهَدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْفُرُشِ وَرُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ
الصَّفَّيْنِ اللهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ وَقَالَ اللهُ تَعَالَى إِنْ
يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا فَجَعَلَ النِّيَّةَ سَبَبَ
التَّوْفِيقِ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ
إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ
وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ لِأَنَّهَا مَظِنَّةُ النِّيَّةِ وَقَالَ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ أَعْمَالًا حَسَنَةً
فَتَصْعَدُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ فِي صُحُفٍ مُخَتَّمَةٍ فَتُلْقَى بَيْنَ يَدَيِ
اللهِ تَعَالَى فَيَقُولُ أَلْقُوا هَذِهِ الصَّحِيفَةَ فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِهَا
وَجْهِي ثُمَّ يُنَادِي الْمَلَائِكَةَ اكْتُبُوا لَهُ كَذَا وَاكْتُبُوا لَهُ كَذَا
فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ إِنَّهُ
نَوَاهُ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسُ أَرْبَعَةٌ
رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَمَالًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ
فَيَقُولُ رَجُلٌ لَوْ آتَانِيَ اللهُ مَا آتَاهُ لَعَمِلْتُ كَمَا يَعْمَلُ فَهُمَا
فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَهُوَ
يَتَخَبَّطُ بِجَهْلِهِ فِي مَالِهِ فَيَقُولُ رَجُلٌ لَوْ آتَانِيَ اللهُ مِثْلَ
مَا آتَاهُ لَعَمِلْتُ كَمَا يَعْمَلُ فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ إِلَّا

ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله وهمه وبه
وكذلك في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه لما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
قال إن بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا
موطئا يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا
مخمصة إلا شاركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف
ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر
فشاركوا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود من
هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل وتزوج بامرأة منا
فكان يسمى مهاجر أم قيس وكذلك جاء في الخبر أن
رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار لأنه
قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك
فأضيف إلى نيته وفي حديث عبادة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوي إلا عقالا
فله ما نوى وقال أبي استعنت رجلا يغزو معي فقال
لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له وروي في
الإسرائيليات أن رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة
فقال في نفسه لو كان لي هذا الرمل طعاما لقسمته
بين المسلمين فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له

ان الله قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك
واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به
وقد ورد في اخبار كثيرة من هم بحسنة ولم يعملها
كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله ابن عمرو من
كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها
ارغب ما يكون فيها ومن تكن الاخرة نيته جعل الله
غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد
ما يكون فيها وفي حديث ام سلمة رضي الله عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم
بالبيدا فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره والاجير
فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتل المقتتلون
على نياتهم وقال صلى الله عليه وسلم اذا التقى
الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم
فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل
عصبية الا لا تقولوا قتل فلان في سبيل الله فمن قاتل
لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز
وجل وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال يبعث كل عبد على ما مات
عليه وفي حديث الاحنف عن ابي بكرة اذا التقى
المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار

قيل يا رسول هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه
اراد قتال صاحبه وفي حديث ابي هريرة من تزوج
امرأة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن
ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال
صلى الله عليه وسلم من تطيب لله جاء يوم القيمة
وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء
يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة واما الاثار
فقد قال عمر رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما
افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق
النية فيما عند الله تعالى وكتب سالم بن عبد الله
الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله للعبد على قدر
النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص
بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه
النية وقال داود الطائي من كان اكبر همته التقوى
فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردت نيته يوما
الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال
الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون
العمل وقال بعض العلما اطلب النية للعمل
قبل العمل ومادمت تنوي الخير فانت بخير وكان
بعض المريدين يطوف على العلما يقول من يدلني على
عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى فاني لا احب ان

ياتي على ساعة من ليل او نهار الا وانا عامل من عمال الله
فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت
فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير
كفاعله وكذلك بعض السلف ان نعمة الله عليكم
اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن
اصبحوا تايبين وامسوا تايبين يغفر لكم ما بين ذلك
وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت
ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال ابو
هريرة يبعثون يوم القيمة على قدر نياتهم وكان
الفضيل بن عياض اذا قرا ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم يبكي
ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت
استارنا وقال ابو هريرة مكتوب في التورية ما اريد
به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير وجهي فكثيره
قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن
فلا يدعه الله تعالى وقوله حتى ينظر في عمله فاذا عمل
فلا يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع فلم يدعه حتى
ينظر فيما ذا نوى فاذا صلحت النية فاحرى ان يصلح
ما دون ذلك فاذا عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر
الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير وان
تعذر العمل بعايق بيان ان النية لا تدخل تحت

الاختيار اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية
بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم
الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه او
تجارته او اكله نويت ان ادرس لله واتجر لله واكل لله ويظن
ان ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث
لسان او فكر وانتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل
عن جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها
الى ما ظهر اليها ان فيه غرضها اما عاجلا واما اجلا
والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة
بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل
اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه
بقلبي فلذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب
الى شيء وميله اليه وتوجهه الى الفعل اجابة للغرض
الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان
ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه
قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين
واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير
مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن
في كل وقت فالدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة
بها يجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال
فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا

في

في النكاح دنيا ولا دينا لا يمكنه ان ينوي اقع على نية الولد
بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة
الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم
يغلب على قلبه ان افادة سنة النكاح اتباعا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بعظم فضله لا يمكن ان ينوي
بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه
وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق اكتساب
هذه النية مثلا ان يقول ايمانه اولا بالشرع ويقوي
ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله
عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات على الولد
من ثقال المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك
ربما انبعث من قلبه رغبة ان يحصل الولد للثواب
فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاؤه لمباشرة العقد
فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد
طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا
فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردد في قلبه
قصد الولد وسواس وهديان ولهذا امتنع جماعة من
السلف من جملة من الطاعات اذا لم تحضرهم النية
فكانوا يقولون ليس يحضرني نية حتى ابن سيرين لم يصل
على جنازة الحسن البصري وقال ليس يحضرني نية
ونادا بعضهم امرأة وكان يسرح شعره ان هات

المدري فقالت ايتي بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم
فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدري نية ولم تحضرني
في المرآة فتوقفت حتي هيأها الله ومات حماد بن ابي
سليمان وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا
تشهد جنازته فقال لو كانت لي نية لفعلت وكانوا اذا
سئلوا عملاً من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله تعالى
نية فعلنا وكان طاوس لا يحدث الا بنية وكان
يسأل ان يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيبتدي فقيل
له في ذلك فقال اتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرت
لي نية فعلت وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتي اجد
له نية وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة
فما صحت لي بعد وقال عيسي بن كثير مشيت مع
ميمون بن مهران فلما انتهي الي باب داره انصرفت
فقال ابنه الا تعرض عليه العشا فقال ليس من نيتي
وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر تغيرت
النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملاً الا بالنية لعلمهم
بان النية روح الاعمال وان العمل بغير نية صادقة
ريا وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا
ان النية ليس هو قول القايل بقلبه نويت بل هو
انبعاث القلب يجري مجري الفتوح من الله تعالى
قد تيسر في بعض الاوقات وقد يتعذر نعم من كان الغالب

عَلَى قلبه أمر الدين تيسّر عليه في أكثر الاحوال احضار
النية للخيرات فان قلبه مايل بالجملة الى اصل الخير
فينبعث الى الفضايل غالباً ومن مال قلبه الى الدنيا
وغلب عليه لم يتيسّر له في الفرايض الا بجهد جهيد
وغايته ان يتذكر النار ويحذّر نفسه عقابها او
نعيم الجنّة ويرغّب نفسه فيها فربّما تنبعث له
داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيّته
وقد اقتصرت على هذا القدر اليسير في فضايل الاخلاص
والنيّة اذ لا يمكن جمعها وحسبنا الله ونعم الوكيل

الباب السادس عشر في التوكل على الله والتسليم لامر الله

قال الله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال تعالى
وعلى ربّهم يتوكّلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله
فهو حسبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنّة اقوام افئدتهم
مثل افئدة الطير رواه مسلم قيل معناه متوكلون
وقيل قلوبهم رقيقة وعن البراء بن عازب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لو توكّلتم على الله حق
توكّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً
وتعود بطاناً اوحي اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام يا داود من دعاني اجبته ومن
استغاثني اغثته ومن استنصرني نصرته ومن

توكل على كفيته فانا كافل المتوكلين وناصر المستنصرين
ومغيث المستغيثين ومجيب الداعين وحكي انه كان
في زمن هارون الرشيد قد حصل للناس غلاء سعر وضيق
حتى اشتد على عظيماً فامر الخليفة هارون الرشيد
الناس بكثرة البكا والدعا وامر بكسر الات الطرب
ففي بعض الايام رؤي عبد يصفق ويرقص ويغني فحمل
الى الخليفة هارون الرشيد فسأله عن فعله ذلك
من دون الناس فقال ان سيدي عنده خزانة بر وانا
متوكل عليه ان يطعمني منها فلهذا انا اذا لا
اُبالي فانا ارقص والعب فعند ذلك قال الخليفة اذا
كان هذا توكل مخلوق على مخلوق فالتوكل على الله
تعالى اولى فسلم للناس احوالهم وامرهم بالتوكل على
الله تعالى وحكي ان حاتم الاصم كان رجلاً كثير
العيال وفقير الحال وكان له اولاد ذكور واناث
ولم يكن يملك حبة واحدة وكان على قدم التوكل فجلس
فجلس ليلة مع اصحابه يتحدث معهم فعرضوا بذكر
الحج فقدح الشوق في قلبه فدخل على اولاده فجلس
معهم يحدثهم ثم قال لهم لو اذنتم لابيكم ان
يذهب الى بيت ربه في هذا العام حاجاً ويدعو لكم
ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته واولاده انت
على هذه الحال لا تملك شيئاً ونحن على ما ترى من الفاقة

فكيف

فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة وكانت له ابنة
صغيرة فقالت ماذا عليكم لو اذنتم له ولا يهمكم
ذلك دعوه يذهب حيث شاء فانه ليس الرزق
وكليس برزاق فذكرتهم فقالوا صدقت والله هذه
الصغيرة يا ابانا انطلق حيث احببت فقام من وقته
وساعته واحرم بالحج وخرج مسافرا واصبح اهل
بيته يدخل عليهم جيرانهم ويوبخونهم كيف اذنوا
له في الحج وتاسف على فراقه اصحابه وجيرانه فجعل
اولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكتت ما
تكلمنا فرفعت الصبية راسها الى السماء وقالت
الهي وسيدي ومولاي وعدت القوم بفضلك
وانت لا تضيعهم ولا تخيبهم ولا تخجلني معهم
فبينما هم على تلك الحالة اذ خرج امير البلد متصيدا
فانقطع عن عسكره واصحابه فحصل له عطش شديد
فاجتاز ببيت الرجل الصالح حاتم الاصم فاستسقى
منهم ماء فقرع الباب فقالوا من انتم قالوا الامير
ببابكم يستقيكم فرفعت زوجة حاتم راسها الى
السما وقالت الهي وسيدي سبحانك بتنا جياعا
واليوم يقف الامير على بابنا ثم انها اخذت كوزا
جديدا وملأته ماء وقالت للمتناول منها اعذرونا
فاخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب

من ذلك الماء فقال هذه الدار لامير فقالوا لا والله بل
لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الاصم فقال
الامير لقد سمعت به فقال الوزير يا سيدي لقد سمعت
انه البارحة احرم بالحج وسافر ولم يخلف لعياله شيئا
واخبرت انهم البارحة باتوا بغير عشاء فقال الامير
ونحن ايضا قد ثقلنا عليهم وليس هذه من المروة يثقل
مثلنا علي مثلهم ثم حل الامير منطقته من وسطه
ورمي بها في الدار ثم قال لاصحابه من احبني فليلق
منطقته فحل جميع اصحابه مناطقهم ورموا بها
اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم يا اهل
البيت لاتينكم الساعة بثمن هذه المناطق فلما نزل
الامير نزل اليهم الوزير بمال جزيل ثمن المناطق فلما
رات الصغيرة ذلك بكت بكاء شديدا فقالوا لها ما
يبكيك انما يجب ان تفرحي فان الله قد وسع علينا فقالت
يا ام انما ابكي كيف بتنا جياعا فنظر الينا مخلوق نظرة
واحدة فاغنانا بعد فقرنا فالكريم الخالق اذا نظر الينا
لا يكلنا الى احد اللهم انظر الي ابينا ودبره باحسن
التدبير واما ما كان من امر حاتم ابيهم فانه
لما خرج محرما ولحق بالقوم توجع امير الركب فطلب
طبيبا فلم يجد فقال هل من عبد صالح فدل علي حاتم
فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي الامير فامر له

بما

158

بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة مفكرا في أمر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر من الثناء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصغيرة وبكا ثم قال صغار قوم كبار قوم آخرين ان الله لا ينظر الى كبركم ولكن ينظر الى أعرفكم به فعليكم بمعرفته والاتكال عليه فانه من يتوكل على الله فهو حسبه ومن كلام الحكما من أيقن ان الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم ان الذي قضي عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع ومن علم ان مولاه خير له من العباد وقصده كفاه همه وجمع شمله

ولمؤلفه في المعنى

اترك التدبير والزم	اعتقاد اهل الجماعه
واجعل التقوى لباسا	انها خير البضاعه
لا تهم في امر رزق	والتزم حبل القناعه
رزقك المقسوم يأتي	عنك دع ذل الشفاعه
لا ترم رزقا ببذل	او سؤال او خضاعه
كم لرب الخلق لطف	في الورى يبدا اسطناعه
لا تدبر لك امرا	واجتهد في حسن طاعه
كل امر يا حبيبي	فله وقت وساعه

وروي ان هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار
مكتوبة في التوراة فكتبها يا ابن آدم لا تخف من ذي
سلطان ما دام سلطاني باقيا وسلطاني لا ينفد ابدا
يا ابن آدم لا تانس بغيري وانا لك فان طلبتني وجدتني
وان آنست بغيري فتك وفاتك الخير كله يا ابن آدم خلقتك
لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفي اكثر
منه فلا تطمع ومن اقل منه فلا تجزع وان انت رضيت
بما قسمته لك ارحت قلبك وبدنك وكنت عندي
محمودا وان لم ترض بما قسمته لك وعزتي وجلالي
لاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش
في البر ولا ينالك منها الا ما قسمته لك منها وكنت
عندي مذموما يا ابن آدم خلقت السموات السبع والارضين
السبع ولم اعي بخلقهن ايعييني رغيف اسوقه لك من
غير تعب يا ابن آدم انا لك محب فبحقي عليك كن لي
محبا يا ابن آدم لا تطالبني برزق غد كما لا اطالبك
بعمل غد فاني لم انس من عصاني فكيف من اطاعني
وانا على كل شيء قدير وبكل شيء محيط وقال
بعضهم

توكل على الرحمن ان كنت عاقلا ، فيأتيك بالارزاق من حيث لا تدري
وكيف تخاف الفقر والله رازق ، وقد يرزق الاطيار والحوت في البحر

وقال آخر

جري قلم القضاء بما يكون ، فسيان التحرك والسكون
جنون منك ان تسعى لرزق ، ويرزق في غشاوته الجنين

وقال آخر

فما ثم الا الله في كل حالة ، فلا تتكل يوماً الى غير لطفه
فكم حالة تاتي ويكرهها الفتى ، وخيرته فيها على رغم انفه

وللمؤلف المستطرف

توكل على الرحمن في الامر كله ، فما خاب حقاً من عليه توكلا
وكن واثقاً بالله واصبر لحكمه ، تنال الذي ترجوه منه تفضلا

وقال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت على امي لتسترقيني فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ العزام قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى اخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية ان يلجا الى احد غير الله وقال بعض العلماء لا يشغلنك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك ولمؤلفه في المعنى

دع السعي يا من رام رزقاً بحيلة ، فسعيك محمول على الجهل والحمق
اذا كان رب العرش يقضي بما يشا ، فما ينفع التدبير في طلب الرزق

وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد وقال ابراهيم بن ادهم سالت بعض الرهبان من

اين تاكل فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي
من اين يطعمني وقال هرم بن حبان لاويس القرني
اين تامرني ان اكون فاومى بيده الى الشام فقال هرم
كيف المعيشة بها فقال اويس اف لهذه القلوب قد
خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم
متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا
وقال بعض الحكما من رفع حاجته الى الله استظهر
في امره، ومن دفعها الى غيره وضع من قدره، ومن
استعان بالله استغنى عن عباده، ومن وثق به
استظهر لمعاشه ومعاده، من تعزز بالله لم يذله
سلطان، ومن توكل عليه لم يضره انسان، الثقة
بالله اقوى امل، والتوكل عليه افضل عمل، الثقة
بالله مال المؤمن، والرحمة من الله حظ المحسن، من
وثق بالله اغناه، ومن احسن الى خلقه نجاه، ومن
توكل عليه كفاه، ومن وثق به اغناه ولبعضهم
في المعنى واجاد

تعودت مس الضر حتى الفته، واسلمني حسن العزاء الى الصبر
وسيرني ياسي من الناس راجيا، لحسن صنيع الله من حيث لا ادري

ولمؤلفه

توسلت يا ربي بجاه محمد، نبي الهدى الممدوح في محكم الذكر
ففرج كروبي يا مهيمن كلها، وحل عقود الرزق من حيث لا ادري

وقال بعض العلماء ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه
كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سأل الله تعالى
ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصياً ويقال له يا
جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك وقال بعضهم

مثل الرزق الذي تطلبه ، مثل الظل الذي يمشي معك
انت لا تدركه مجتهداً ، واذا وليت عنه تبعك

وقال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في
كل شيء الا في الرزق والاجل اجمعوا ان لا رازق ولا مميت
الا الله تعالى وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير
لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوماً بيوم
فان قلتم نحن اكبر بطوناً فانظروا الى الانعام كيف قيض
لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي رحمه الله تعالى
المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي العباد بلا تعب منهم
وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد
كلهم في رزق الله ولكن بعضهم ياكل بذل كالسؤال
وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان
كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز
فياخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة وقال
ابو يعقوب الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة
ايام فوجدت ضعفاً فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت
الى الوادي لعلي اجد شيئاً يسكن ضعفي فرايت

شلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في قلبي منها
وحشة وكان قايلا يقول جعت عشرة ايام فاخر ما يكون
حظك شلجمة مطروحة متغيرة فرميت بها ودخلت
المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي قد اقبل فجاء حتى
جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت
كيف خصصتني بها قال اعلم انا كنا في البحر منذ
عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان
خلصني الله تعالى ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه
بصري من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها
ففتحها فاذا فيها سميد من مصر ولوز مقشر وسكر
لعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت
رد الباقي الى صبيانك هدية مني لهم وقد قبلتها ثم
قلت رزقك يسير اليك منذ عشرة ايام وانت تطلبه
من الوادي وقال ممشاد الدينوري رحمه الله كان
علي دين فاشتغل قلبي بسببه فرايت في النوم كان
قايلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين
خذ عليك الاخذ وعلينا القضا فما حاسبت بعد ذلك
بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وحكي عن بنان الحمال
قال كنت في طريق مكة اجي من مصر ومعي زاد
فجاءتني امراة وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على
ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادي

ثم

ثم اتت علي ثلاثة ايام لم آكل فيها فوجدت خلخالا في
الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجي صاحبه فربما
يعطيني شيئا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة قالت لي
انت تاجر تقول يجي صاحبه فاخذ منه شيئا ثم رمت
الي شيئا من الدراهم وقالت انفقها فاكتفيت بها الى
قريب من مصر وقيل ان بنان احتاج الى جارية
تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا
هو ذا يجي النفر فيشتري ما يوافق فلما ورد النفر
اجتمع رايهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقال
لصاحبها بكم هذه فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه
فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امراة من
سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة وقال
ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني
فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت
ثم فكرت في نفسي انني سكنت واتكلت على غيره فآليت
ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي
في الرمل حفيرا وواريت جسدي فيه الى صدري
فسمعوا صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان لله
وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة
فاخرجوني وحملوني الى القرية وروي ان رجلا لازم
باب عمر بن خطاب رضي الله عنه فقال عمر يا هذا

انها جرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه
سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده
رضي الله عنه فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة
فجاءه عمر فقال له اني قد اشتقت اليك فما الذي
شغلك عنا فقال اني قرأت القرآن فاغناني عن عمر وعن
آل عمر فقال عمر رضي الله عنه رحمك الله فما وجدت
فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون
فقلت رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فبكى عمر
عمر رضي الله عنه وقال صدقت فكان عمر رضي الله عنه
بعد ذلك يأتيه ويجلس اليه **وولي** عبد الله بن عامر
العراق فقصده صديقان له انصاري وثقفي فلما
سارا تخلف الانصاري وقال الذي ابن عامر العراق
قادر ان يعطيني ووفد الثقفي وقال اخرز الحظين
فلما دخل قال ما فعل زميلك الانصاري قال رجع
الى اهله فامر للثقفي باربعة الاف دينار وبعث للانصاري
ثمانية الاف دينار فخرج الثقفي **وهو يقول**

امامة ما حرص الحريص بنافع ، فغضي ولا زهد القنوع بضائر
خرجنا جميعا من مساقط روسنا ، على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما انخنا الناعجات ببابه ، تخلف عني اليثربي ابن جابر
وقال سيكفيني عطية قادر ، على ما يشاء اليوم للخلق قاهر
فان الذي اعطى العراق ابن عامر ، لربي الذي ارجو لسد مفاقري

فقلت

162

فقلت خلوني وجهه ولعله ، سيجعل لي حظ الفتى المتزاور
فلما رآني سال عنه صبابة ، اليه كما حنت طوار الاباعر
فابت وقد ايقنت ان ليس نافعا ، ولا ضايرا شيا خلاف المقادر
وقيل وفد عروة بن اذينة على هشام بن عبد الملك
فشكى اليه قلته فقال الست القايل وانشد
لقد علمت وما الاسراف من خلقي ، ان الذي هو رزقي سوف ياتيني
اسعى اليه فيعنيني تطلبه ، ولو قعدت اتاني لا يعنيني
ان كان حظ امرء غيري سابلغه ، لا بد لا بد ان يحتازه دوني
وقد جيت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال يا
امير المومنين وعظت فابلغت وخرج فركب ناقته
فكرها الى الحجاز راجعا فلما كان من الليل قلق هشام
على فراشه فذكر عروة فقال رجل من قريش قال
حكمة ووفد علي فجبهته ورددته خايبا فلما
اصبح وجه اليه بالفي دينار فقرع الرسول باب
داره بالمدينة فاعطاه المال وقال ابلغ امير المومنين
مني السلام وقل له كيف رايت كلامي سعيت فاكديت
فرجعت فاتاني رزقي في منزلي وقال بشر بن الحارث
خرج فتى في طلب الرزق فبينما هو يمشي فاعيا فاوى
الى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره فيه
اذ وقعت عيناه على سطر مكتوب فتاملها فاذا
مكتوب هذا الشعر

إني رأيتك قاعداً مستقبلي ، فعلمت أنك للهموم قرين
هون عليك وكن بربك واثقاً ، فأخو التوكل شأنه التهوين
طرح الأذى عن نفسه في رزقه ، لما تيقن أنه مضمون

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أتدري لما رزقت الأحمق قال لا يا رب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال ولبعض العرب

ولا تجزع وإن أعسرت يوماً ، فقد أيسرت في الزمن الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوءٍ ، فإن الله أولى بالجميل
وإن العسر يتبعه يسارٌ ، وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقاً ، لكان المال عند ذوي العقول

وقال الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام انظر إلى الأرض فنظر إليها فانفجرت فرأى دودة على صخرة في فمها طعام فقال له ألم ترانى لم أغفل عنها فكيف أغفل عنك وأنت نبي وابن نبي

وأنشد المبرد

إن ظن زيد بما في بطن راحته ، فالأرض واسعة والرزق مبسوط
إن الذي قدر الأرزاق حكمته ، لم ينسني قاعداً والرحل محطوط

وقيل لراهب من أين تأكل فأشار إلى فيه وقال الذي خلق هذه الرحى يأتيها بالطحن وقال بعضهم

كسوت جميل الصبر وجهي فصانه ، به الله عن غشيان كل بخيل
فما عشت لم آت البخيل ولم أقم ، على بابه يوماً مقام ذليل

وان قليلاً ويستر الوجه اذ يرى ، الى الناس مبذولاً لغير قليل

وقال منصور الفقيه

الموت اسهل عندي ، بين القنا والاسنه
والخيل تجري سراعاً ، مقطعات الاعنه
من ان يكون لنذل ، علي فضل ومنه

وصلى معروف الكرخي رحمه الله خلف امام فلما انتقل من صلاته قال الامام لمعروف من اين تاكل قال اصبر حتى اعيد صلاتي التي صليتها خلفك قال ولم قال لان من شك في رزقه شك في خالقه وقال ابو حازم ما لم يكتب لي لو ركبت الريح ما ادركته وقال عمر بن عمر اليوناني

غلا السعر في بغداد من بعد رخصه ، واني في الحالين بالله واثق
فلست اخاف الضيق والله واسع ، غناه ولا الحرمان والله رازق

وقال آخر

اقنع بايسر رزق انت نائله ، واحذر ولا تتعرض للارادات
فما صفا البحر الا وهو منتقص ، ولا تعكر الا في الزيادات

وقال شقيق بن ابراهيم البلخي قال لي ابراهيم بن ادهم اخبرني عما انت عليه قلت ان رزقت اكلت وان منعت صبرت ، قال هكذا تعمل كلاب بلخ فقلت كيف تعمل انت قال اذا رزقت آثرت ، واذا منعت شكرت ،

وقال بعضهم واجاد

وان القناعة كنز الغنا ، فصرت باذيالها ممتسك
فلاذا يراني على بابه ، ولاذا يراني له منهمك
فصرت غنياً بلا درهم ، امر على الناس شبه الملك

وقال آخر

امطري لؤلؤاً جبال سرنديب ، وافيضي ابار تكرور تبرا
انا ان عشت لست اعدم قوتاً ، ولئن مت لست افقد قبرا

وجاء فتح الموصلي الى اهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيئاً للعشا وهم بغير سراج فجلس ليلته يبكي من الفرح يقول باي يد كانت مني باي شي تركت مثلي على هذه الحاله وقيل لعلي رضي الله عنه لو سد على رجل باب بيت وترك فيه من اين كان ياتيه رزقه فقال من حيث كان ياتيه اجله وقال الحارثي

صبرت النفس لا اهلع ، من حادثة الدهر
رايت الرزق لا يكسب ، بالعرف ولا النكر
ولا بالعقل والدين ، ولا بالجاه والقدر
ولا بالسلف الامثال ، اهل الفضل والذكر
ولا بالسمر اللدن ، ولا بالخذم البتر
ولا يدرك بالطيش ، ولا بالجهل والهذر
ولكن قسم تجري ، بما ندري ولا ندري

التقى عبد الرحمن بن عوف وابو ذر الغفاري فقبل عبد الرحمن ما بين عيني ابي ذر لكثرة سجوده وقبل

ابو ذر يمين عبد الرحمن لكثرة صدقته فلما افترقا
بعث اليه عبد الرحمن ببدرة وقال لغلامه ان قبلها
منك فانت حر فابى ان يقبلها فقال الغلام اقبلها
رحمك الله فان في قبولك عتقي فقال ابو ذر رضي الله عنه
ان كان عتقك فيه ففيه رقي ورده وجد مكتوبا
على حائط مدني

نعم الصديق صديق لا يكلفنا ، ذبح الفراخ ولا شي الفرابيج
يرضى بلونين من كشك ومن عدس ، فان تشهى فزيتون بطسوج

وقيل لرابعة الا نكلم لك السلطان يصلح منزلك
فقالت والله اني لاستحي ان اسال الدنيا ممن يملكها فكيف
اسالها ممن لا يملكها وقال ابن سيرين لرجل ما فعلت
ببغلتك قال بعتها قال ولم بعتها قال لمونتها قال
افتراها خلقت رزقها عندك حجت اعرابية
على ناقة لها فقيل لها اين زادك فقالت ما معي الا ما
ضرعها ووفد رجل على خالد بن عبد الله القسري
فقال ايها الامير كلمك بحرمة الياس او نهيبة الامل
فقال بل نهيبة الامل وقضى حاجته وقال هشام
بن ابراهيم البصري

وكم ملك جانبته عن كراهة ، لاغلاق باب او لتشديد حاجب
ولي في غنى نفسي مراد ومذهب ، اذا انصرفت عني وجوه المذاهب

وجاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم بخزاين الدنيا كلها على بغلة شهباء فقال
له هذه الدنيا خذها ولا ينقص حظك عند الله بها
فقال يا جبريل لا حاجة لي فيها يا جبريل جوعتين
وشبعة **وجد** مكتوبا على حايط يا ابن آدم ما انت
ببالغ املك ولا سابق اجلك ولا مغلوب على رزقك
ولا مرزوق ما ليس لك فعلام تقتل نفسك **ونقل**
ان ابراهيم بن ادهم كان من اهل النعم بخراسان
واصله من بني عجل فبينا هو مشرف من اعلى قصره اذ نظر
الى رجل في فِناء قصره اكل رغيفا وشرب عليه
ماء ثم نام فقال ما اصنع بالدنيا والنفس تقنع بما
رايت فخرج سايحا الى الله **وقيل** اقبل عليه رجل
في وجهه اثر السفر فقال ايكم ابراهيم بن ادهم
فقام اليه فقال انا غلام لك بعثني اخوتك ومعي
عشرة الاف دينار وفرس وبغلة فقال له ان كنت
صادقا فانت حر وما معك لك اذهب ولا تخبر
به احدا **وقال** عبد الواحد بن زيد ما احسب ان
شيئا من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضى ولا اعلم
درجة ارفع من الرضى وهو راس المحبة **وقال** ابن
شبرمة في محمد بن طارق لو ان احدا اكتفى بالتراب
لاكتفى به **كان** عبد الله بن مرزوق من ندماء المهدي
فسكر يوما ففاتته الصلوة فجاءت جارية له بجمرة

فقال

165

فوضعتها على رجله فانتبه مذعوراً فقالت لم تصبر
على نار الدنيا فكيف تصنع بنار الاخرة فقام فصلى الصلوة
وتصدق بما معه وذهب يبيع البقل فدخل عليه فضيل
وابن عيينه فاذا تحت راسه لبنة وما تحت جنبه
شيء فقال انه لم يدع احد شيئاً الا عوضه الله منه بدلاً
فما عوضك مما تركت له قال الرضا بما انا فيه ومما
جاء في الرضى والتسليم قال محمد بن الحسن بن بشر
الادمي قال حدثني منارة خادم امير المؤمنين
هارون الرشيد قال رفع الى هارون الرشيد ان رجلاً
بدمشق من بقايا بني امية عظيم الجاه واسع الدنيا
كثير الغلمان والاملاك مطاعاً في بلده له جماعة من اولاد
ومماليك وموالي يركبون الخيول ويحملون السلاح
ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة
وانه لا يؤمن منه فتق يتعذر رتقه فعظم ذلك
على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على ذلك
وهو بالكوفة في بعض خرجاته الى الحج سنة ست
وثمانين ومايه وقد عاد من الموسم وبايع للامين
والمامون والمؤتمن اولاده ودعاني وهو خال فقال
اني دعوتك لامر مهم يهمني وقد منعني النوم فانظر
كيف تعمل ثم قص علي خبر الاموي وقال اخرج الساعة
فقد اعددت لك الظهر وازحت عليك في الزاد

فة

وَالنفقة والالات فضم اليك مايةغلام واسلك
البرّية وهذا كتاب الى امير دمشق وهذه قيود فاذا حال
فابدا بالرجل فان سمع واطاع فقيده وجئني به والا
فتوكل انت ومن معك به حتى لا يهرب وانفذ الكتاب
الى امير دمشق ليركب في جيشه واقبضوا عليه
وجئني به وقد اجّلتك لذهابك ستّا ولعودك
ستّا ويوما للمقام وهذا محمل تجعله في شقّه
اذا قيدته وتقعد في الشق الاخر ولا تكل حفظه الى
غيرك حتى تاتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك
واذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها وولده
وما يقولون وقدر مقدار النعمة والحال والمحل
واحفظ ما يقوله حرفا حرفا منذ وقوع طرفك
عليه الى ان تاتيني به واياك ان يخفى عليك شيء
من امره قال فودعته وخرجت فركبت الابل
وسرت اطوي المنازل واسير الليل والنهار لا انزل
الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس
قليلا الى ان وصلت الى دمشق في اول الليلة السابعة
وابواب المدينة مغلقة فكرهت طروقها ليلا وتمت
ظاهر البلد الى ان فتح ابوابها من غد فدخلت على
هيئتي حتى اتيت باب دار الرجل وعليه طوايف
عظيمة وحاشية كثيرة فدخلت من غير استاذان

فلما

فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معي عني فقالوا
هذا منارة رسول أمير المؤمنين الرشيد إلى صاحبكم
فأمسكوا فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت
مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت الرجل فيهم فقاموا
ورحبوا بي وأكرموني فقلت أفيكم فلان قالوا نحن أولاده
وهو في الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا
أتفقد الدار والأحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت
بأهلها موجا شديدا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد
أن أطال واستربت منه واشتد قلقي وخوفي من أن
يتوارى إلى أن رأيت شيخا قد أقبل بزي الحمام يمشي
في الصحن وحوله جماعة وكهول وأحداث وصبيان
هم أولاده وغلمان كثير فعلمت أنه الرجل فجاء حتى
جلس وسلم علي سلاما خفيفا وسألني عن أمير المؤمنين
واستقامة أمره فأخبرته بما وجب حتى جاؤوا بأطباق
فاكهة فقال لي تقدم يا منارة فكل معنا فقلت ما
بي إلى ذلك حاجة فلم يعاودني وأقبل هو والحاضرون
عنده ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤوا بمائدة
حسنة عظيمة لم أر مثلها إلا للخليفة فقال لي تقدم
يا منارة فكل معنا فقلت ما بي إلى ذلك حاجة فلم
يعاودني وأقبل هو والحاضرون عنده وعجبت أنه لا
يزيدني على أن يدعوني باسمي كما يدعوني أمير المؤمنين

ورايت اولاده تسعة وجماعة كثيرة من اصحابه وحاشيته
وجماعة من اولاد اولاده وتاملت اكله في نفسه فوجدته
اكل الملوك ووجدت ذلك الاضطراب الذي كان
في داره قد سكن ووجدت لا يرفع من بين يديه شي الا ذهب
وقد كان غلمانه لما نزلت في الدار اخذوا احمالي وجميع
غلماني فعدلوا بهم الى دارهم فما اطاقوا ممانعتهم وبقيت
وحدي ليس بين يدي الا خمسة او ستة غلمان وقوف
على راسي فقلت في نفسي هذا جبار عنيد وان امتنع علي
من الشخوص لم اطق اشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا حفظه
الى ان يلحقني امير البلد وجزعت جزعا شديدا ورابني
منه استخفافه بي وتهاونه بامري وكونه يدعوني باسمي
ولا يفكر في امتناعي من الاكل ولا يسالني عما جئت
به ويأكل مطمئنا وانا افكر في ذلك اذ فرغ من
طعامه وغسل يديه واستدعى بالبخور وتبخر ثم قام
لصلاة الظهر فصلى واكثر من الدعا والابتهال
ورايت صلاته حسنة فلما انفتل من المحراب اقبل
علي وقال ما اقدمك يا منارة قلت امر لك من
امير المومنين واخرجت الكتاب فدفعته ففضه
وقراه فلما فرغ من قراته دعا اولاده وحاشيته فاجتمع
منهم خلق كثير ولم اشك انه يريد ان يوقع بي
امر فلما تكاملوا ابتدا فحلف ايمانا مغلظة بالطلاق

والعتاق

والعتاق والحج والصدقة والوقف ان لا يجتمع من
اولاده وغلمانه وحشمه اثنان في موضع وان ينصرفوا
الى منازلهم فلا يظهر احد منهم الى ان ينكشف امره
يعمل وقال هذا كتاب امير المؤمنين يامرني بالمسير
اليه ولست بمقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة فاستوثق
بمن وراءي من الخدم خيرا وما بي حاجة ان يصحبني
غلام هات يا ميناء قيودك فدعوت بها وكانت في
سفط واحضرت حدادا ومد ساقيه فقيدته وامرت
غلماني بحمله حتى حصل في المحفل وركبت في الشق الآخر
وسرت من وقتي ولم الق امير البلد ولا غيره وسرت
به وليس معه احد من غلمانه الى ان صرنا بظاهر دمشق
فابتدا يحدثني بانبساط الى ان انتهينا الى بستان
في الغوطة فقال لي ترى هذا البستان قلت نعم قال
هو لي وفيه من غرايب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى
آخر فقال فيه مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان له
وقرى سرية فاقبل يقول هذا لي ويصف كل شيء فيه
فاشتد غيظي منه وقلت له قد علمت اني شديد التعجب
قال ولم تعجب قلت الست تعلم ان امير المؤمنين قد
اهمه امرك حتى ارسل اليك من انتزعك من بين اهلك
وولدك ومالك واخرجك عن جميع حالك وحيدا
منفردا مقيدا لا تدري الى ما تصير اليه ولا كيف

صوا

تكون وانت فارغ القلب من هذا تصف بساتينك
وضياعك هذا بعد ان رايتك وقد جئت وانت لا تعلم
فيما جئت وانت ساكن القلب قليل الفكر ولقد كنت
عندي شيخاً فاضلاً فقال لي مجيباً انا لله وانا اليه
راجعون اخطأت فراستي فيك قد رايتك رجلاً كامل
العقل وانك ما حكيت من الخلفا هذا المحال لا ابعد ان
عرفوك بذلك فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام
وعقولهم والله المستعان اما قولك في امير المؤمنين
وازعاجه اياي الى بابه على صورتك هذه واني على
ثقة بالله عز وجل الذي بيده ناصية امير المؤمنين
ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً الا باذن
الله عز وجل ومشيئته ولا ذنب لي عند امير المؤمنين
اخافه وبعد فاذا عرف امري وعلم سلامتي وان الاعدا
والحسدة رموني عنده بما لست في طريقته وتقولوا
على الاقاويل الكاذبة لم يستحل دمي ويخرج من اذاي
وازعاجي فردني مكرماً او اقامني ببابه معظماً وان
كان سبق في علم الله جل جلاله انه يبدر الي منه بادرة
سوء وقد حضر اجلي وحان سفك دمي على يده فلو
اجتهدت الملائكة والانبيا واهل الارض والسما
على صرف ذلك عني ما استطاعوا فلم تعجل الهم واستلف
الفكر فيما قد فرغ منه واني احسن الظن بالله الذي

خلق ورزق واحيا وامات واين الصبر والرضي والتسليم
والتفويض الي من يملك الدنيا والاخرة وقد كنت احببت
ان تعرف هذا فاذا قد عرفت مبلغ فهمك فاني لا اكلمك
بكلمة حتي يفرق ابين المؤمنين بيننا ان شاء الله تعالى
ثم اعرض عني فما سمعت منه لفظة بغير القرآن والتسبيح
الا بطلب ماء او حاجة تجري مجراه حتي شارفنا
الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر واذا النجب
قد استقبلتني علي فراسخ من الكوفة يتجسسوا اخبري
فحين راوني رجعوا عني متقدمين لي بالخبر الي الرشيد
فانتهيت الي الباب في آخر النهار فحططت رحلي
ودخلت علي الرشيد فقبلت الارض بين يديه ووقفت
فقال هات ما عندك واياك ان تغفل منه لفظة
واحدة فسقت الحديث من اوله الي ان انتهيت الي ذكر
الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما
حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجه
الرشيد ويتزايد الي ان انتهيت الي فراغ الاموي من
الصلاة وانفتاله الي ومسالته عن سبب قدومي ودفعي
اليه الكتاب ومبادرته الي احضار ولده واصحابه
واهله وحلفه ان لا يتبعه احد منهم وصرفه
اياهم ومده رجليه حتي قيدته فما زال وجه الرشيد
يسفر فلما انتهيت الي ما خاطبني به عند توبيخي اياه

لما ركبنا في المحمل قال صدق والله صدق والله ما هذا
الا رجل محسود علي النعمة مكذوب عليه لنزيل نعمته
عنه والله لا كنت السبب لذلك ولعمري لقد
ازعجناه وروعنا اهله فبادر بنزع قيوده عنه وآتيني
به فخرجت فنزعت قيوده وادخلته علي الرشيد فما هو
الا ان راه حتي رايت الحيا يجول في وجه الرشيد فدني
الاموي وسلم علي الخليفة ووقف فرد عليه الرشيد
ردا جميلا وامره بالجلوس فجلس فاقبل الرشيد يحدثه
ويسأله عن حاله ثم قال له انه بلغنا عنك فضل هيئة
وامور احببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن
اليك فاذكر حاجتك فاجاب الاموي جوابا جميلا وشكر
ودعا وقال اما حاجتي فما لي الا حاجة واحدة قال مقضية
فما هي قال يا امير المؤمنين ترديني الي بلدي واهلي وولدي
قال نحن فاعلون ذلك ولكن سل ما تحتاجه من مسايل
جاهك ومعاشك فان مثلك لا يخلو من الاحتياج لهذا
فقال عمال امير المؤمنين منصفون وقد استغنيت
بعدله عن مسألته عن مالي واموري منتظمة واحوالي
مستقيمة وكذلك احوال اهلي وسائر بلدي بالعدل
الشامل في ظل امير المؤمنين فقال الرشيد انصرف
راشدا محفوظا الي بلدك واكتب لنا بامر ان عرض لك
فودعه فلما ولي الاموي خارجا قال الرشيد يا منارة

احمله من وقتك وسر راجعا كما سرته حتى اذا
وصلت الى المجلس الذي اخذته منه فدعه فيه وانصرف
ففعلت ذلك فانظر يا اخي الى عاقبة التوكل والتسليم
ما اجملها وحسبنا الله ونعم الوكيل

الباب السابع عشر في الحيا ولين الجانب للاقربا والاجانب

قال النبي صلى الله عليه وسلم لكل دين خلق وخلق
الدين الحياء وقال صلى الله عليه وسلم الحياء
شعبة من الايمان وقال صلى الله عليه وسلم انما
ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم
تستحي فاصنع ما شئت وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان
والايمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار
وقالت عايشة رضي الله عنها مكارم الاخلاق عشرة
صدق الحديث وصدق اللسان واداء الامانة وصلة
الرحم والمكافات بالصنيع وبذل المعروف وحفظ
الذمام للصاحب وقري الضيف وراسهن الحياء
وقال علي رضي الله عنه من كساه الحياء ثوبه لم ير
الناس عيبه وعن زيد بن علي عن ابائه يرفعونه
من لم يستح فهو كافر وقال ابو موسى الاشعري اني
لادخل البيت المظلم اغتسل فيه من الجنابة فاحني
صلبي حياء من ربي وقال بعضهم الوجه المصون

بالحياء كالجوهر المكنون في الوعا وقال الخواص ان
العباد عملوا على اربع منازل على الخوف والرجا والتعظيم
والحيا لما ايقنوا ان الله يراهم على كل حال قالوا
سوآء علينا رايناه او رانا وكان الحاجز لهم عن
معاصيه الحياء منه وقال بعضهم واجاد

ان من يركب الفواحش سرا ، حين يخلو بسره غير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه ، شاهداه وربه ذو الجلال

وقال بعضهم القناعة دليل الامانة والامانة
دليل الشكر والشكر دليل الزياده والزياده دليل بقاء
النعمه والحيا دليل الخير كله واختفى ابراهيم
بن المهدي في هربته من المامون عند عمته زينب بنت
ابي جعفر فوكلت بخدمته جارية اسمها ملك
واحق زمانها في الحسن والادب طلبت منها بخمسماية
الف درهم فابت فهويها ابراهيم واستحى من عمته ان
يطلبها وكره ان يراودها من نفسها فغنى يوما والجارية
قايمة على راسه وفي خدمته شعرا

يا غزالا لي اليه ، شافع من مقلتيه
انني ضيف متيم ، مغرم حيني عليه

ففهمت الجارية ما اراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت
اذهبي اليه فاعلميه انني قد وهبتك له فعادت اليه
فلما راها اعاد الابيات فانكبت عليه فقال لها كفي

فلست

فلبثت بخاين فقالت قد وهبتني لك مولاتي وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وقال عبد الواحد ألا تستحيون من طول ما لا تستحيون وكان عتبة الغلام يدخل في الصلوة في منزله فيخرج وقد تصبب عرقا فقيل له في ذلك فقال حياء من ربي وقال الاسود بن زيد ان الرجل بينه وبين الرجل ذنب فيعفو عنه وهو يستحي ان ينظر في وجهه أيام حياته فالله أحق ان يستحي منه وقال النظار الفقعسي

يعيش المرء ما استحي كريما ، ويبقى العود ما بقي اللحاء
وما في ان يعيش المرء خير ، اذا ما المرء فارقه الحياء

وقال اعرابي لايزال الوجه كريما ما غلب حياؤه ، ولايزال الغصن نضيرا ما بقي لحاؤه وقال بعضهم المتبختر في وشي ردائه باحسن من المتقارب في قيد حيائه وقال ارسطاطاليس من استحي من الناس ولم يستحي من نفسه فلا قدر لنفسه عنده وقال وهب اذا كان في الصبي خلقان الحياء والرهبة طمع في رشده وقال عمران بن حصين

ما ان دعاني الهوى لفاحشة ، الا نهاني الحياء والكرم
فلا الى محرم مددت يدي ، ولا مشت بي لريبة قدم

وقال الكاتب العبرتاي

واني لاغضي من رجال على الاذى ، مرارا وما من هيبة لهم اغضي

ولكنني اتقي الحياء تكرما ، واكم عن اناس عرضهم عرضي
وقال ابراهيم بن محمد المهلبي

كم قد ظفرت بمن اهوى فيمنعني ، منه الحياء وخوف الله والحذر
كم قد خلوت بمن اهوى فيقنعني ، منه الفكاهة والتانيس والنظر
اهوى الملاح واهوى ان اجالسهم ، وليس في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية ، لا خير في لذة بعدها سقر

وقال الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه لما قال الله تعالى لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال نوح استحييت من ربي فنكست راسي اربعين سنة حياء من ذلك القول وقالت ليلى الاخيلية

وتوبة احيا من فتاة حيية ، واجرا من ليث بخفان خادر

وكان بعض العلما يقول انا نستحي من الاموات كما نستحي من الاحياء وقال بعضهم اذا ذهب الحياء حل البلاء وقال بعض الحكما زين المراة الحيا وزين الحكيم الصمت

فصل في لين الجانب والتواضع

قال الله تعالى واخفض جناحك للمومنين وقال تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وقال صلى الله عليه وسلم افضل العبادة التواضع وقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لا ترفعوني فوق قدري فتقولوا فيّ ما قالت
النصارى في المسيح فان الله عز وجل اتخذني عبدا قبل
ان يتخذني رسولا واتاه صلى الله عليه وسلم رجل
فكلمه فاخذته رعدة فقال صلى الله عليه وسلم
هوّن عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من
قريش تاكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم
يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم في مهنة اهله
ولم يكن متكبرا ولا متجبرا اشد الناس الى الله
حياء واكثرهم تواضعا وكان اذا احدث بشيء مما
اتاه الله قال ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم
ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وان
التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم
الله وان الصدقة لا تزيد المال الا نما فتصدقوا يزيدكم
الله وخرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام
ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن
عامر اجلس فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من احب ان تتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده
من النار وقيل التواضع سلم الشرف ولبس مطرف
بن عبد الله الصوف وجلس مع المساكين فقيل
له في ذلك فقال ابي كان جبارا فاحببت ان اتواضع
لربي اذ يخفف عن ابي تجبره وقال مجاهد ان الله

تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من بين الناس قال لا يا رب قال لاني رايتك تتمرغ في التراب بين يدي تواضعا لي كما يتمرغ الكلب بين يدي صاحبه فاردت ان ارفع قدرك بين الناس وقيل من رفع قدره استجلب مقت الناس وقال ابو مسلم صاحب الدعوة ما اتاه الا وضيع ولا فاخرا لا لقيط وكل من تواضع لله رفعه الله فسبحان من تواضع كل شي لعز جبروت عظمته وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان من راس التواضع ان ترضى بالدون من شرف المجالس وان تبدا من لقيت بالسلام وقال ابو محمد التيمي في الفضل بن سهل

تعمرك ما الاشراف في كل بلدة ، وان عظموا للفضل الا صنايع
ترى عظماء الناس للفضل خشعا ، اذا ما بدوا والفضل لله خاشع
تواضع لما زاده الله رفعة ، وكل رفيع قدره متواضع

وقال ابو سليمان الداراني ما رضيت عن نفسي طرفة عين ولو ان اهل الارض اجتمعوا على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما احسنوا ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم التواضع ان تبدا بالسلام على من لقيت وان ترضى بدون المجلس وان تكرم ان تذكر

باالبر

بالبر والتقوى وان تدع المراء وان كنت محقا وقال عليه الصلاة والسلام خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبريل فرفعت راسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال عليه الصلاة والسلام ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال عليه الصلاة والسلام اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار وقال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله تعالى رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض وقال اخسا اخساك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نايم استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي رضي الله عنه فذكرت له ما

صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من
تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة يا جرير اتدري
ما ظلمة النار يوم القيمة قلت لا قال فانه ظلم الناس
بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عايشة رضي الله
عنها انكم لتغفلون افضل العبادة التواضع وقال
يوسف بن اسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل
ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال
قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم
يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيمة وقيل اوحي
الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك
فاستقبلها بالاستكانة اتمها عليك وقال كيف ما انعم
الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع
بها لله الا اعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة
في الاخرة وما انعم الله تعالى على عبد نعمة في الدنيا
فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها
في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز
عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل
قال من تواضع عن قدرة وزهد عن قدرة وترك النصرة
عن قدرة ودخل ابن السماك على هارون الرشيد
فقال يا امير المومنين ان تواضعك في شرفك اشرف لك
من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المومنين

ان امرءا آتاه الله جمالا في خلقه وموضعا في حسبه
وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسا في ماله
وتواضع في حسبه كتب في ديوان الابرار فدعا هارون
بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود عليهما
السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف
حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين
مع مساكين وقال بعضهم كما يكره ان يرى الاغنيا
في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يرى الفقراء في
الثياب المرتفعة ويروى انه خرج يونس وايوب
والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن اتدرون
ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى احدا
مسلما الا رايت له عليك فضلا وقال ابو سليمان
ان الله تعالى اطلع على قلوب الادميين فلم يجد قلبا
اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه
منهم بالكلام وقال بعضهم ارفع ما يكون
العبد عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع
ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وقال
زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر
وقال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادي من باب
المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقني احد
الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ

ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل
من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال موسى بن القسم
كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل
فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله تعالى لنا فبكى
ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرايت النبي
صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله تعالى دفع عنكم
بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي فقال له ما
انت وكان هذا دابه وعادته فقال انا النقطة التي
تحت الباء فقال الشبلي اباداك الله شاهدك اتجعل
لنفسك مكانا وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي
عطل ذل اليهود وقال بعضهم من راى لنفسه
قيمة فليس له من التواضع نصيب وقال الفتح بن
شخرف قال رايت علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
في المنام فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن
التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في
ثواب الله تعالى واحسن من ذلك كله تيه الفقراء على
الاغنياء ثقة منهم بالله تعالى وقال ابو سليمان
لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد
ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو
متكبر فقيل متى يكون متواضعا فقال اذا لم ير
لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على

قدر معرفته بربه ومعرفته بنفسه وقال عروة
بن الورد التواضع احد مصايد الشرف وكل نعمة
محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى
البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك
تعاظم وقال بعضهم التواضع في الخلق كلهم
حسن وفي الاغنياء احسن والكبر في الخلق كلهم
قبيح وفي الفقراء اقبح وقال بعضهم لا عز الا لمن
تذلل لله تعالى ولا رفعة الا لمن تواضع لله تعالى
ولا امن الا لمن خاف الله تعالى ولا ربح الا لمن ابتاع
نفسه من الله تعالى وقال ابو علي الجوزجاني
النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله
هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة
واذا اراد به خيرا فاذا هاجت في نفسه نار الكبر
ادركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت
في نفسه نار الحرص ادركها القناعة مع عون الله
وعن الجنيد انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه
لولا انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون
في اخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم
وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا
والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان
واذا هم يعسفون الناس يمينا وشمالا عن بغلته

حتى يسير في المشي ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد
فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل
الشعر قال فجعلت انظر اليه وانا مله فقال لي مالك تنظر
الي فقلت له شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له
الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك
قال اني ترفعت في موضع تتواضع فيه الناس فوضعني
الله حيث يرتفع فيه الناس وقال المغيرة كنا نهاب
ابراهيم النخعي هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت
فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطا السلمي
اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذ بطنه كانه
امراة ماخض وقال هذا من اجلي يصيبكم لو مات
عطا لاستراح الناس وكان بشر الحافي يقول سلموا
على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل
لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال
ان الرجا بعد المعرفه فاين المعرفه وتفاخرت قريش
عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يوما فقال سلمان
لكني خلقت من نطفة مذرة ثم اعود جيفة منتنة
ثم الي الميزان فان ثقل ميزاني فانا كريم وان
خفت فانا لئيم وقال الصديق رضي الله عنه وجدنا
الكرم في التقوي والغنى في اليقين والشرف في التواضع

الباب الثامن عشر في دفع الشهوات والكف عن السيئات

اعلم ان اعظم الشهوات الفرج والبطن وهما آفتان
عظيمتان فينبغي للانسان ان يحترز منهما مهما
امكنه فاما شهوة الفرج الوقاع سلطت على الانسان
لفايدتين الاولى ان يدرك لذته فيقيس به لذات
الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات
الاجساد كما ان النار والمها اعظم الآلام للجسد
والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس
ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فان ما لم يدرك
بالذوق لا يعظم اليه الشوق الثانية بقاء النسل
ودوام الوجود فهذه فايدتها ولكن فيها من الآفات
ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط وتقهر ولم ترد
الى حد الاعتدال وقد قيل في تفسير قوله تعالى
لا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما في قوله من شر غاسق اذا
وقب هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال في
تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل
ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول
اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال
عليه الصلاة والسلام النساء حبايل الشيطان
ولولا هذه الشهوة لما كان النساء سليطات على الرجال

المراد بالغلمة كثرة الشهوة قاموس منه

وروي ان موسى عليه السلام كان جالساً في بعض مجالسه اذ اقبل ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس ووضعه ثم اتاه فقال موسى من انت قال انا ابليس قال فلا حياك الله فما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال اختطف به قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه فاحذرك ثلاثاً لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابه حتى افتنه بها ولا تعاهد عهداً الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون صاحبه حتى احول بينه وبين الوفاء بها ثم ولي وهو يقول يا ويلتاه علم موسى عليه السلام ما يحذر به مني بنو آدم وقال سعيد بن المسيب قال ما بعث الله تعالى نبياً فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان قال للمراة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت رسولي في حاجتي فنصف

خلك فا ه ت ق موضع ليريد اثر الرحمن الرحيم

جن

جنس الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوات
شهوات النساء وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط
واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة
الرجل الى التمتع بالنساء والجواري فيخرج عن سلوك طريق
الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد
ينتهي افراطهما بطايفة الى امرين شنيعين احدهما
ان يتناولوا ما يقوي شهواتهم لاستكثار الوقاع
كما يتناول بعض الناس الادوية التي تقوي المعدة
ليعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن بلي
بسباع ضارية وبهايم عادية فينام عنه في بعض
الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل
بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على
التحقيق الام عليه يريد الانسان الخلاص منها فيدرك
لذة بسبب الخلاص **فان قلت** فقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت الى جبريل ضعف
الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه كان تحته
تسعة نسوة وجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم
على غيره نكاحهن ان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا
المعنى لا للتنعم **الامر الثاني** انه قد ينتهي هذه
الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل
بما وضع له الوقاع وهي مجاوزة في البهيمة بحد البهايم

لان المتعشق ليس يقنع بازاقة شهوة الوقاع وهي اقبح
الشهوات واجدرها بان يستحي منه حتي اعتقد ان
الشهوة لا تنقضي بمحل واحد والبهيمة تقضي الشهوة
اين اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتي
يزداد به ذلا الي ذل وعبودية الي عبودية وحتي
يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا
لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها واما العشق
الا منبعه افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة
له وانما يجب الاحتراز من اوايله بترك معاودة النظر
والتفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق
الجاه والمال والعقار والاولاد حتي حب اللعب بالطيور
والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي علي طايفة
بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا فلا يصبرون عنها
البتة ومثال من يكثر العشق في اول انبعاثه مثال من
يصرف عنان الدابة عند توجهها الي باب لتدخله
وما اهون منعها بصرفها بعنانها ومثال علاجها
بعد استحكامها ان تترك الدابة حتي تدخل وتجاوز
الباب ثم تاخذ بذنبها وتجرها الي ورا وما اعظم التفاوت
بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات
الامور فاما اواخرها فلا يقبل العلاج الا بجهد شديد
يكاد يوازي نزع النفس فاذا افراطها اعني الشهوة ان

يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جداً وتفريطها
العنة او بالضعف عن امتناع المنكوحة وهو ايضاً مذموم
وانما المحمود ان يكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع
في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها
بالجوع وبالنكاح وقال عيسى عليه الصلاة والسلام
اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى
بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت فتنة داود
عليه الصلاة والسلام من اجل النظرة وقال داود
لابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام يا بني امش
خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة وقيل
ليحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام ما بدء
الزنى قال النظر والتمني وقال الفضيل بن عياض
يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطي
به يعني النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
النظر سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها
خوفاً من الله تعالى اعطاه الله تعالى ايماناً يجد حلاوته
في قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي
فتنة اضر على الرجال من النساء وقال صلى الله عليه
وسلم اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة
بني اسرائيل كانت من النساء وقصة يوسف وامتناعه
عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى

عليه بذلك في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة
الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روي ان سليمان
بن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه
امراة فسالته عن نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا
عن منزله وتركها فيه قال سليمان فرايت في المنام يوسف
عليه السلام وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا
يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم والذي
هربت اشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها
لولا ان راى برهان ربه الاية وعن سليمان ايضا
ما هو اعجب من هذا وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه
رفيق له حتى نزلوا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق
الى السوق ليبتاع شيئا من الطعام من السوق وجلس سليمان
في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها على ما ذكرنا واورع
الناس فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فراعها حسنه
وجماله فانحدرت اليه وعليها البرقع والقفازان
فجاءت ووقفت بين يديه وسفرت عن وجهها كانها
فلقة قمر فقالت اهبتني فظن انها تريد طعاما فقام
الى فضيل السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما
اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس
ثم وضع راسه بين كميه واخذ في البكاء والنحيب
فلم يزل كذلك يبكي فلما رات ذلك منه سدلت البرقع

على

على وجهها ورفع رحلها حتى رجعت الى خيمتها على
راس الجبل فجاء رفيقه وراه قد انتفخت عيناه من
البكاء وانقطع حلقه فقال ما يبكيك فقال خير ذكرت
صبيتي فقال لا الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك
منذ ثلاث ونحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره
بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا
قال له سليمان فانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك
لاني اخشى لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم
يزالا يبكيان حتى انتهى وقت فريضة فنهضا الى الصلوة
فلما انتهى سليمان الى مكة طاف وسعى فاتى الحجر فاحتبى
بثوبه فنعس فاذا رجل طويل له شعرة حسنة ورايحة
طيبة فقال سليمان من انت رحمك الله قال انا يوسف
قال يوسف الصديق قال نعم قلت ان في شانك وشان
امراة العزيز لعجبا او لشانا عجيبا فقال له يوسف
عليه السلام شانك وصاحبة الابواء اعجب **ولمؤلفه**
زليخا التي قد رامت السوء قد لها ، ويوسف نبي الله في ظلمة السجن
فهذا عجيب بل قضاء وحكمة ، بحكم حكيم خالق الانس والجن
وروي ان عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان
قبلكم حتى اووا المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت
صخرة من الجبال فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا

ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم
قال رجل منهم اللهم انه كان لي ابوان كبيران شيخان
فكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا ولدا فناى بي طلب الشجر
يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما
فوجدتهما نايمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او ولدا
فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى بلغ
الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا
غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك
ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا
لا يستطيعون الخروج منه وقال الاخر اللهم كانت
لي ابنة عم كانت من احب الناس الي فراودتها عن نفسها
فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها
مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها
ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض
الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت
عنها وهي احب وتركت الذهب التي اعطيتها اللهم
ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا
ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون
الخروج منها وقال الثالث اللهم اني استاجرت
اجرا فاعطيتهم اجورهم غير رجل واحد ترك الذي له
وذهب فثمرت اجرته حتى كثرت منه الاموال فجاءني

بعد

179

بعد حين فقال يا عبد الله هات اجرتي فقلت كل ما ترى
من الابل والبقر والغنم والرقيق من اجرتك فقال يا
عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك
فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم
ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن
فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا افضل
من تمكن من قضا هذه الشهوة فعف ويقرب منه من
تمكن من قضا شهوة العين فان النظر مبدا الزنى
فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به
ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها تنشا منه والنظرة
الاولى اذا لم يقصدها لا يؤاخذ بها وقال بعضهم

لا تكثرن تاملا ، وامسك عليك عنان طرفك
فلربما ارسلته ، فرماك في ميدان حتفك

وقال العلا بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان
النظر يحصل في القلب شهوة وقل ما يخلو الانسان
في تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان
ومهما تخايل اليه الحسن يقاضي الطبع المعاودة وعنده
ينبغي ان يقدر على نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل
لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن
الوصول ولا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ
به ويأثم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما غلبه فلا يخلو

فِي كلاوح التيه عن مَعْصِيَةٍ وَمهْمَا حفظ العين بهذا
الطريق اندفع عَنْ قلبه كثيرٌ مِنَ الآفَات وَاذا اخطا
عَيْنه وَحفظ الفرج مَعَ التمكن قد يشتد عَنْ غاية القوة
وَنهاية التوفيق وَرُوِيَ عن بكر بن عَبْد الله المزني ان
قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها الى
حَاجَةٍ لهم الى قرية اخرى فتبعها فراودها عَنْ نفسها
فقالت لا تفعل اني لاشد حبا لك منك وَلكني اخاف
الله تعالى فقال انت تخافينه وَانا لا اخافه فرجع تائبا
وَاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول
لبعض انبياء بني اسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش
قال تعال حتى ندعوا كي تظلنا سحابة حتى ندخل القرية
قال مالي من عمل فادعو قال فانا ادعوا وامن انت فدعى
الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى
القرية فاخذ القصاب في مكانه وَمالت السحابة
معه فقال له زعمت انه ليس لك عمل وانا الذي
دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة وقد تبعتك
لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب من الله
بمكان ليس احد من الناس بمكانه وَعَنْ احمد بن سعيد
العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد
لازم المسجد الجامع لا يخلو منه وكان حسن الوجه حسن
القامة حسن السمت فنظرت اليه امرأة ذات جمال

وعقل

وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات
يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت يا
فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى
ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد
منزله فقالت يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها قال
فاطرق مليا ثم قال لها هذا موقف تهمة وانا اكره
ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت
موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان
يشرف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان
لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا
عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثل القوارير
ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها
مشغولة بك فالله الله في امري قال فمضى الشاب الى
منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ
قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج عن منزله فاذا بالمراة
واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى
منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم
اعلمي ايتها المراة ان الله تعالى اذا عصي حلم فاذا عاد
العبد في المعصية ستر الله تعالى فاذا لبسها
لباسها غضب الله تعالى غضبة تضيق منها السموات
والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه

وان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوما تكون السماء
كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثوا الامم
لصولة الجبار العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح
نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا
فاني ادلك على طبيب يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع
ذلك رب العالمين فاقصديه على صدق المسئلة فاني
متشاغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الازفة اذ
القلوب لدى الحناجر الاية فاين المهرب من هذه ثم
جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما راها
من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا
فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعدها ابدا الا بين يدي الله
تعالى وبكت بكاء كثيرا وقالت اسأل الله تعالى الذي بيده
مفتاح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته
وقالت له امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية
اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك
من نفسك واذكري قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل
ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء اشد
من بكائها الاول ثم قامت ولزمت بيتها واخذت في
العباده فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى
يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها فيقال له مم بكاؤك
وانت قد ايستها فقال اني ذبحت طمعها في اول امرها

وجعلت

وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله تعـ وانا استحي من
الله ان اشتري ذخيرة ادخرتها عند الله تعـ وحكى
صاحب منازل الاحباب انه روي عن رجل قال دخل
علي غلامي ومعه كتاب ففتحته فاذا فيه هذا الشعر

تجنبك البلا ونلت خيرا ، ونجاك المليك من الغموم
فعندك لو مننت شفاء نفس ، واعضاء فنين من الكلوم

فعلمت انه عاشق فامرت بادخاله فلم يجدوه فعرضت
الكتاب علي جواري فقلت من عرفت منكن امر صاحب
هذا فهي له ومائة دينار فحلفن انهن لم يعرفن ذلك
وبقا الكتاب والدراهم في جانب البيت فبينا انا يوما
جالس اذ دخل غلامي بكتاب مثل الاول وفيه هذا
الشعر

ماذا اردت لي روحي مقلقلة ، عند السياق وحادي الموت يحدوها
حثيت حاديها ظلما فحاذنها ، في السير حتى تخلت عن تراقيها
لولا الحيا لبحنا بالذي كتمت ، بين الفواد وابدينا اماانيها

فطلبته فلم اجده ابدا فغمني امره وقلت للخادم لا ياتيك
احد بكتاب الا قبضت عليه حتى اراه وكان قد قرب
الحج فلما وقفت بعرفة اذا انا بشاب على ناقة الى جانبي
وقد اخذ منه النحول والسقم الا ان عليه اثار الجمال
والادب فسلم علي وقال هل تعرفني قلت زدني قال
انا صاحب الكتابين قلت وهبت لك الجارية ومائة

دينار فامض واعرفها وتسلمها فقد تعبت من امرك
فقال لم اطلب شيئا مما تقول قلت فعرفني اسمها لاكلمها
لاجلك قال ما كنت بالذي يبيح باسمها وتركني وروي
عن عثمان الضحاك قال خرجت اريد الحج فنزلت بخيمة بالابوا
فاذا انا بجارية جالسة على باب خيمة فاعجبني حسنها فتمثلت

بقول نصيب

بزينب الم قبل ان يرحل الركب ۞ وقل ان تملينا فما ملك القلب
فقالت يا هذا اتعرف قائل هذا الشعر قلت بلى هو نصيب
قالت فتعرف زينبه قلت لا قالت انا زينبه قلت حياك
الله وحياك قالت اما والله ان اليوم موعده وعدني العام
الاول بالاجتماع في هذا اليوم فلعلك لا تبرح حتى تراه قال
فبينما هي تكلمني اذا انا براكب قالت ترا ذلك الراكب قلت
نعم قال لاني احسبه اياه فاقبل فاذا هو نصيب فنزل
قريبا من الخيمة ثم اقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسالته
ان ينشدها فانشدها فقلت في نفسي محبان طال التنائي
بينهما لابد ان يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت
الى بعيري لاشد عليه فقال على رسلك اني معك فجلست
حتى نهض معي فسرنا وتسامرنا فقال لي قلت في نفسك
محبان التقيا بعد طول تناء ولابد ان يكون لاحدهما الى
صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك فقال ورب هذا
البيت ما جلست منها مجلسا هو اقرب من مجلسي هذا

فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة ومن
ذلك ما ذكره صاحب المستطرف عن ابن الجوزي في كتابه
تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن ابي جهمة السلمي
عن ابيه عن جده قال بينما عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة وهي
تقول شعر

هل من سبيل الى خمر فاشربها ، ام من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل ، سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه اعراق صدق حين تنسبه ، اخا وفاء عن المكروه فراج

فقال عمر لا ارى معي بالمدينة رجلا تهتف به
العواتك في خدورهن علي بنصر بن حجاج فلما اصبح
اتي بنصر ابن حجاج فاذا هو من احسن الناس وجها
واحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من امير المومنين
لتاخذن من شعرك فاخذ من شعره فخرج من عنده
وله وجنتان كانهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم
فافتتن الناس بعينيه فقال عمر والله لا تساكنني
في بلدة انا فيها قال يا امير المومنين ما ذنبي قال ما اقوله
لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المراة التي سمع عمر
منها ما سمع ان يبدر من عمر اليها شيء فدست المراة
اليه ابياتا وهي تقول

قل للامام الذي يخشى بوادره ، ما لي وللخمر او نصر بن حجاج

لا تجعل الظنّ حقّاً أن تبيّنه ، انّ السّبيل سبيل الخائف الراجي
انّ الهوي ذمّه التقوي فحبسه ، حتّي أقرّ بالجام واسراج
قال فبكي عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الّذي ذمّ
الهوي بالتّقوي قال وطال مكث نصر بن حجّاج بالبصرة
فخرجت امّه يوماً بين الاذان متعرّضة لعمر فاذا عمر
خرج في ازار ورداء وبيده الدرّة فقالت يا امير المؤمنين
والله لاقفنّ انا وانت بين يديّ الله عزّ وجلّ وليحاسبك
الله ابيتنّ عبد الله وعاصم الي جنبك وبيني وبين ابني
الفيافي والاودية فقال لها انّ ابني لم تهتف بهما
العواتك في خدورهنّ ثمّ ارسل عمر الي البصرة بريداً
الي عتبة ابن غزوان فاقام اياماً ثمّ نادي عتبة من اراد
ان يكتب الي امير المؤمنين فليكتب فانّ البريد خارج
فكتب نصر بن حجّاج بسم الله الرحمن الرّحيم سلام عليك
امّا بعد يا امير المؤمنين وكتب هذا الشّعر

لعمري لئن سيّرتني اذ حرمتني ، وما نلت من عرضي عليك حرام
فاصبحت منفيّاً علي غير ريبة ، وقد كان لي بالمكّتين مقام
لئن غنّت الدّلفاء يوماً بمنية ، وبعض امانيّ النّساء غرام
ظننت بي الظنّ الّذي ليس بعده ، بقاء ومالي خرمة فالام
سيمنعني ممّا تقول تكرّمي ، وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها ممّا تقول صلاتها ، وخال لها في قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل انت راجعي ، فقد جبّ منّي كاهل وسنام

فلمّا

183

فلما قرأ عمر الكتاب قال أما ولي سلطان فلا فأقطعه
دارا بالبصرة ودارا في سوقها فلما مات عمر ركب
راحلته وتوجه نحو المدينة والله أعلم **فصل** في
شهوة البطن فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن
فيها أخرج آدم وحوا من دار القرار إلى دار الذل والافتقار
إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما والبطن على
التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الآفات إذ يتبعها
شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم يتبع شهوة
المطعم والمنكح شدة الرغبة إلى المال والجاه اللذان هما
الوسيلة إلى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع
استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب
المنافسات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك آفة الريا
وغائلة التفاخر والتكاثر والكبريا ثم يتداعا ذلك إلى
الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك
بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك
ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء
ولو راض ذلك العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري
الشيطان لأذعنت لطاعة الله تعالى ولم تسلك
سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الإهمال
في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل

هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن
الى هذا الحد وجب شرح غوايلها وآفاتها تحذيراً منها
ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها
ترغيباً فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك
كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله
تعالى من جوع وعطش قال ابن عباس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من
ملاء بطنه وقال عليه الصلاة والسلام سيد
الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال الحسن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضلكم منزلة عند
الله تعالى اطولكم جوعاً وتفكراً وابغضكم الى الله تعالى
كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر انه كان
صلى الله عليه وسلم يجوع من غير عوز اي مختاراً لذلك
وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة
الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر
عليه الماء وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي
هريرة الحديث الطويل ذكر فضل الجوع اذ فيه ان اقرب
الناس من الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه
وحزنه في الدنيا من الاتقياء الاخفياء الانقياء الذين

اذا شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يتفقدوا تعرفهم
بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس
بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى افترش الناس الفرش
الوثير وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل
النبيين واخلاقهم وحفظوها هم تبكي الارض اذا
فقدتهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم
احد لم يتكابوا على الدنيا تكاب الكلاب على الجيف
اكلوا الفلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس ويظنون
ان بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما
ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم امر الله تعالى
الذي اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون
بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف
في الآخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم
امان لتلك البلدة لا يعذب بالله تعالى قوما هم فيها
الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك
اخوانا عسى ان تنجوا بهم وان استطعت ان ياتيك الموت
وبطنك جايع وكبدك ظمآن فانك تدرك بذلك شرف
المنازل وتحل مع النبيين عليهم السلام وتفرح بقدوم
روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار رواه الحسن
وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اجيعوا اكبادكم
واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل ورواه ٥

طاوس عن النبي عليه الصلوة والسلام هكذا وفي
التورية مكتوب ان الله تعالى يبغض الحبر السمين لان
السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا
بالحبر ولاجله قال ابن مسعود ان الله تعالى يبغض القارئ
السمين وفي الخبر المرسل ان الشيطان يجري من ابن
آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي
الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وروي ان ابا
جحيفة تجشا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم اقصر من جشائك فان اكثر
الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا وعن
انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب
نفسي حتى اتيتك منه بهذه الكسرة فقال عليه الصلوة
والسلام اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة
ايام وقال ابو هريرة ما اشبع النبي صلى الله عليه وسلم
اهله ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا
واما الاثار فما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال
اياك والبطنة فانها ثقل في الحياة نتن في الممات
وقال سفيان العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها
المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة
نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن

العبادة

العبادة وكان الفضيل يعاتب نفسه ويقول اي
شيء تخاف اتخاف ان تجوع لا تخف ذلك فانت اهون
على الله من ذلك انما يجوع النبي محمد صلى الله عليه وسلم
واصحابه وكان فتح الموصلي يقول اذا اشتد مرضه وجوعه
الهي ابتليتني بالجوع والمرض وكذلك تفعل باوليائك
فباي عمل اودي شكر ما انعمت به علي وقال
مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى
لمن كانت له غلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال
لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جايعا وامسى جايعا وهو
عن الله راض وكان الفضيل يقول اجعتني واجعت عيالي
وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل ذلك
باوليائك فباي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن
معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التايبين تجربة
وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع
الزاهدين حكمة وقال ابو سليمان لان اترك لقمة
من عشائي احب الي من قيام ليلة وقال الجوع عند الله
في خزانته لا يعطيه الا لمن احبه وفي التورية اتق
الله تعالى اذا شبعت فاذكر الجايع وكان سهل التستري
يطوي نيفا وعشرين ليلة لا ياكل وكان يكفيه
لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ
فيه حتى قال لا يرى في القيمة عمل بر افضل من ترك

فضول الطعام والاقتدا بالنبي عليه السلام في
اكله **وكان** عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى
ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا به ولا طويت
لهم الارض الا بالجوع ولا والاهم الله الا بالجوع **وقال**
ابو طالب المكي مثل البطون مثل المزهر وهو العود المجوف
ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته وانه مجوف
غير ممتلي فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة
وادوم للقيام واقل للمنام **وقال** بكر بن عبد الله ثلاثة
يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الاكل قليل
الراحة **مكتوب** في كتاب تعليم المتعلم ثلاثة يبغضهم
الله تعالى الاكول والبخيل والمتكبر **وروي** عن عيسى
عليه انه مكث يناجي ربه سبعين صباحا لم ياكل فخطر
بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع
بين يديه فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ قد
اظله فقال له عيسى بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله
تعالى فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني
فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك
فلا تغفر لي بل كان اذا حضر شيء اكله من غير فكر ولا
خاطر **وروي** ان موسى عليه السلام لما قربه الله تعالى
نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما ثلاثين ثم
عشر على ما ورد في القران انه استاك بعد ثلاثين يوما

فزاد

فزيد عشرة ايام لاجل ذلك وروي ملك يوسف عليه الصلاة والسلام خزاين الارض كان يجوع ويأكل خبز الشعير فقيل له اتجوع وبيدك خزاين الارض فقال اخاف ان اشبع وانسي الجياع والله اعلم

الباب التاسع عشر في السياسه وشروط الرياسه

اعلم ان السياسة تجب علي السلطان وعلي وزيره وعلى عماله الذين في البلدان ان يعملوا بالسياسة وان يكونوا مع السياسة عادلين لان السلطان خليفة الله في ارضه ويجب ان يكون هيبته بحيث اذا راته الرعية خافوا ولو كانوا بعيداً وسلطان هذا الزمان يجب ان يكون له سياسة واتم هيبة لان اناس هذا الزمان ليسوا كالمتقدمين فان زماننا هذا زمان ذوي الوقاحة والسفاهة والفساق والشح واذا كان السلطان والعياذ بالله بينهم ضعيفاً او كان غير ذي سياسة وهيبة فلا شك ان يكون ذلك سبب خراب البلاد وان الخلل يعود علي الدنيا والدين وفي الامثال جور السلطان ماية سنة ولا جور الرعية بعضهم علي بعض ساعة واحدة واذا جارت الرعية سلط الله تعالى عليها سلطاناً جايراً وملكاً قاهراً كما جاء في الحكاية اعطي الحجاج بن يوسف الثقفي بعض الايام قصة مكتوب فيها اتق الله ولا تجر علي عباد الله

كل هذا الجور فرقا الحجاج المنبر وكان فصيحاً فقال
ايها الناس ان الله سلطني عليكم باعمالكم فان انا مت لا تتخلصون
من الجور مع هذه الاعمال السيئة فان الله عز وجل يخلق
امثالي كثيراً واذا لم يكن انا كان من هو اكثر شراً مني

وقال شعر

وما من يدٍ الا يد الله فوقها ، ولا ظالم الا سيبلى بظالم

وسئل بزرجمهر اي الملوك اظهر قال من امنه الظاهرون
وخاف منه الخاطئون واما السلطان الذي لا سياسة
له يكون في اعين الناس خطر ويكون الخلق عليه ساخطين
ثم يذكرونه في كل وقت بالقبيح الا ترى ان الانسان اذا
كان من عوام الولاية وتولى عليها واراد ان يطلب الحساب
من الرعية اول ما يكلمهم بالهيبة ويظهر جاهه
بالسياسة اولا لعلمه ان الرعية انما ينظرون بالعين
الاولة وفي هذا الباب حكاية عجيبة حكاية كان
لابي سفيان بن حرب ولد وكان يدعا زياد بن ابيه لانه
كان قد ولد في ايام الجاهلية ونفاه وتبرأ منه ابو سفيان
وقال ما هو لي بولدٍ فلما وصل الامر الى معاوية قربه
وادناه وولاه ولاية العراق فلما وصل زياد الى العراق
وجد اهل العراق قوم يفسدون ويسرقون فقصد زياد
المسجد الجامع ورقا المنبر وخطب خطبة بليغة ثم

قال

قال بعد خطبته والله لا ان خرج واحد بعد العشاء الاخرة
لاخذ راسه فليعلم الشاهد الغايب ثم امر منادي
ينادي بذلك ثلاثة ايام ثم اقبلت الليلة الرابعة خرج
زياد وقد مضي من الليل ثلثه فركب وجعل يطوف
محال البلد فراي رجلا اعرابيا ومعه غنم له وهو قايم
فساله زياد ما تصنع ههنا فقال الاعرابي اتيت مساء
ولم اجد موضعا استقر فيه فنزلت مكاني الى ان
اصبح وابيع غنمي فقال له زياد اني اعلم انك
صادق وان اطلقتك خفت ان يشيع الخبر عني ان زياد
يقول ما لا يفعل فتنفسد سياستي وتنكسر هيبتي والجنة
خير لك من ههنا وضرب عنقه وجعل يسير فكل من
راه ضرب عنقه وحز راسه فلما اصبح من الغد
كان قد اخذ راس الف وخمسماية رجل وجعلها على باب
داره مثل البيدر فتهوله الناس وفزعوا لما راوا من
فعله فلما كان الليل خرج وكل من لقيه فعل به
كذلك ولقي ثلثماية رجلا فاخذ روسهم فلم يقدر احد
بعد ذلك ان يخرج من منزله بعد العشاء الاخرة فلما
كان يوم الجمعة رقا المنبر وقال لا يغلق احد بالليل باب
دكانه ومهما سرق منكم كانت غرامته علي فلم يجسر
احد ان يغلق بابه ولا دكانه تلك الليلة فلما كان
من الغد اتاه رجل صيرفي وقال قد سرق مني البارحة

اربعمائة دينار فقال له زياد تقدر ان تحلف على
صحة قولك فقال نعم فحلفه وغرم له اربعمائة دينار
فقال اكتم هذا ولا تشعر به احدا فلما كان يوم الجمعة
الثانية اجتمع الناس للصلاة صعد المنبر وقال اعلموا
انه قد سرق من دكان الصيرفي اربعمائة دينار وانتم
كلكم حاضرون فان رددتم ذلك فقد عاد الرجل الى
ماله وانتم رجعتم الى اماكنكم وان لم تردوا ذلك فقد
امرت ان لا يخرج احد منكم من الجامع واتقدم بقتلكم
في هذه الساعة ففي الحال الزموا من كان يتهمون بالسرقة
وقدموه بين يديه فرد الذهب الذي كان سرقه وامر
بصلبه في الحال ثم انه سال بعد ذلك اي محلة في
البصرة ليس فيها امن فقيل محلة بني الازد فامر ان يترك
فيها بالليل ثوب ديباج له قيمة ثقيلة بحيث لا يراه
احد فبقي اياما ملقى بحاله ولم يكن لاحد من ان يقربه
ولا يرفعه من مكانه فقال له اقاربه بعد ذلك ان
السياسة خير الاشياء الا انك لم ترحم المسلمين
اولا واهلكت خلقا كثيرا فقال قد اخذت عليهم
الحجة قبل ذلك بثلاثة ايام ومن شوم اعمالهم لم ينتهوا
والذي اصابهم كان من شوم افعالهم ومخالفتهم
وروي ان المامون ارق ذات ليلة فاستدعى سميرا
يحدثه بحديث فقال يا امير المومنين كان بالموصل

بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل الى
بومة البصرة ابنتها لابنها فقالت بومة البصرة
لا اجيب خطبة ابنك الا ان تجعل لي في صداق
ابنتي مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا
اقدر عليها ولكن ان دام والينا سلمه الله تعالى
سنة واحدة فعلت ذلك قال فاستيقظ لها المأمون
وجلس للمظالم وانصف الناس من بعضهم بعضا وتفقد
امور الولاة والعمال **وروي** كتب الوليد بن عبد
الملك الى الحجاج بن يوسف يامره ان يكتب له سيرته فكتب
اليه اني ايقظت رأيي وامت هواي فادنيت السيد
المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم في امره وقلدت
الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل خصم من نفسي
قسما اعطيه حظا من لطيف عنايتي ونظري وصرفت
السيف الى النطف المسيء والثواب الى المحسن البريء
فخاف المريب صولة العذاب وتمسك المحسن بحظه
من الثواب **حكاية** يقال ان اسماعيل بن احمد
امير خراسان نزل بمرو وكان رسمه في كل موضع ينزله
ان يامر مناديا ينادي في العسكر ان للجند ما لهم في
الرعية شغل فمضى رجل من اصحابه الى الخربندية فدخل
مطبخه وتناول من الطبيخ قدرا يسيرا فجاؤا الى باب
الملك واستغاثوا فامر الامير باحضاره فاحضر بين
يديه فقال له لك علينا اجرة ام لا قال بلى قال فما

سمعت المنادي قال سمعته قال فلاي سبب اذيت
رعيتي فقال اخطأت فقال انا اقدر لاجل خطائك
على دخول النار وامر به فقطعت يده **كان** الاسكندر
يوما على سرير مملكته وقد رفع الحجاب فقام بين
يديه لص فامر بصلبه فقال ايها الملك اني سرقت ولم يكن
لي شهوة في السرقة ولم يطلبها قلبي فقال الاسكندر
لاجرم تصلب ولا يطلب قلبك الصلب تقدم معنا
هذا القول في باب الامانة واجتناب الخيانة لكن ذكرنا
ايضا بحسب المقام فيجب على السلطان ان لا يغفل
عن امور رعيته **كما** قال صلى الله عليه وسلم كلكم
راع وكلكم مسئول عن رعيته وينظر فيما يامر
به من السياسة فينقد ذلك اصحابه مثل وزيره وحاجبه
وعامله ونايبه لان كثيرا من سياسة السلطان
ونظره وحسن تاملة يعطي عليه البراطيل ويفوت
وقته وذلك من تهاون الملك وغفلته فينبغي ان
تجتهد في التدارك كما جاء في **الحكايه** يقال كان
للملك كشتاشب وزيرا اسمه راست روشن وهذا
الاسم كان يظن كشتاشب انه تقي صالح وما كان يسمع
فيه كلام احد يقدح فيه ولم يكن يعرف حاله فقال
راست روشن لكشتاشب ان الرعية قد تطيرت
من عدلنا فيهم وقلة تاديبنا لهم وقد قيل في الامثال
اذا عدل السلطان جارت الرعية والان قد فاحت منهم

189

رايحة الفساد ويجب علينا ان نؤدّبهم ونزجرهم
ونبعد المهتدين ونقرّب الفسقة والمفسدين ونؤدّب
الصالحين ثمّ انّه كان كلّ من لزمه الملك ليؤدّبه
ادشير راست روشن الى ان ضعفت الرعيّة وضاق
عليها الحال وخلية الخزاين من الاموال فظهر لكشتاشب
عدوّ فاعتبر خزائنه فلم يجد فيها شيئا يصلح به
امور عسكره فركب يوما من شغل قلبه وسار في البريّة
فرأى من بعد قطيع غنم فقصده فرأى خيمة مضروبة
والاغنام نيام ورأى كلبا مصلوبا فلمّا قرب من باب
الخيمة خرج اليه شابّ فسلّم عليه وسأله الضيافة
فنزل له فاكرمه وقدّم بين يديه ما حضر من الطعام
فقال كشتاشب اخبرني عن هذا الكلب حتّى آكل طعامك
فقال الشابّ اعلم وتيقّن انّ هذا الكلب كان امينا
على اغنامي فصادف ذئبة فجعل كل يوم يقوم معها وينام
عندها والذئبة كلّ يوم تكسر من الغنم راسا
بعد راس فجاء بعض الايام صاحب الموضع وطلب
منّي حقّ المرعي فقعدت اتفكّر واحسب حساب الغنم
وهي تنقص في الحساب فرأيت بعض الايام الذئبة قد
اخذت شاة والكلب ساكت لا يتكلّم فعلمت انّه كان
سبب اتلاف الغنم وانّه يخون امانته فلزمته
وصلبته فاعتبر كشتاشب بذلك وجعل يفكر في

نفسه وقال رعيتنا اغنامنا فيجب ان نسأل عنها لنصل الى حقيقة امرها فعاد الى داره وجعل ينظر في الروزنامات فاذا هي جميعها شفاعات راست روشن فضرب مثل من اغتر بالاسم من ذوي الفساد بقي بغير زاد ومن خاف في الزاد عاد بغير روح وامر بصلب الوزير وقد قال الشاعر في المعنى

وما انا بالمغتر باسمك انما ، سميت لكي تحتال في طلب الرزق
ومن يجعل الاسماء فخاً لرزقه ، يعد غير ذي روح على الجذع ملتقي

حكاية يقال انه كان لعمرو بن ليث نسيب يعرف بابي جعفر زيدويه وكان عمرو به حفياً ومن جملة محبته له كان وصله من هرات مائة جمال حمالون على كل جمل حمل من الحوايج فانفذ عمرو من كل حاجة حملاً الى دار ابي جعفر وقال ليوسع عليه في مطبخه فقيل لعمرو بن ليث ان ابا جعفر قد بطح غلاماً لك وضربه عشرين خشبة فامر عمرو باحضاره ورسم ان يحضر بين يديه كل سيف في خزانته وقال يا ابا جعفر اختر من هذه السيوف اجودها فاعزله ناحية عنها فجعل ابو جعفر يتخير وينتقي الى ان افرد مائة سيف فقال اختر الان منها سيفين فاختار منها سيفين فقال ارسم ان يجعلا في قراب واحد فقال ابو جعفر ايها الامير كيف يمكن ذلك فقال عمرو

بن

بن ليث كذلك لا يمكن ان يكون اميران في بلد واحد
فعلم ابو جعفر انه قد اخطأ فقبل الارض والتمس
العفو والاقالة فقال عمرو لولا حق القرابة والنسب
لما حابيتك فخل عن هذا الامر لنا فقد عفونا هذه
النوبة عنك **حكاية** قال اردشير اذا كان الملك
عاجزا عن اصلاح خواصه ومنعهم عن الظلم فكيف يقدر
على رد العوام الى الصلاح **قال** الله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين والعرب تقول انه ليس اضيع للملك
وافسد لاحوال الرعية من تعذر الاذن في الدخول
الى الملك وتكاثر الحجاب وصعوبة الحجاب وليس شيء
اهيب في قلوب الرعية والعمال من سهولة الحجاب
واذا كان الملك سهل الحجاب لم يمكن للعمال ان
يجوروا على الرعية وخافت الرعية من جور بعضهم
على بعض وبسهولة الحجاب يكون للملك على سائر
الاعمال اطلاع ولا يجوز للسلطان ان يكون غافلا
لتكون الهيبة من ناموس المملكة باقية ويستريح
من الهموم الحادثة عن الغفلة **حكاية** يقال ان
اردشير كان متيقظا ذا فطنة بالامور بحيث انه اذا
جاءه ندماؤه من الغد حدث كلا منهم ما صنعه
وكان يقول لاحدهم انك البارحة فعلت الشيء
الفلاني ونمت مع زوجتك الفلانية ومهما كان

يجري لندمائه كان يحدثهم به من الغد بحيث كانوا
يظنون ان ملكا من السماء ياتيه يعرفه بافعالهم
وكذلك كان السلطان الغازي محمود بن سبكتكين
وقال ارسطاطاليس خير السلطان من كان في
حدة النظر مثل العقاب وكان الذين حوله كالعقبان
لا كالجيف يعني اذا كان السلطان حديد النظر ذا
يقظة وفكرة في العاقبة وكان المقربون منه وخواص
دولته بهذه الصفة انتظمت احوال مملكته واستقامت
امور اهل ولايته **وقال** الاسكندر خير الملوك من بدل
السنة السيئة بالحسنة وشر الملوك من بدل الحسنة
بالسيئة **وقال** ابرويز ثلاثة لا يجوز للملك
التجاوز عنهم ولا الصفح عن ذنوبهم من قدح في ملكه
وافسد حرمه وافشى سره **حكاية** يقال انه قد ولي
انوشروان العادل عاملا فانفذ اليه العامل زيادة
عن الخراج ثلاثة الاف درهم فامر انوشروان باعادة
الزيادة الى اصحابها وامر بصلب العامل وكل
سلطان اخذ من رعيته شيئا بالجور والغصب وخزنه
في خزانته كان مثله كمثل رجل عمل باساس حائط
ولم يصبر عليه حتى يجف فوضع عليه البنيان
وهو رطب فلم يبق الاساس ولا الحائط وينبغي
للسلطان ان ياخذ ما ياخذ من الرعية بقدر وان

يهب

يهب ما يهب بقدر لان لكل واحد من هذين الامرين
حدا وقدرا وكان معلم انوشروان يضرب
بلا ذنب ويأخذه بان يمسك الثلج في يده حتى تكاد
يده تسقط فآلى لان ملكت لاقتلنه فلما ملك
هرب فامنه فاتى فسأله عن الضرب ظلما فقال
لتعرف حقد المظلوم اذا ظلمته قال احسنت فالثلج
الذي كنت تعذبني به قال ستعرف ذلك فغزا فاصبحوا
في غداة باردة فلم يقدروا على توتير قسيهم فوترها
لهم فقاتل وظفر فعرف مراد مؤدبه وقال الكميت
اقول له اذا ما جاء مهلا، وما مهلا بواعظة الجهول
وقيل ليحيى بن خالد انك لا تؤدب غلمانك قال
هم امناؤنا على انفسنا فاذا اخفناهم كيف نامنهم وقال
ابو نواس دخلت على عنان جارية الناطفي وقد ضربها
مولاها وهي تبكي فقلت

ان عنانا ارسلت ادمعا، كاللؤلؤ المرفض من خيطه

فاشارت الى مولاها وقالت

فليت من يضربها عامدا، تجف يمناه على سوطه

فقال مولاها هي حرة لوجه الله ان ضربتها ظالمة
او غير ظالمة وخرج موسى الهادي على جلسائه مهموما
منتقع اللون فسألوه فقال لم ار كالدنيا وصحبتها لا
اطول هموما ولا اعظم بلية كبابة بنت جعفر بن ابي

جعفر قد عرفتم موقعها مني كلمتني بالادلال فلم يكن
عندي احتمال ولا عندها اقصار فضربتها فسكتوا
جميعا فقال ابن داب يا امير المؤمنين انك لم تات
منكرا ولم تفعل بديا قد كان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يؤدبون نساءهم هذا الزبير بن العوام
حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وفضله
فضله وثب على امراته اسما بنت الصديق اخت
عايشة وهي افضل نسا زمانها فضربها في شي عتب
فيه عليها حتى كسر يدها وكانت سبب فرقتها وذلك
انها استغاثت بولدها فاغاثها الله بعبد الله فقال هي
طالق ان حلت بيني وبينها فلم يقلع وهذا كعب بن
مالك الانصاري اخو الزبير آخى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينهما عتب على امراته وكانت من المهاجرات
الاول فضربها حتى حال بنوه بينه وبينها فقال
لولا بنوها حولها لخبطتها، كخبطة فروج ولم اتلعثم
فسري عن الهادي وطابت نفسه وامر له بمائة
وثلاثين ثوبا **فصل** في الرياسة قدم البصرة
بدوي فقال لخالد بن صفوان اخبرني عن سيد هذا
المصر فقال هو الحسن قال عربي او مولى قال وبما
سادهم قال احتاجوا اليه في دينهم واستغنى عن
دنياهم فقال البدوي كفى بهذا سوددا **وقال**

يماني

علي رضي الله عنه ما ارى شيئا اضر بالرجال من خفق
النعال وراء ظهورهم وقال فضيل ما عشق احد
الرياسة الا حسد وبغى وطغى وعنه من عشق الرياسة
لم يفلح وعنه لا يطلب احد الرياسة الا طلب عيوب
الناس ومساويهم وكره ان يذكر عنده احد بخير وعنه
ما كثر تبع رجل الا كثرت شياطينه وقال ابراهيم
بن ادهم كن ذنبا ولا تكن راسا فان الذنب ينجو والراس
يهلك وكان الرجل يجلس الى الحسن ثلاث حجج لا يسأله
عن مسألة هيبة له وقيل في مالك ابن انس

يابى الجواب فلا يراجع هيبة ، والسائلون نواكس الاذقان
هدي التقي وعز سلطان التقي ، فهو المهيب وليس ذا سلطان

وقال خالد بن صفوان كان الاحنف يفر من الشرف
والشرف يتبعه وقال النبي صلى الله عليه وسلم
قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها

وقال بعضهم

ان قريشا وهي من خير الامم ، لا يضعون قدما على قدم

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة
دعا الله بعبد من عباده فيوقف بين يديه فيسأله
عن جاهه كما يسأله عن ماله وقال رجل لقتيبة
بن مسلم اتيناك لا نرزاك ولا نتكاولك وانما نسالك

جاهك فقال سألتم اثقل الامور علي وقال والله انا لنعطي اموالنا وقاية لوجوهنا **وقال** محمد بن عبد السلام البغدادي

وأسوأ تا لامرئ شبيبته ، في عنفوان وماله خضل
راض بقوت المعاش مقتنع ، على تراث الآباء يتكل
لا حفظ الله ذاك من رجل ، ولا رعاه ما حنت الابل
كلا وربي حتى يكون فتى ، قد نهكته الاسفار والرحل
تسمو به همة تغادره ، وطرفه بالسهاد مكتحل
مصمم يطلب الرياسة او ، يضرب فتكا بمثله المثل
حتى متى تخدم الرجال ولا ، تخدم يوما لابنك الحبل

وقال ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء فتنة ان يشار اليه بالاصابع في دين او دنيا **وكان** شبيب بن ابي شيبة اذا ذكر عمرو بن عبيد تمثل بهذا **الشعر**

اذا ما تراه الرجال تحفظوا ، فلم تنطق العوراء وهو قريب

اراد عاصم الخروج الى البصرة فقال للشعبي الك حاجة قال اذا اتيتها فبلغ الحسن سلامي قال لما اعرفه قال انظر الى اجمل رجل في عينك واهيبه في صدرك فاقرأه سلامي ، هو انور من ليلة البدر واشهر من يوم بدر **وقال** معمر رأيت قميص ابي ايوب يكاد يمس الارض فقلت ما هذا قال انما كانت

الشهرة

الشهرة فيما مضى في تذييلها واليوم الشهرة في تقصيرها وكان يقول للخياط اقطع واطل فان الشهرة اليوم في القصر **وقال النميري**

يقولون في بعض التذلل عزة ، وعادتنا ان ندرك العز بالعز
ابى الله لي والاكرمون عشيرتي ، مقامي على دحض ونومي على وخز

اصطنع انوشروان رجلا فقيل انه لا قديم له فقال اصطناعنا اياه بيته وشرفه **وقيل في المغني**

ولي همة اسمو بها وعزيمة ، تبلغني اعلى من السرطان
اذا النفس لم تبعثك في طلب العلى ، فتلك من الاموات لا الحيوان

وقال الامير الصليحي

ولي همة تعلو على كل همة ، ولي امل يعلو على كل امل
ولي صرخة تعلو على كل صرخة ، صليحية ليست تهبش القبائل

ولما جيء بالهرمزان ملك خورستان اسيرا الى عمر رضي الله عنه لم يزل الموكل به يقتفي اثر عمر رضي الله عنه حتى عثر عليه في المسجد نائما متوسدا درته فلما راه الهرمزان قال هذا هو الملك الهني عدلت فامنت فنمت والله اني خدمت اربعة من ملوكنا الاكاسرة اصحاب التيجان فما هبت احدا منهم كهيبتي لصاحب هذه الدرة **وقال** الاخطل في عبد الملك

تشمو العيون الى امام عادل ، معطي المهابة نافع ضرار
وترى عليه اذا العيون رمقنه ، سيما التقى وهيبة الجبار

الباب العشرون في العدل في الرعية والكف عن ظلم البرية

اعلم هو ان تعرف اولا قدر الولاية وخطرها فان
الولاية نعمة من الله من قام بحقها نال من السعادة
ما لا نهاية له ولا سعادة بعده ومن قصر عن النهوض
بحقها حصل في شقاوة ولا شقاوة بعدها الا الكفر
بالله تعالى والدليل على عظم قدرها وجلال خطرها
قوله تعالى ان الله يامر بالعدل الاية وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عدل السلطان
يوما واحدا افضل من عبادة سبعين سنة وقال
عليه افضل الصلاة والسلام اذا كان يوم القيمة
لا يبقى ظل ولا ملجأ الا ظل الله ولا يستظل بظله
الا سبعة اناس سلطان عادل في رعيته وشاب
نشا في عبادة الله ورجل يكون في السوق وقلبه في
المسجد ورجلان تحابا في الله ورجل ذكر الله في خلوته
فاذرق دمعه من مقلته ورجل دعته امراة ذات
حسن وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله ورجل
تصدق بيمينه ولم تشعر بها شماله وقال صلى
الله عليه وسلم احب الناس الى الله واقربهم منه
السلطان العادل وابغضهم اليه وابعدهم منه
السلطان الجائر وعنه عليه افضل الصلاة
والسلام والذي نفس محمد بيده انه ليرفع السلطان

العادل

194

العادل الى السماء من العمل مثل عمل جملة رعيته
وكل صلوة يصليها تعدل سبعين الف صلوة
فاذا كان كذلك فلا نعمة اجل من ان يعطى العبد
درجة السلطنة ويجعل ساعة من عمره بجميع عمر
غيره ومن لم يعرف قدر هذه النعمة واشتغل بظلمه
وهواه يخاف عليه ان يجعله الله من جملة اعدائه
وممّا يدل على خطر الولاية ما روى ابن عباس رضي
الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى
بعض الايام فلزم حلقة باب الكعبة وكان في البيت
نفر من قريش فقال صلى الله عليه وسلم يا سادات
قريش عاملوا رعاياكم واتباعكم بثلاثة اشياء
اذا سالوكم الرحمة فارحموهم واذا حكموكم فاعدلوا
فيهم واعملوا بما يقولون فمن لم يعمل بهذا فعليه
لعنة الله وملائكته ولا يقبل الله منه فرضا ولا نفلا
وقال عليه افضل الصلاة والسلام من حكم بين
خصمين فظلم فلعنة الله على الظالمين وقال
عليه الصلاة والسلام ثلاثة لا ينظر الله اليهم
يوم القيمة سلطان جائر وشيخ زان وفقير متكبر يعني
انه يتكبر للطمع وقال صلى الله عليه وسلم يوما
لاصحابه ما من عبد ولاه الله تعالى امر رعيته
فغشهم ولم ينصح لهم ولا يشفق عليهم الا حرم الله

عليه الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من ولي امور
المسلمين ولم يحفظهم كحفظ اهل بيته فقد تبوء
مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم اشد
الناس عذابا يوم القيمة السلطان الظالم وقال
عليه افضل الصلوة واتم التسليم ويل للامراء وويل
للعرفاء وويل للعوانية فانهم اقوام يعلقون يوم
القيمة من السماء بذوايبهم يودون لو لم
يعملوا عملا قط وقال صلى الله عليه وسلم ما
من رجل ولي امر عشيرة من الناس الا جيئ يوم
القيمة ويداه مغلولتان بغل الى عنقه فان كان
عمله صالحا فك ذلك الغل منه وان كان عمله
سيئا زيد عليه غل آخر وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يؤتى بالولاة يوم القيمة فيقول الله عز وجل
كنتم رعاة خليقتي وخزانة ملكي في ارضي ثم يقول
لاحدهم لم ضربت عبادي فوق الحد الذي امرت به
فيقول يا رب لانهم عصوك وخالفوك فيقول لا ينبغي
ان يسبق غضبك غضبي ثم يقول لآخر لم عاقبت عبادي
اقل من الحد الذي امرت به فيقول يا رب رحمتهم فيقول
كيف تكون ارحم مني خذوا الذي زاد والذي نقص
فاحشوا بهما زوايا جهنم وقد جاء في الخبر ان
داود عليه السلام كان يخرج متنكرا بحيث لا يعرفه

احد

احد وكان يسأل كل من يلقاه عن سيرة داود سرًّا فجاءه
جبريل عليه السلام يومًا في صورة انسان فقال له ما
تقول في داود فقال نعم الرجل داود الا انه يأكل من
بيت المال ولا يأكل من كدّه وتعب بدنه فعاد
داود الى محرابه باكيًا حزينًا وقال الهي علمني صنعة آكل
بها من تعبي وكدّ يدي فعلمه الله صنعة الزرد وكان
عمر رضي الله عنه كل ليلة يطوف مع العسس حتى يرى
خللًا يتداركه فكان يقول لو تركت عنزًا جربا
على جانب ساقية لم تدهن لخشيت ان أسأل عنها
يوم القيمة فانظر يا اخي الى عمر مع احتياطه وعدله
وما وصل احد من الادميين الى تقواه وصلابته كيف
يتفكر ويتخوف من اهوال القيمة وانت جلست لاهيًا
عن احوال رعيتك غافلًا عن اهل ولايتك وقال
عبد الله بن عمر وجماعة من اهل بيته انا كنا ندعوا الله
ان يرينا عمر في المنام فرأيته في النوم بعد اثني عشر
سنة كانه قد اقبل وهو متلفع بازار فقلت يا امير
المؤمنين كيف وجدت ربك وباي حسناتك جازاك
فقال يا عبد الله كم لي منذ فارقتكم فقلت منذ اثني
عشر سنة فقال منذ فارقتكم كنت في الحساب وخفت
ان اهلك لا ان الله غفور رحيم جواد كريم هذا حال
عمر وكم يكن له في اسباب الولاية سوى درة ٥

موعظة سال عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه محمد
بن كعب القرظي فقال لي صف العدل فقال المسلم اصغر
منك سنا فكن له ابا وان كان اكبر منك سنا
فكن له ولدا ومن كان مثلك فكن له اخا وعاقب كل مجرم
على جرمه واياك ان تضرب مسلما سوطا واحدا على
على حقد منك عليه فانه يصيرك الى النار **كان**
هشام بن عبد الملك من خلفاء بني امية فسال يوما
ابا حازم وكان من العلماء ما التدبير في النجاة من امور
الخلافة فقال ان تاخذ كل درهم من وجه حلال وتضعه
في موضع حق فقال من يقدر على هذا فقال من يرغب
في نعيم الجنان ويهرب من عذاب النيران **سئل**
ارسطاطاليس هل يجوز ان يدعي احدا ملكا غير الله
تعالى فقال من وجدت فيه هذه الخصال وان كانت
عارية العلم، والعدل، والسخا، والحلم، والرأفة،
وما ناسبها لان الملوك انما تكون ملوكا بالظل
الالاهي وضياء الحسن، وطهارة النفس، وتزايد العقل،
والعلم، وقدم الدولة، وشرف الاصل، والدولة التي
في محتدهم واصولهم فبذلك كانوا ملوكا وسلاطين
ومعني قولهم وهو الظل الالاهي يظهر في ستة عشر
اشيا العقل والعلم، وحدة الذكا، وادراك الاشيا،
والصورة التامة، والفروسية، والابلغية، والشجاعة

والاقدام

والاقدام، والتاني، وحسن الخلق، وانصاف الضعيف
ومحبة الرعية، واظهار الرعاية، والاحتمال، والمداراة
في مكانها، والرأي، والتدبير في الامور، والاكثار في
قراءة الاخبار، وحفظ سير الملوك، والفحص عن
الاحوال، والاعمال التي اعتمدها الملوك وعملوا بها
لان هذه الدنيا بقية دول المتقدمين الذين تملكوها
ثم مضوا وانقرضوا وصاروا تذكارا للناس ويذكر
كل انسان منهم بفعله والدنيا كنز الاخرة فكنز هذه
الدنيا حسن الثنا وطيب الذكر وكنز الاخرة العمل
الصالح واكتساب الاجر **حكمة** سال اسكندر
ارسطاطاليس ايما افضل للملوك الشجاعة ام
فقال ارسطاطاليس اذا عدل لم يحتج الى شجاعة **حكمة**
كان الاسكندر بعض الايام قد ركب في جماعة اهل
موكبه فقال له رجل من متقدمي عسكره ان الله
تعالى قد اعطاك ملكا عظيما فاستكثر من
النسا لتكثر اولادك فتذكر بهم بعدك فقال اسكندر
ليس ذكر الرجل بعده بكثرة الاولاد لكن بحسن السيرة
والعدل والسنة الحميدة ورجل غلب اهل الدنيا لا يغلب
النسا **حكاية** عزل الاسكندر عاملا من عماله من عمل
كبير خطير وولاه عملا مرخسيس حقير فاتى ذلك
الرجل بعض الايام الى الدركاة فقال اسكندر كيف

تجد عملك فقال اطال الله بقا الملك الرجال لا تتشرف
بالاعمال بل الاعمال تتشرف بالرجال وذلك بحسن
السيرة والانصاف وافاضة العدل وتجنب الاسراف
فاستحسن اسكندر مقاله واعاده الى اعماله **حكمة** قال
سقراط العالم مركب من العدل فاذا جاء الجور لا يثبت
ولا يستقر **حكايه** ذكر ان في زمن الملك العادل كسرى
انوشروان ابتاع رجل من رجل ارضا فوجد فيها كنزا
فمضى سريعا الى البايع واخبره بذلك فقال انما
بعتك ارضا ولا اعلم بما فيها والكنز الذي وجدته
فهو لك مبارك عليك فقال له لا اريد ولا اطمع في
اموال الناس فترافعا بهذه الدعوى الى الملك العادل
كسرى ففرح انوشروان بذلك فقال هل لكما اولاد فقال
احدهما لي ابن وقال الاخر لي بنت فقال انوشروان
احب ان يكون بينكما قرابة ووصلة وان تزوجا
الابن بالبنت وتنفقا هذا الكنز في جهازهما ليكون
الكنز لكما ولولديكما ففعلا ما امرهما ورضيا بما
رسم لهما والان لو كان الرجلان في زمن سلطان
جاير لقال كل واحد ان الكنز لي ولكنهما لما علما
ان ملكهما عادلا طلبا واثرا الصدق **حكايه**
حضر بعض الزهاد بين يدي خليفة الوقت فقال له
عظني فقال له اعلم يا امير المومنين اني سافرت الى

الصين وكان ملك الصين قد اصابه صمم وذهب
سمعه فرايته يوما يبكي فقلت له بم تبكي فقال لما
ابكي لزوال سمعي وانما ابكي لاجل مظلوم يقف على
بابي يستغيث ولا اسمع ولكن الشكر لله اذ بصري
سالم وامر مناديا ينادي كل من كانت له ظلامة
فليلبس ثوبا احمر وكان يركب الفيل كل يوم فكل من
راى عليه ثوبا احمر دعاه واستمع شكواه وانصفه
من خصمائه فانظر يا امير المؤمنين الى شفقة ذلك
الكافر على عباد الله وانت مؤمن من اهل بيت الرسول
فانظر كيف تكون شفقتك فقال عبد الله بن
عمر استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس
فاخذ في حفره وتدبيره فجعل اهل القرى يسالونه
ان يجري لهم الخليج تحت قريتهم ويعطوه مالا فكان
يذهب به من قرية الى قرية من الشرق الى الغرب
ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف اراد فليس
خليج بمصر اكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك اموال
عظيمة جزيلة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال
له فرعون ينبغي للسيد ان يعطف على عبيده ويفيض
عليهم من خزاينه وذخائره ولا يرغب فيما بايديهم
رد على اهل القرى اموالهم فرد عليهم ما اخذ منهم
فهذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف

عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف يجب ان تكون سيرة من يقول لا اله الا الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابو الحسن بن علي الاسدي اخبرني ابي قال وجدت في كتاب قبطي باللغة الصعيدية بالعربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف الصديق من اموال مصر لخراج سنة واحدة من الذهب العين اربعة وعشرون الف الف واربعماية الف دينار من ذلك ما ينصرف في عمارة البلاد لحفر الخلجان والانفاق على الجسور وسد الترع ثم في تقوية من يحتاج الى تقويته من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة في البلدان وغير ذلك من الالات واجرة من يستعان به لحمل البذار وسائر نفقات تطبيق الارض ثمانماية الف دينار ولما ينصرف للارامل والايتام وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلوا امثالهم من بر فرعون اربعماية الف دينار ولما ينصرف في الصدقات مما يصب صبا وينادي برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فحضر لذلك جمع كثير مايتا الف دينار فاذا فرقت الاموال على اربابها دخل امنا فرعون اليه وهنوه بتفرقة الاموال على اربابها ودعواله بطول البقاء ودوام العز والنعما والسلامة وانهوا اليه حال الفقرا وتغيير سعتهم ويمد لهم السماط فياكلون بين يديه

ويشربون

ويشربون ويستعلم من كل احد منهم سبب فاقته فان
كان ذلك من آفة الزمان زاد عليه مثل الذي كان له
ولما ينصرف في صدقات فرعون الراتبة لسنة مايتا
الف دينار ويحصل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف عليه
السلام للملك ويجعله في بيت المال لنوايب الزمان
اربعة عشر الف الف وستماية الف دينار وروي
ان عمر رضي الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له
عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر ان يقدم
عليه فلم يشعر عمر ان قدم حافيا عكازته بيده
واداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه
عمر قال له يا عمير اجيتنا ام البلاد بلاد سوء فقال
يا امير المومنين اما نهاك الله ان تجهر بالسوء وعن سوء
الظن وقد جيتك بالدنيا اجرها بقرابها قال وما معك
من الدنيا قال عكازة اتوكا عليها وادفع بها عدوا
ان لقيته ومزودي احمل فيه طعامي وركوتي هذه
احمل فيها ماء لشرابي ولطهوري وقصعتي هذه اتوضا
فيها واغسل فيها راسي واكل فيها طعامي فوالله يا
امير المومنين ما الدنيا تعد تبعا لما معي قال فقام
عمر من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر فبكا بكاء شديدا ثم قال اللهم الحقني بصاحبي
غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه قال فما صنعت

في عملك يا عمير قال اخذت الابل من اهل الابل والجزية من
اهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقرآء
والمساكين وابناء السبيل فوالله يا امير المومنين
لو بقي عندي منها شي لاتيتك به فقال عمر عد الى عملك
فقال عمير انشدك الله ان تردني الى اهلي فاذن له فاتى
الى اهله فبعث عمر رضي الله عنه رجلا يقال له حبيب
بماية دينار فقال له امض الى عمير وانزل عليه ثلاثة
ايام فان يكن خاينا لم يخف عليك فادفع اليه الماية
دينار فاتاه حبيب فنزل به ثلاثا فلم يرد عليه عيش الا
الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة ايام قال يا حبيب
ارايت ان تتحول الى جيراننا فلعلهم ان يكونوا اوسع عيشا
منا فاننا والله لو كان عندنا غير هذا لاثرناك به قال
فدفع له الماية دينار وقال بعث بها امير المومنين اليك
فارسل خلف جماعة من الفقرآء فجعل يصرها الخمسة
دنانير والستة دنانير والسبعة ويبعث بها الى اخوانه
من الفقرآء الى ان انفذها فقدم حبيب على عمر وقال يا
امير المومنين جيئتك من عند ازهد الناس وما عنده
من الدنيا لا قليل ولا كثير فامر له بوسقين من
طعام وثوبين فقال يا امير المومنين اما الثوبان فاقبل
واما الوسقان فلا حاجة لي بهما عند اهلي صاع بر
هو كافيهم حتى ارجع اليهم وكتب عمر بن الخطاب

رضي الله عنه الى عامله ابي موسى الاشعري اما بعد
فان اسعد الولاة من سعدت به رعيته وان اشقى
الولاة من شقيت به رعيته فاياك والتبسط فان
عمالك يقتدون بك وان مثلك مثل دابة رأت مرعى
مخضرا فاكلت كثيرا حتى سمنت فكان سمنها سبب
هلاكها لانها بذلك السمن تذبح وتؤكل وقال
بعض العارفين كل ظلم علمه السلطان من عماله فسكت
عنه كان ذلك الظلم منسوبا اليه واخذ به وعوقب
عليه وينبغي للوالي ان يعلم انه ليس اشد غبنا ممن
باع دنياه واخرته بدنيا غيره وجميع العمال والغلمان
لاجل نصيبهم من الدنيا يغرون الوالي ويحسنون
الظلم عنده فيلقونه في النار ليصلوا الى اغراضهم
واي عدو اشد عداوة ممن يسعى في هلاكك
لاجل درهم حرام يكتسبه ويحصله وفي الجملة
ينبغي لمن اراد حفظ العدل على الرعية ان يرتب
غلمانه وعماله للعدل ويحفظ احوال العمال وينظر
فيها كما ينظر في احوال اهله واولاده ومنزله
ولا يتم له ذلك الا بحفظ العدل اولا من باطنه
وذلك لمن لا يسلط شهوته وغضبه على عقله
ودينه ولا يجعل دينه اسير عقله واكثر الخلق خدمة
شهواتهم فانهم يستنبطون الحيل ليصلوا الى مرادهم

من الشهوات ولا يعلمون ان العقل من جواهر الملائكة
وهو من جند الباري جلت قدرته وان الشهوة والغضب
من جند الشيطان فمن يجعل جند الله وملائكته
اسرا جند الشيطان كيف يعدل في غيرهم واول ما تظهر
شمس العدل في الصدر ثم ينشر نورها في اهل البيت
وخواص الملك فيصل شعاعها الى الرعية ومن طلب
الشعاع من غير الشمس فقد طلب المحال وطمع فيما لم
ينل **حكاية** يقال ان انوشروان ركب في بعض الايام
في الربيع على سبيل الفرجة فجعل يسير في الرياض المخضرة
ويشاهد الاشجار المثمرة وينظر الى الكروم العامرة
فنزل وخر ساجدا شكرا لربه واضعا خده على التراب
زمانا طويلا فلما رفع راسه قال لاصحابه ان
خصب السنين من عدل الملوك والسلاطين وحسن
نيتهم واحسانهم الى رعيتهم فالمنة لله الذي قد
اظهر نيتنا في سائر الاشيا وانما قال ذلك لانه جربه
في بعض الاوقات **حكاية** يقال ان انوشروان العادل
مضى يوما الى الصيد فانفرد من عسكره فراى ضيعة
بالقرب منه وكان قد عطش فقصد الضيعة واتى
باب دار قوم وطلب ماء ليشرب فخرجت صبية
فابصرته وعادت الى البيت فدقت قصبة واحدة
من قصب السكر ومزجت ما عصرته منها بالماء

بتجربة

ووضعته

ووضعته في قدح وسلمت القدح انوشروان فنظر الى
القدح فرأى فيه ترابا وقذى فشرب منه قليلا قليلا
حتى فرغ وقال للصبية شاد باد نعم الماء لولا ذلك
القذى الذي كدره فقالت الصبية يا سرهنك انا القيت
فيه القذى عمدا فقال انوشروان فلم فعلت ذلك فقالت
لاني رايتك شديد العطش فلو لم يكن في الماء قذى كنت
شربته عجلا نوبة واحدة وكان يضرك شربة بهلة واحدة
فتعجب انوشروان من كلامها وعلم انها قالت ذلك عن ذكا
وفطنة فقال لها من كم قصبة عصرت ذلك الماء
فقالت من قصبة واحدة فتعجب وطلب جريدة خراج
تلك الناحية فرأى خراجها قليلا فتفكر في نفسه
وقال قرية تكون في قصبة واحدة منها هذا السكر
كله ويكون هذا الخراج خراجها فجعل في نفسه انه اذا
عاد امر ان يزاد عليهم الخراج ثم انه عاد الى تلك الناحية
بعد وقت واجتاز على ذلك الباب منفردا وطلب ماء
فخرجت تلك الصبية بعينها فراته فعرفته وعادت
لتخرج له الماء فابطات عليه فاستعجلها انوشروان
وقال لاي شي ابطات فقالت الصبية لانه لم يخرج من
قصبة واحدة قدر حاجتك وقد دققت اليوم ثلاث
قصبات وما خرج منها مثل ما كان يخرج من قصبة
واحدة فقال انوشروان ما سبب هذا العجز فقالت

سَبَبه تغيّر نية السلطان فقد سمعنا في الاخبار
انه اذا تغيّرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم
وقلّت خيراتهم فضحك انوشروان وازال من نفسه
ما كان قد اضمر لهم وتزوج الصبية حالا لتعجّبه
من ذكائها وحسن كلامها **وسال** معاوية الاحنف
بن قيس فقال يا ابا يحيى كيف الزمان قال الزمان انت يا
امير المومنين ان صَلحت صلح الزمان وان فسدت فسد
الزمان **وقال** الاحنف بن قيس كما ان الدنيا عمرت
بالعدل فكذلك تخرب بالجور لان العدل يضي نوره
وتلوح تباشيره من مسيرة الف فرسخ **وقال** فضيل
بن عياض لو كان دعائي مستجابا لم ادع لغير السلطان
العادل لان السلطان صلاح العباد وزينة البلاد
حكايه يقال ان انوشروان اظهر يوما من ايام ملكه
انه ضعف وانفذ ثقاته وامناه وامرهم ان يطوفوا
في اقطار مملكته واكناف ولايته ويطلبوا له لبنة
عتيقة من قرية خربة ليتداوى بها وذكر لاصحابه
ان الاطبا وصفوا له ذلك فمضى اصحابه وطافوا في
اقطار مملكته وولايته وعادوا وقالوا ما وجدنا في
جميع المملكة مكانا خرابا ولا لبنة عتيقة ففرح
انوشروان وشكر الله وقال انما اردت بهذا ان
اجرّب ولايتي واختبر مملكتي لاعلم هل بقي في المملكة

موضع خراب لا عمر فلان لم يبق مكان الا وهو
معمور فقد تمت امور المملكة وانتظمت الاحوال
ووصلت العمارة الى درجة الكمال فاعلم ان
اولئك الملوك القدما كانت همتهم واجتهادهم
في عمارة بلادهم لعلمهم انه كلما كانت الولاية
اعمر كانت الرعية اوفر واشكر وكانوا يعلمون ان الذي
قالته الحكما ونطقت به العلما صحيح لا ريب فيه وهو
قولهم ان الدين بالملك والملك بالجند والجند بالمال
والمال بعمارة البلاد وعمارة البلاد بالعدل بين
العباد فما كانوا يوافقون احدا على الجور والظلم ولا
يرضون لحشمهم بالجور والغشم فان الرعية لا تثبت
على الجور وان الاماكن ستخرب اذا استولى عليها
الظالمون ويتفرق اهل الولاية ويهربون الى ولاية غيرها
ويقع النقص ويتكدر عيش الرعية لان الرعايا لا يحبون
جايرا ولا يزال دعاؤهم عليه متواترا فلا يتمتع بمملكته
وتسرع اليه دواعي هلكته فيجب على الملوك والوزرا
والولاية والرؤسا ان يدعوا بذل الاحسان في الرعية
وان ينفوا عن نفوسهم العيوب الفاحشات والخطايا
الموبقات ليبقى بعدهم حسن الاسم وصالح الرسم
ولئلا يذكروا بالقبيح وقد جعلوا في الضريح كما
قال الشاعر

اهرب من الشر وتب يا فتى ، وان بدا منك فعد واندم
وانف عن نفسك ما شانها ، من مساوي الدهر خف تسلم
بعدك يبقي الذكر لا مين ، فكن حديثا حسنا تغنم
سئل ذو القرنين فقيل له اي شيء من مملكتك انت
اكثر به سرورا فقال بشيئين احدهما العدل والانصاف
والثاني ان اكافي من احسن الي باكثر من احسانه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الاحسان في كل
شيء حتى انه يحب انسانا اذا ذبح شاة فامضى لها
المدية ليعجل خلاصها من الم الذبح وعن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يخلق الله في
الارض شيئا افضل من العدل والعدل ميزان الله في
ارضه فمن تعلق به اوصله الله الجنة وقال ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمحسنين
منازل في الجنة حتى المحسن الي اهله واتباعه وقال
قتادة في تفسير هذه الاية ان لا تطغوا في الميزان اراد
به العدل فقال يا ابن ادم اعدل كما تحب ان يعدل
فيك روي مبشر بن اسماعيل قال دخل ابو مسلم
الخولاني على معاوية فقال السلام عليك ايها الاجير
فقالوا له الحاضرون يا ابا مسلم قل يا ايها الامير فقال
معاوية دعوا ابا مسلم فانه اعلم بما يقول منكم فقال
ابو مسلم وجدت مثلي ومثلكم مثل رجل كانت له

مثل

ماشية واستاجر اجيرا يرعاها وجعل له اجرة اذا احسن
رعايتها ووفر اصوافها والبانها ولم يضيعها حتى تسمن
العجفا وتدرك الصغيرة فان فعل ذلك استحق اجرته
وزاده من فضله وان لم يحسن رعايتها ولم يوفر اصوافها
والبانها وضيعها حتى تهلك العجفا وتهزل السمينة
غضب عليه وحرمه الاجر وعاقبه على التقصير وقال
بعض الفصحا في ذلك المعنى على لسان الماشية المذكورة
يخاطب الراعي بهذا الشعر

اذا انتم تبقوا لي صوفا ولا لبنا، الفيتني عظما في فدفد قاع
اخذت رزقك من ربي لتحفظني، فصرت لي سبعا يا ايها الراعي

وهذه الحكاية انما اوردناها ليعلم العقلا ان الله تعالى
لا يخفى عليه خافية وانما ينصف المظلوم من الظالم
كما جاء في الحكاية كان موسى عليه السلام يناجي ربه
على الطور فقال في مناجاته الهي ارني عدلك وانصافك
فقال تعالى انت رجل حاد جري لا تقدر ان تصبر فقال
اقدر على الصبر بتوفيقك فقال اقصد العين الفلانية
واختف بازايها وانظر الى قدرتي وعلمي بالغيوب فمضى
موسى وصعد على تل بازاء تلك العين وقعد مختفيا فوصل
الى العين فارس ونزل عن فرسه وتوضا من العين
وشرب من مايها وحل من وسطه هميانا فيه الف
دينار ووضعه الى جانبه وصلى ركعتين ثم ركب

ونسي الهميان في موضعه وسار فجاء بعده صبي صغير
فشرب من الماء واخذ الهميان ومضى فجاء بعد الصبي
شيخ اعمى فشرب من الماء وتوضا ووقف في الصلاة
فتذكر الفارس الهميان فعاد من طريقه الى العين فوجد
الشيخ الاعمى فلزمه وقال اني نسيت هميانا فيه
الف دينار في هذا الموضع في هذه الساعة وما جا احد
سواك الى هذا المكان فقال انا رجل اعمى كيف
ابصرت هميانك فغضب الفارس من ذلك وجذب سيفه
وضرب الاعمى فقتله وفتشه عن الهميان فلم يجده
فتركه ومضى فقال موسى عليه السلام الهي وسيدي
قد نفد صبري وانت عادل فعرفني كيف هذه الاحوال
فهبط جبريل عليه السلام وقال يا موسى الباري جلت
قدرته يقول لك انا عالم الاسرار اعلم ما لا تعلم اما الصغير
الذي اخذ الهميان فانه اخذ حقه وملكه وكان
ابو هذا الصبي اجيرا لذلك الفارس واجتمع عليه له بقدر
ما في ذلك الهميان فوصل الصبي الى حقه واما الشيخ
الاعمى فانه قبل الان قتل والد ذلك الفارس وقد اقتص
ووصل كل ذي حق الى حقه فتامل فان علمنا دقيق
كما ترى فلما علم موسى عليه السلام ذلك قدس الله
وسبحه وهلله واستغفره ونزهه عن الظلم وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه امام عادل خير من مطر

وابل

وابل واسد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان
ظلوم خير من فتنة تدوم **وقال** ابن مسعود اذا كان
السلطان عادلاً فله الاجر وعليك الشكر وان كان
جايراً فعليه الوزر وعليك الصبر **وقال** سليمان بن
داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان
الملك **وقيل** سبب ما سلب عن سليمان الملك هو ان
جلس خصمان بين يديه وكان لاحدهما خاصة
بسليمان عليه السلام فقال في نفسه وددت ان
يكون للحق لخاصي فاقضي له فسلبه الله تعالى ملكه
وقعد الشيطان على كرسيه **وكتب** عامل حمص الى عمر
بن عبد العزيز ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت
الى الصلاح فكتب اليه عمر حصنها بالعدل ونق طرقها
من الجور والسلام **وقالت** الحكما من حرم العدل فلا
خير له ولا للناس في سلطانه **وقال** الحكيم من اتخذ
العدل سنة كان له احصن جنة ومن استشعر
حلة العدل استكمل رتبة الفضل **وقال** ابو عبيدة
بن عبد الله بن مسعود ان الامام العادل ليسكت
الاصوات عن الله تعالى وان الامام الجائر لتكثر منه
الشكاة الى الله سبحانه **وقال** بعض الحكما امير بلا
عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كارض بلا نبات
وشاب بلا توبة كشجرة بلا ثمرة وغنا بلا سخا كقفل

بلا مفتاح وفقير بلا صبر كسراج بلا ضوء وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال الحكيم شر الزاد الى المعاد الذنب بعد الذنب وشر من هذا العدوان على العباد وقال حكيم ذكر الملوك على غاية الدهور والازمان عدل واضح او جور فاضح هذا يوجب له الرحمه وهذا يوجب له اللعنه ويقال ان الحاصل من خراج سواد العراق في زمن امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مايه الف وسبعه وثلاثين الف الف فلم يزل يتناقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانيه عشر الف الف فلما ولي عمر بن عبد العزيز ارتفع في السنه الاولى ثلاثون الف الف وفي الثانيه ستون الف الف وقيل اكثر فقال ان عشت لابلغنه الى ما كان في ايام امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمات في تلك السنه ولما مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولامير المومنين المنصور فكتب لعامله استوف لامير المومنين حقه وفرق بين الغرما فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لاحد الغرما ثم كتب للمنصور اني رايت امير المومنين كاحد الغرما فكتب اليه المنصور ملات الارض بك عدلا وكان احمد بن طولون والي مصر متحليا بالعدل مع تجبر وسفكه الدما وكان يجلس للمظالم وينصف المظلوم

من

من الظالم **وحكي** ان رجلاً من بعض العقلاء غصبه بعض
الولاة بضيعة فاتي الي المنصور فقال اصلحك الله يا امير
المومنين اذكر حاجتي ام اضرب لك قبلها مثلاً فقال بل اضرب
المثل فقال ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانما
يفزع الي امه اذ لا يعرف غيرها وظناً منه ان لا ناصر له
غيرها فاذا ترعرع واشتد كان فراره الي ابيه فاذا بلغ
وصار رجلاً وحدث به امر شكاه الي الوالي لعلمه انه
اقوي من ابيه فاذا ازداد عقله شكاه الي السلطان لعلمه
انه اقوي ممن سواه فاذا لم ينصفه السلطان شكي الي
الله تعالى لعلمه انه اقوي من السلطان وقد نزلت بي
نازلة وليس فوقك احد اقوي منك الا الله عز وجل فان
انصفتني والا رفعتها الي الله تعالى في الموسم فاني متوجه
الي بيته وحرمه فقال بلي ننصفك وامر ان يكتب الي
واليه يرد ضيعته اليه **ووقف** يهودي لعبد
الملك بن مروان فقال يا امير المومنين ان بعض خاصتك
ظلمني فانصفني منه واذقني حلاوة العدل فاعرض
عنه ثم وقف له ثانياً فلم يلتفت اليه فوقف له مرة
ثالثة وقال يا امير المومنين انا نجد في التوراة المنزلة
علي موسي كليم الله ان الامام لا يكون شريكاً في ظلم احد
حتي يرفع اليه فاذا رفع اليه فلم يزله فقد شركه في الظلم
والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع وبعث في الحال الي

من ظلمه فعزله واخذ لليهودي حقه **وقدم** المنصور
البصرة قبل الخلافة فنزل بواسط واصل بن عطا وقال
بلغني ابيات عن سليم بن يزيد العدوي بالعدل فقم بنا
اليه فاشرف عليهم من غرفة فقال لواصل من هذا الذي
معك قال عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
قال رحب على رحب وقرب على قرب فقال انه يحب ان يسمع
ابياتك في العدل **فانشد**

حتى متى لا نرى عدلا نسر به ، ولا نرى لولاة الحق اعوانا
مستمسكين بحق قايمين به ، اذا تلون اهل الجور الوانا
يا للرجال لداء لا دواء له ، وقايد ذي عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور وددت لو اني رايت يوم عدل ثم مت
ونقل سيدي ابو بكر الطرطوسي رحمه الله في كتابه
سراج الملوك قال حدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي
الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة
اراداب ولم يكن في ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك
فغصبها السلطان فلم تحمل شيئا في ذلك العام ولا
ثمرة واحدة وقال لي شيخ من اشياخ الصعيد اعرف
هذه النخلة وهي تجيء عشرة اراداب ستين ويبة وكان
صاحبها يبيعها في سنين الغلا كل ويبة بدينار
وحكى ايضا رحمه الله قال شهدت في الاسكندرية
والصيد مطلق للرعية والسمك يغلي الماء منه لكثرته

وكانت الاطفال تصيح بالحزف ثم تجرم الوالي ومنع
الناس من صياح فذهب السماع حتي لا يكاد يوجد
الي يومنا هذا وهكذا تتعدي سراير الملوك وعزايمهم
ومكنون ضمايرهم الي الرعية ان خيراً فخير وان شراً فشر

الباب الحادي والعشرون في السفر والاغتراب والتشوق الي الوطن والاحباب

اما ما جاء في الاسفار والحث علي ترك الاقامة فقد قال
الله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في
مناكبها وكلوا من رزقه وفي الاخبار سافروا تغنموا
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس علي
ظهر سفر ان الله بالمسافر رحيم وقيل الحركة ولود،
والسكون عاقر وقال حكيم الفرس السفر ميزان الاخلاق
وقيل المسافر يبصر العجايب، ويجلب المكاسب، ويكسب
التجارب وقيل السفر يشد الابدان، وينشط الكسلان
ويشهي الطعام، ويطرد الاسقام وقيل من فضل
السفر ان صاحبه يري من عجايب الامصار، وغرايب
الاقطار، ومحاسن الاثار، وشوارد الاخبار، ما يزيد
علماً بقدرة الله وحكمته، ويدعوه الي شكر فضله ونعمته

وقال الشاعر

رحل قلوصك عن ارض تهان بها، الي البلاد التي يهمي بها المطر
واستنزل الري من ضرع السحاب فان، بلت يداك به فليهنك الظفر

وانظر بعينك هل أرض معطلة ، من النبات كأرض حفها الشجر
وان رددت فيما في الرد منقصة ، فان قبلك موسى رده للخضر

وقال آخر

رحل بنفسك من أرض تهان بها ، ولا تكن لفراق الأهل في حرق
فالعنبر الخام يرخص في مواطنه ، وفي التغرب محمول على العنق
والكحل نوع من الأحجار تنظره ، في أرضه وهو ملقي على الطرق
فان تغرب حاز الفضل أجمعه ، وصار يحمل بين الجفن والحدق

وقال آخر

لقد هنت من طول المقام ومن يقم ، طويلا يهن من بعد ما كان مكرما
وطول مقام المرء في مستقره ، يغير لونا وريحا ومطعما

ولله در القايل

بلاد الله واسعة الفضا ، ورزق الله في الدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوان ، اذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

وقال بعضهم

رحل قلوصك في الفلا ، ودع الغواني والقصور
لولا التنقل ما ارتقي ، در البحور الى النحور

وقال بعضهم

واذا البلاد تغيرت عن حالها ، فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرض واجب ، في بلدة تدع العزيز ذليلا
وقال بعضهم تغربوا تنتجوا ان الله لم يجمع منافع الدنيا
في أرض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض وقال الامام

علي

علي رضي الله عنه في قصيدته الزينبية

واذا رايت الرزق ضاق ببلدة ، وخشيت فيها ان يضيق المكسب

فارحل فارض الله واسعة الفضا ، طولا وعرضا شرقها والمغرب

وقال بعضهم البركات ، في الحركات وقال بعضهم

سافر تجد عوضا عن من تفارقه ، وانصب فان لذيذ العيش في النصب

فالاسد لولا فراق الغاب ما افترست ، والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والبدر لولا افول منه ما نظرت ، في كل شهر اليه اعين الرقب

والشمس لو وقفت في الفلك دايمة ، لملها الناس من عجم ومن عرب

والتبر كالترب ملقى في اماكنه ، والعود في ارضه نوع من الحطب

فان تغرب هذا عز مطلبه ، وان تغرب هذا صار كالذهب

وقيل اوحش اهلك ، اذا كان في ايحاشهم انسك ، واهجر

وطنك اذا املت منه نفسك ، فربما اسفر السفر على الظفر ،

وتعذر في الوطن بلوغ الوطر وقال الشاعر

اذا كنت في ارض يسوءك اهلها ، ولم تك محبوسا بها فتغرب

فان رسول الله لم يستقم له ، بمكة حال فاستقام بيثرب

وقال اكثم بن صيفي في الاسفار ، يبدو لك الاخبار ،

ليس بينك وبين بلدك نسب خير البلاد ما حملك

وقيل لابن الاعرابي لم سمي السفر سفرا قال لانه يسفر

عن اخلاق القوم اي يكشف وكان علي رضي الله عنه

ستة من المروة ثلاث في الحضر ، وثلاث في السفر ، فاما

اللاتي في الحضر فتلاوة القران وعمارة مساجد الله والعزلة

عن الاشرار، واما اللاتي في السفر فبذل الزاد، وحسن
الخلق، والمزح في غير معاصي الله، وتقدم معنا هذا
الكلام، لكن ذكرناه على حسب المقام وكان لرجل من
العرب ولد يريد السفر وهو يمنعه اشفاقا عليه فقال
الاخلني امضي لشاني ولا اكن، على الاهل كلا ان ذا الشديد
تصيبني ريب المنون ولم اكن، لاهرب عما ليس عنه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي، وقيل اذا اخطأت انت رشيد
فدعني اجول الارض عمري لعله، يسر صديق او يغاض حسود
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة
فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وقال
كعب بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج
في سفر الا يوم الخميس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكره ان يسافر الرجل في غير رفقة، وقال الراكب شيطان
والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب وقال اذا خرج
ثلاثة في سفر فليؤمر احدهم وقال علي كرم الله وجهه
الغنا في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة وفي هذا
الكلام حث على السفر عند الضرورة وقال بعضهم واجاد
لولا اميمة لم اجزع من العدم، ولم اجد في الليالي حندس الظلم
وزادني رغبة في المال مغرفتي، ان اليتيمة يجفوها ذوي الرحم
احاذر الفقر بوما ان يلم بها، فيهتك الستر عن لحم وعن وضم
تهوى حياتي واهوى موتها اشفقا، والموت اكرم نزال على الخدم

اخشى فظاظة عم او جفاء اخ، وكنت اخشى عليها من جفا الكلم

وقال المأمون لاشي الذ من السفر في كفاية وعافية لانك تحل كل يوم في محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم وقال الفرزدق

وفي الارض عن دار القلى متحول، وكل بلاد اوطنت كبلاد

وقال آخر

وما هي الا بلدة مثل بلدتي، خيارهما ما كان عونا على دهري

وقال صفي الدين الحلي

تنقل فلذات الهوى في التنقل، ورد كل صاف لا تقف عند منهل
ففي الارض احباب وفيها مناهل، فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تستمع قول امرئ القيس انه، مضل ومن يهدي به الحنظل

وقال عبد الله النخعي

فان تجف عني او تردني اهانة، اجد عنك في الارض العريضة مذهبا

فصل في الحنين الى الاوطان، والتشوق الى الاحباب والبكا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اصيل الغفاري من مكة فقال يا اصيل كيف عهدت مكة قال عهدتها والله قد اخصب جنابها [١] واغدق اذخرها [٢] واسلب ثمامها واقشر سلمها [٣] فقال حسبك يا اصيل وروي ان ابان بن سعيد قدم عليه فقال يا ابان كيف تركت اهل مكة فقال تركتهم وقد جيدوا وتركت الاذخر وقد اغدق وتركت الثمام

[١] المراد بجنابها ازهارها الذي كثر
[٢] المراد باغدق اذخرها اي كثر نباتها
[٣] المراد بسلمها شجرة العضاه اي ثمام غيلان

وقد خاص فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل لاعرابي اتشتاق الى وطنك فقال كيف
لا اشتاق الى رملة كنت جنين ركامها، ورضيع غمامها،
وقال اخر يحن الكريم الى خباته، كما يحن الاسد الى غابه،
اعرابي يحن اللبيب الى وطنه، كما يحن النجيب الى عطنه،
ومن حب الوطن ما حكي ان سيدنا يوسف عليه السلام
اوصى ان يحمل تابوته الى مقابر ابائه فمنع اهل مصر
اوليائه من ذلك فلما بعث سيدنا موسى عليه السلام
واهلك فرعون عليه اللعنة حمله موسى الى مقابر ابائه
فقبره بالارض المقدسة. واوصى الاسكندر
ان تحمل رمته في تابوت من ذهب الى بلد الروم حبا
لوطنه وضعف شابور ذو الاكتاف بالروم وكان
اسيرا فقالت له بنت الملك وقد عشقته ما تشتهي قال
شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فاتته بعد
ايام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت هذا من
ماء دجلة ومن تربة ارضك فشرب واشتم بالوهم
فطاب من علته وقال الشاعر
وما ام خشف ظل يوما وليلة، ببلقعة بيدا ظمآن صاديا
لهيم فلا تدري الى من تبتغي، مولهة حيرى تجوب الفيافيا
اذا ابعدت عن خشفها انعطفت له، فالفته ملهوف الجوانح طاويا
باوجع مني يوم شدوا حمولهم، ونادى منادي الحي ان لا تلاقيا

وقال

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يا ماجشون ما قلت حين فارقت احبابك فقلت يا امير المؤمنين قلت

لله باكٍ على احبابه جزعا ، قد كنت احذر هذا قبل ان يقعا
ما كان والله شوم الدهر يتركني ، حتى يجرعني من بعدهم جرعا
ان الزمان راى الف السرور لنا ، فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا ، فلا زيادة شيء فوق ما صنعا

فقال والله لاعينك فاعطاني عشرة الاف دينار وقال بعضهم

وقفت يوم النوى منهم على بعد ، ولم اودعهم وجدا واشفاقا
اني خشيت على الاضعان من نفسي ، ومن دموعي احراقا واغراقا

وقال عمر بن احمد بن بديل

اما الرحيل فحين جد ترحلت ، مهج النفوس له عن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه ، لم يدر كيف تفتت الاكباد

لمؤلف القاموس

احبتنا الاماجد ان رحلتم ، ولم ترعوا لنا عهدا والّا
نودعكم ونودعكم قلوبا ، لعل الله يجمعنا والّا

وقال بعضهم دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له احسنت فاومى بيده الى حجر يرمينا به وقال المثلي يقال احسنت ففررنا منه فقال اقسمت عليكم الا ما رجعتم حتى انشدكم فان انا احسنت قولوا احسنت وان انا اسات قولوا

أساءت فرجعنا اليه **فقال**

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم ، وحملوها وسارت بالدما الابل

وقلبت عن خلال السجف ناظرها ، ترنو اليّ ودمع العين ينهمل

وودعت ببنان عقدها عنم ، ناديت لا حملت رجلاك يا جمل

يا حادي العيس عرج كي نودعهم ، يا حادي العيس في ترحالك الامل

اني على العهد لم انقض مودتهم ، ياليت شعري لطول العهد ما فعلوا

فقلنا ما تؤا فقال وانا والله اموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت **وقال**

لما علمت بان القوم قد رحلوا ، وراهب الدير بالناقوس مشتغل

شبكت عشري على راسي وقلت له ، يا راهب الدير هل مرت بك الابل

فحن لي وبكى لما راى وله ، وقال لي يا فتى ضاقت بك الحيل

ان الخيام الذي قد جيت تطلبهم ، بالامس كانوا هنا واليوم قد رحلوا

ولله در القايل

ولما تبدت للرحيل جمالنا ، وجد بنا سير وفاضت مدامع

تبدت لنا مذعورة من خيامها ، وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع

اشارت باطراف البنان وودعت ، واومت بعينيها متى انت راجع

فقلت لها والله ما من مسافر ، يسير ويدري ما به الله صانع

فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها ، وارخت من طرف الكحيل مدامع

وقالت الهي كن عليه خليفتي ، فيارب ما خابت لديك الودايع

وقال آخر

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه ، هل من سبيل الى لقياك يتفق

لما انصفتك جفوني وهي دامية ولا وفا لك قلبي وهو يحترق

وقال ابن زريق البغدادي

قالت وقد ناكها للبين أوجعه ، والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت ، قواه من حمل ما فيه واضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى ، من شتت الشمل بعد البين يجمعه
كانني يوم ولت حسرة واسا ، غريق بحر يرى الشاطي ويمنعه

وقال شمس الدين بن البدوي

قفا حاديا ليلى فاني واسق ، ولا تعجلا يوما على من يفارق
وزما مطاياها قبيل مسيرها ، ليلتذ منها بالتزود عاشق
ولا تزجرا بالسوق اضعان عيسها ، فان حنيني للضعاين سايق
ولما التقينا والغرام يبيدنا ، ونحن كلانا في التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا ، تسارقني نظرة واسارق
ولا تسألا ما حل بالبين بيننا ، ولا تعجبا انا مشوق وشايق

وقال آخر

تذكرت ليلى حين شط مزارها ، وعادت منازلها خليين بلقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا ، وسمر العوالي للمنايا تشرع
وخالفت لوامي عليها وعذلي ، وخالفت سهدي والخليون هجع
ولم استطع يوم النوى رد عبرة ، فوادي اسا من حرها يتقطع
فقال خليلي اذ راى الدمع دايما ، يفيض دما من مقلتي ليس يدفع
لين كان هذا الدمع يجري صبابة ، على غير ليلى فهو دمع مضيع

لمؤلف المستطرف

يا سادة في سويدا القلب مسكنهم، وفي منامي أرى أني أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكم، يا من يعز علينا أن نفارقهم

وقال عز الدين الموصلي

فسدت لطول بعادكم أحلامنا، وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد العيون بزورة، يا حبذا إن صحت الأحلام

وقال آخر

رجوت طيف خيال، وكيف لي بهجوع
والذاريات جفوني، والمرسلات دموعي

وقال بعضهم

ارحم رحمت لوعتي، وابعث خيالك في الكرى
ودمع عيني لا تسل، عن حاله يا ما جرى

ولله در القائل

أن عيني مذ غاب شخصك عنها، يأمر السهد في كراها وينهي
بدموع كأنهن الغوادي، لا تسل ما جرى على الخد منها

وقال الصفدي

يا قلب صبرًا على الفراق ولو، روعت ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع إذ ظهرت بما، يخفيه قلبي سقطت من عيني

وقال الشيخ شهاب الدين بن حجر

خاض العواذل في حديث مدامعي، لما غدا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سر هواكم، حتى يخوضوا في حديث غيره

وقال الشيخ ابراهيم المواز

حت يوم الفراق اجري دموعي ، خشية او قضى الفراق ببيني
قيل كم ذا تجري دموعك تهمي ، او قفا الدمع قلت من بعد عيني

وقال آخر

لما لبست لبعدكم ثوب الضنا ، وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
اجريت وقف مدامعي من بعدكم ، وجعلته وقفا عليه جاريا

وقال عز الدين الموصلي

عيني افاضت دموعي ، لطول صد وبين
وجنة الخد قالت ، رايت غسلي بعيني

وقال قيس بن ذريح

وما فارقت ليلي عن مراد ، ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف ، اذا بانت خليلته بكاها

وفي بعض الكتب السماوية ان ممن عاقبت به عبادي
ان ابتليتهم بفراق الاحبة وقال بعضهم

وكم ارثي لغادر من طول ليله ، عليه لان الليل يعشقه معي
وما زلت ابكي في دجى الليل صبوة ، من الوجد حتى ابيض من فيض ادمعي

الباب الثاني والعشرون في الفرج واليسر بعد الشدة والعسر

قوله عز وجل سيجعل الله بعد عسر يسرا وقال تعالى وهو
الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وقوله
تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء وروي عن ابن مسعود رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر في

يجر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال علي رضي الله عنه
عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق البلاء
يكون الرخا وقال رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم افضل اعمال امتي انتظارها فرج الله وقال
الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا، قال النبي
صلى الله عليه وسلم ابشروا لن يغلب عسر يسرين ومن
كلام الحكما ان بقيت لم يبق الهم وقال ابو حاتم الشاعر
اذا اشتملت على اليأس القلوب، وضاق بما به الصدر الرحيب
واوطنت المكاره واطمأنت، وارست في مكانتها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها، ولا اغنى بحيلته الاريب
اتاك على قنوط منك غوث، يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات وان تناهت، فموصول بها فرج قريب
وقال ابراهيم بن العباس
ولرب نازلة يضيق بها الفتى، ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها، فرجت وكان يظنها لا تفرج
ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى
العراق لاطلاق المسجونين وقسم الاموال ضيق على يزيد
بن ابي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة
ولي يزيد بن ابي مسلم افريقيه فاستخفى محمد بن يزيد
فطلبه يزيد بن ابي مسلم فاتي به في شهر رمضان
عند المغرب وبيده عنقود عنب فقال يزيد بن ابي مسلم

حين راي محمد بن يزيد انت محمد بن يزيد قال له نعم قال له
امان الله لطال ما سالت الله ان يمكنني منك بغير عقد
ولا عهد فقال محمد وانا والله طال ما سالت الله ان
يجيرني منك ويعيذني قال والله ما اجارك ولا اعاذك
وان سابقني ملك الموت الى قبض روحك لسبقته ووالله
لا اكل هذه الجبة حتى اقتلك ثم امر به فكتف ووضع في
النطع وقام السياف على راسه فاقيمت الصلوة ووضع
يزيد العنقود وتقدم يصلي وكان اهل افريقيه اجمعوا
على قتله فلما ركع ضربه رجل بعمود على راسه فقتله
وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من
قتل الامير واحيا الاسير يقول مؤلفه ومما حدثني
به اخونا في الله الحاج احمد اغا القاطن باسلامبول وكان
ثقة في قوله قال سافرت سنة ثلاث عشر وماية
بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل صلاة
واكمل تحيته الى بيت الله الحرام بخدمة امير الحاج
الشامي الحاج محمد باشا الشهير بابي قاووق
من خدم الخاصه قال فلما قضينا فرضنا وعدنا
حتى وصلنا الى منزل العلا واذا قد خرج علينا
طوايف العربان عنزه وبني صخر وغيرهم من الاعراب
ووقع بيننا الحرب فهزمونا واخذوا اكثر من نصف
الحج فضربني بعض الاعراب على وسطي بسن حتى

انفذه من الجانب الآخر وخرج امعائي جميعها فلحلاوة
الروح وضعتهم في محرمة وربطتهم على وسطي فلما
نزلنا بالمنزل اتى الجراح لينظر جرحي فلما كشف عليه
قال هذا اما عاد فيه رجا واخبراه انه قد اخذوها
الاعراب مع رحله فبقيت على هذه الحالة وامعائي
مشدودة على وسطي ثلاثة ايام ففي اليوم الرابع
اتوني بالجراح ليدبر امري فاخذ امعائي ووضعهم في
طشت من نحاس وغسلهم بالماء ليلينوا وامر بعض
الحاضرون بان يمسكوني من يداي ورجلاي ويهزوني
حتى ادخل جميع امعائي الى جوفي ما عدا المعلاق الاحمر
تعسر عن الدخول فضربته بيدي ليدخل فمجرد ما ضربته
ورم وامتنع بالزايد فاخذ الجراح المعلاق وقرضه بالمقراض
والقاه وخيط الجرح وتركني مغمى علي ومضى في حاله
فبعد زمان فقت وطلبت ماء فابوا ان يسقوني
فاخذت اناء كان الى جانبي وبلت فيه فشربته ورحل
الحج الى ان اتينا الى منزل معان مقدار عشرة مراحل
او اكثر ما دخل جوفي غيره فلما حطينا في معان
طلبت طعاما فاتوني باناء فيه دبس ممزوج بالماء
ومقدار من بقسماط وفتوه في ذلك الدبس ووضعوه
بين يدي واتوني بملعقة فلم ازل اكل حتى ما ابقيت في
الاناء شيء فمجرد ما استقر في جوفي غبت عن حسي فاتوني

وحركوني

وحركوني فرأوني ميتاً وجسمي قد ورم وصار كلون
الدبس فحفروا لي في ذلك المكان ودفنوني بثيابي التي
كانت على بدني فلم ازل في الجدث ثلاثة ايام ثم ان
الاعراب قد حبسوا الحج عن المسير سبعة ايام بينما
خادم من خدم الباشا يغسل ثيابه عند قبري اذ
سمع صوتي وانا أنين فذهب الخادم واعلم الباشا
بذلك فارسل الناس يكشفوا عني فلما بدوا في الحفر
وسمعت الصوت اتاني عقلي وفتحت عيناي واذا انا
في القبر فقلت سبحان الله انا قد مت وهذان الملكان
منكر ونكير اتوا ليحاسبوني ولكن الحمد لله انا واعي على
نفسي بينما انا اراود هذا الخاطر في بالي اذ كشفوا
عني فرأوني حياً فاخرجوني فحمدت الله على ذلك وذهب
عن جسدي ذلك الورم وختم جرحي فبعد اربعة ايام
رحل الحج فما مضت ايام قلائل الا وقد عوفيت في
بدني فانظر يا اخي الى لطف الله سبحانه وتعالى وحكمته
وفرجه **وقال الشاعر**

اذا النايبات بلغن النهى ، وكادت لهن تذوب المهج
وحل البلاء وقل العزاء ، فعند التناهي يكون الفرج

وقال آخر

خف اذا اصبحت ترجوا ، وارج ان اصبحت خايف
رب مكروه مخوف ، فيه لله لطايف

وروي ان سلطان صقلية ارق ذات ليلة ومنع
النوم فارسل الى قايد البحر وقال له انفذ الآن
مركبا الى افريقية يأتوني باخبارها فعمر القايد
المركب وارسله لحينه فلما اصبحوا اذا بالمركب في
موضعه لم يبرح فقال له الملك أليس قد فعلت ما امرتك
به قال نعم امتثلت امرك فانفذت المركب فرجع بعد
ساعة وسيحدثك مقدم المركب فامر باحضاره فجاء
ومعه رجل فقال له الملك ما منعك ان تذهب حيث
امرتك قال ذهبت في المركب فبينما انا في جوف الليل
والبحارون يقذفون اذا انا بصوت يقول يا الله يا الله يا
غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته
في اسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادي
يا الله يا غياث المستغيثين فقذفنا بالمركب نحو الصوت
فلقينا هذا الرجل غريقا الى آخر رمق من الحياة فطلعنا
به المركب وسالنا عن حاله فقال كنا مقلعين من
افريقية فغرقت سفينتنا منذ ايام فاشرفت على الموت
وما زلت اصيح حتى اتاني الغوث من ناحيتكم فسبحان
من اشهر سلطانا وارقه في قصره لغريق في البحر
حتى يستخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل
وظلمة الوحشة وظلمة البحر لا اله غيره ولا معبود سواه
ولله در القايل

روح

روّح فؤادك بالضّحى ، تُرْجع إلى روح وطيب
لا تيأسنّ وإنْ ألحّ ، الدّهر من فرج قريب

وقال آخر

فرج القضاء بكفّ من ، بقضائه نزل البلاء
فاصبر فكلّ شديدة ، لا بدّ يتبعها رخاء

وقال أبو إسحاق إبراهيم المصعبي رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في المنام وهو يقول أطلق القاتل فارتعت لذلك وأمرت بالشموع ونظرت في أوراق السّجن وإذا ورقة إنسان ادّعي عليه القتل وأقرّ به فأمرت بإحضاره فلمّا رأيته وقد ارتاع قلت له إن صدقتني أطلقتك فحدّثني أنه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كلّ عظيمة وأنّ عجوزاً جاءت لهم بامرأة فلمّا صارت عندهم صاحت الله الله وغشي عليها وقالت أنشدك الله في أمري فإنّ هذه العجوز غرّتني وقالت إنّ هذه الدار فيها نساء صالحات وأنا شريفة جدّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأمّي فاطمة وأبي الحسين ابن علي فاحفظوهم فيّ فقمت دونها وناضلت عنها فاشتدّ عليّ واحد من الجماعة وقال لا بدّ منها فقتلته وخلّصت الجارية فقالت سترك الله كما سترتني وسمع الجيران الضجّة فدخلوا إلينا فوجدوا الرجل مقتولاً والسكّين بيدي فمسكوني

واتوا بي اليك وهذا هو امري فقال اسحاق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق الذي وهبتني لهما لا اعود الى معصيته وقال بعضهم

اذا ضاق امر فانتظر فرجا ، فان اعتكار الفجر يؤذن بالصبح

وحكى صاحب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام قال كان ببغداد رجل عطار من اهل الكرخ قد اشتهر بالامانة والستر فركبه دين ولزم بيته واقبل على الدعا والصلاة فلما كان ليلة جمعة صلى على عادته ودعا ونام قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول اقصد علي ابن عيسى فقد امرته ان يدفع لك اربعماية دينار فخذها واصلح بها احوالك وكان علي ستماية دينار فجيت الى الوزير فمنعت من الدخول عليه فخرج الشافعي صاحبه وكان يعرفني فاخبرته الخبر فقال الوزير في طلبك من السحر الى الان وقد سالني عنك ونسيتك فكن بمكانك ورجع فما كان باسرع من ان دعاني فدخلت على ابي الحسن علي ابن عيسى فقال ما اسمك فقلت فلان ابن فلان العطار قال من الكرخ قلت نعم قال يا هذا احسن الله جزاك في قصدك اياي فوالله ما نمت منذ البارحة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاني البارحة في منامي وامرني ان ادفع لك اربعماية دينار تصلح بها شانك فكنت اليوم نهاري في طلبك وما

عرفاك

عرفك احد فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني
البارحة في منامي وقال لي كيت وكيت قال فبكى علي
بن عيسى وقال ارجو ان يكون هذه عناية منه صلى الله عليه
وسلم بي ثم قال هاتوا الف دينار فجاوا بها فقال خذ
اربعماية دينار امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم
وستماية مني هبة لك فقال ايها الوزير ما احب ان
ازداد على عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني ارجو
البركة فيه لا فيما عداه قال فبكى الوزير وقال هذا هو
اليقين خذ ما بدا لك فاخذت الاربعماية دينار
وانصرفت فقصصت قصتي على صديق لي واريته
الدنانير وسالته ان يقصد غرماي ويخبرهم ويتوسط
بيني وبينهم ففعل فقالوا نوخره بالمال ثلاث سنين
فليفتح دكانه فقلت لا بل ياخذون الثلث وفي كل سنة
الثلث فاعطيتهم مايتي دينار وفتحت دكاني
وادرته بالمايتين الباقية فما حال عني الحول الا ومعي
الف دينار فقضيت ديني كله وزاد مالي وصلح حالي
وحكى المعافي في كتابه الجليس الانيس عن احمد
بن الخصيب قبل وزارته قال كنت كاتبا للسيدة شجاع
ام المتوكل فاني ذات يوم في ديواني اذ خرج لي خادم
من الخاصة ومعه كيس فقال ان السيدة تقريك
السلام وتقول لك هذه الف دينار من طيب مالي

خذها وادفعها الى قوم مستحقين تكتب اسماهم
وانسابهم ومنازلهم فكلما جاءنا شي من هذه الناحية صرفنا
اليهم فاخذت الكيس وسرت الى منزلي ووجهت خلف
من اثق به وسالتهم ان يسموا لي من يعرفون من اهل
الستر والحاجة فسموا لي جماعة ففرقت فيهم ثلاثمائة
دينار وجاء الليل والمال بين يدي لا اصيب له مستحقا
وانا افكر في سر من رأى مع عظمتها وسعتها اذ لم
اجد لها مستحقا وبين يدي بعض حرمي وقد مضى صدر
من الليل وغلقت الدروب وطاف العسس وانا جالس مفكر
اذ سمعت باب الدرب يدق فقلت لبعض من بين يدي
اعرف الخبر فعاد الي فقال لي بالباب فلان بن فلان
العلوي يسال الاذن فقلت ايذن له وقلت لمن بين يدي
من الحرم كونوا وراء هذا الستر فما قصدنا في هذا الوقت
الا لحاجة فدخل وسلم وجلس وقال لي طرقني هذا الوقت
طارق من ابنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله ما
عندنا ولا اعددنا ما يعد الناس وليس في جواري من اقرع
اليه غيرك فدفعت له من الدنانير دينارا فشكر وانصرف
وخرجت ربة المنزل فقالت يا هذا تدفع اليك السلطان
الف دينار تدفعها الى مستحق هل تجد احق من ابن
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما شكاه اليك فقلت
وكيف الحال قالت تدفع الكيس اليه فقلت يا غلام رده

فردّه ودفعت له الكيس فشكر وولى فلما ذهب جاء ابليس
فقال لي المتوكل مع انحرافه من آل هذا البيت تدفع اليك
والدته الف دينار تدفعها لمحقّين تكتب اسماهم وانسابهم
فباي شيء تحتج وقد دفعت لعلوي سبعماية دينار فقلت
لرّبة المنزل اوقعتيني فيما اكره اما سبعماية دينار او زوال
النّعمة وعرّفتها بما عندي فقالت اتّكل على جدّهم وما
زالت بي حتّى اطمانيت وقمت الي فراشي فما اشتغلت
نوما الا وصوت الباب يدق فقلت لمن عندي من الخدم
انظر لخبر فمضى وعاد وقال رسول السيّدة يامرك
بالرّكوب اليها في هذه السّاعة فما خرجت الى صحن الدار
الا ورسول ثان وثالث فنظرت في اللّيل فاذا هو بحالته
فقلت لهم حتّى يمضي اللّيل فقالوا لا بدّ من الرّكوب
فركبت فلم اصل الي الجوسق الا وانا في موكب من الرّسل
فدخلت الدار فاخذني خادم فادخلني الى المحل الّذي كنت
اصل اليه ثمّ خرج آخر فاخذ بيدي وقال يا احمد انّك
تكلّم السيدة ام امير المومنين فلا تكلّم حتي تسئل فوقفت
خلف الستور فصاح بي صايح يا احمد قلت لبّيك
فقالت حساب الف دينار وسبعماية دينار وبكت
فقلت في نفسي لرّجل اخذ المال ومضى فتح الدكاكين
واشتري حوايجه فكتب اصحاب الاخبار الى المتوكّل
فامر بقتلي ثم قالت يا احمد حساب الف دينار او

سبعماية دينار ثم بكت فعلت كذلك ثلاث مرات ثم سالتني
الخبر فقصصتها قصة العلوي فبكت وقالت يا احمد
جزاك الله خيرا وجزي من في منزلك خيرا اتدري
ما كان خبري الليلة فقلت لا فقالت اني كنت نايمة
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي جزاك الله
خيرا وجزي احمد بن الخصيب ومن في منزله خيرا فقد
فرجتم الليلة عن ثلاثة من ولدي ما كان لهم شي خذ
هذا الحلي وهذه الثياب والدنانير وادفعها الى العلوي
وقال له نحن نصرف لك كلما جاءنا من هذه الجهة وخذ
هذا الحلي وهذه الثياب والدنانير فادفعها لزوجتك
وقال جزاك الله خيرا وهذه دلالتك وخذ هذا لك يا احمد
فدفعت لي مالا وثيابا وخرجت يحمل كله بين يدي
وكان طريقي على باب العلوي فقلت ابدا به فدققت
الباب فقيل لي من هذا فقلت احمد فخرج العلوي
فقال يا احمد هات ما معك فقلت ومن اعلمك به
فقال اعلم اني لما انصرفت من عندك ودخلت على
ابنة عمي ودفعت اليها المال ففرحت وقالت
لا تشتري شيئا ولا ناكل شيئا ولكن قم فصل وادع
حتى اومن على دعائك فقمت فصليت ودعوت وامنت
ووضعت راسي ونمت فرايت جدي عليه الصلاة
والسلام في النوم وهو يقول لي قد شكرتهم على ما

كان منهم وهم بازوك بشيء فاقبل فدفعت اليه ما
كان معي وانصرفت فرايت ربة المنزل قايمة
تصلي فلما راتني خرجت الي وسالتني عن الخبر
فاخبرتها فقالت المرا قال لك اتكل على جدهم كيف رايت
ما فعل ثم دفعت لها ما كان لها فاخذته

وقال رجل من قريش

المر تان ربلع ليس تحصي ، اياديه الحديثه والقديمه
تسلّ عن الهموم فليس شي ، يقيم ولا همومك بالمقيمه
لعل الله ينظر بعد هذا ، اليك بنظرة منه رحيمه

وقال علي بن جبله

عسى فرج يكون عسى ، تعلل نفسنا نعسا
فلا تقنط وان لاقيت ، هما يقبض النفسا
فاقرب ما يكون الامر ، من فرج اذا ييسا

وقال آخر

اصبر قليلا فبعد العسر تيسير ، وكل شي له وقت وتقدير
وللمهيمن في احوالنا نظر ، وفوق تدبيرنا الله تدبير

وحكى التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة قال
حدثني طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد قال حدثني
ابو علي اسماعيل قال حدثني ابو حسان الزيادي
قال اضقت اضاقة بلغت منها الى الغاية حتى الح
علي القصاب والبقال والخباز وساير المعاملين

الحسن عبد الواحد بن محمد قال حدثني ابو

ولم يبق لي حيلة فاني ليوم من الايام على تلك الحال
وانا مفكر فيما احتال وكيف اعمل اذ دخل علي
غلامي فقال لي حاجي بالباب يستاذن فقلت ايذن
له فدخل رجل خراساني فسلم وقال الست ابو حسان
قلت بلى فما حاجتك فقال انا رجل غريب واريد الحج
ومعي جملة مال وهو بدرة وقد احضرته وانا محتاج
ان يكون قبلك الى ان اقضي حجي وارجع فاخذه اذ كنت
غريبا بهذه البلد ولا اعرف احد من اهلها فقلت هات
البدرة فاحضرها بعد ان وزنها وختمها فلما خرج
فككت ختمها عن المكان ثم احضرت المعاملين
فقضيت كل من كان له عندي دين واتسعت وقلت
اضمن هذا المال للخراساني فالى ان يعود ياتي الله بفرج
من عنده فاقمت يومي في سعة وانا لا اشك في خروج
الخراساني للحج فاصبحت غد ذلك اليوم دخل علي غلامي
فقال الخراساني الذي كان امس عندك بالباب
يستاذن فقلت ائذن له فدخل فقال اني كنت عازما
على ما اعلمتك به وقد ورد علي خبر وفاة والدي
فتامر لي بالمال الذي اودعتك امس فورد علي امر لم
يرد علي مثله قط وتحيرت في الجواب وقلت ماذا اقول
للرجال ان جحدته استحلفني فكانت الفضيحة في الدنيا
والاخرة وان انكرت صاح وهتكني فقلت له انت

منزلي

منزلي هذا ليس بالحريز وانني وجهت بمالك الى من هو احفظ
له فتعود لي في غد فتاخذه فانصرف وبقيت متحيرا لا ادري
ما اعمل وغلظ علي الامر فادركني الليل وانا مفكر في بكور
الخراساني فلم ياخذني نوم فقمت الى الغلام وقلت له
اسرج البغلة فقال يا مولاي الى اين تمضي وقد مضى من
الليل جزؤ وجعل يدافعني ثلاث مرات وانا لا ياخذني
قرار ثم اسرج البغلة وركبت وانا لا اعرف اين اتوجه
ثم طرحت عنانها واقبلت افكر وهي تسير حتى بلغت الجسر
فعدلت اليه فتركتها فعبرته فقلت الى اين اعبر وان رجعت
وجدت الخراساني على بابي ولكن ادعها تمشي حيث شاءت
فمضت على الجسر فلما قطعته اخذت عنه الى دار المامون
فتركتها تمضي فلم ازل الى ان قربت من دار المامون
فاستقبلني موكب عظيم فيه من الشموع والنفاطات
ما اضاء منه المكان فطلبت زقاقا استخفي فيه حتى
يمر الموكب فلم اجد فاذا برجل من بين الموكب يقول ابا
حسان فقلت نعم وتاملته فاذا هو دينار بن عبد الله
فسلمت عليه فقال اليك جيت امرني امير المومنين
الساعة بالركوب اليك بنفسي ثم حملني الى المامون
فوجدته جالسا والشموع تزهر بين يديه قال لي من
انت قلت رجل من اصحاب ابي يوسف القاضي من الفقها
فقال باي شي تكنى قلت بابي حسان فقال بماذا تعرف

فلما وقفت بين يديه

قلت بالزيادي ولست منهم انما سكنت بينهم فنسبت
اليهم فقال ما قصتك فشرحت له خبري قال فبكى بكاءً
شديداً وقال ويحك ما تركني رسول الله صلى الله عليه وسلم
انام الليلة بسببك اتاني في اول الليل فقال اغث ابا حسان
الزيادي فانتبهت ولم اعرف واعتقدت السؤال عنك
واثبت اسمك ونسبك ونمت فاتاني وقال ويحك
اغث ابا حسان فما تجاسرت على النوم حياءً من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا ساهر من ذلك الوقت وقد بعثت
في طلبك ثم اعطاني عشرة آلاف درهم وقال هذه
للخراساني واعطاني عشرة آلاف درهم اخرى وقال هذه
لك اتسع بها واصلح امرك واشتر مركباً وداراً
حسنة وعبداً يمشي بين يديك ثم اعطاني ثلاثين
الف درهم وقال لي جهز بناتك بهذه وزوجهن فاذا
كان يوم الموكب ائتني لاقلدك عملاً واحسن اليك
قال فخرجت والمال محمولاً معي حتى جئت مسجدي
فصليت الغداة والتفت فاذا بالخراساني فادخلته
البيت واخرجت له البدرة فقال هي غير مالي فقلت له
نعم فقال ما سبب ذلك فقصصت عليه القصة
فقال والله لو صدقتني في اول الامر عن خبرك ما
طالبتك بها واما الان فوالله لا ادخل على مالي شيء
من هو لاي انت منه في حل وقام فانصرف فاصلحت امري

وبكرت

وبكرت يوم الموكب الى دار المأمون فدخلت عليه وهو جالس جلوسا عاما فلما راني اشتد ناني واخرج عهدا من تحت مصلاه وقال هذا عهدك عن قضا المدينة الشرقية من الجانب الغربي من مدينة السلام وقد اجريت عليك كذا وكذا في كل شهر فاتق الله تدوم لك عنايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعجب الناس من كلامه وسالوني معناه فاخبرتهم الخبر فاستبشروا وما زال ابو حسان قاضي الشرقية الى ان مات في اخر ايام المامون رحمه الله تعالى

ولله در القايل

سهل على نفسك الامورا ، وكن على مرها صبورا
فان المت صروف دهر ، فلا تكن عندها ضجورا
فكم راينا اخا هموم ، اعقب من بعدها سرورا
ورب عسر اتى بيسر ، فصار معسوره يسيرا

وقال ابو الفرج المخزومي

كل الامور الى من ، به تتم الامور
فكل صعب عسير ، عليه سهل يسير

وقال امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه

لا يكرم المكروم عند نزوله ، ان المكارم لم تزل متباينه
كم من نعمة لا يستقل بشكرها ، لله في جنب المكارم كامنه

وروي ان معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه

استدعى الحسن بن علي رضي الله عنهما ودعا ببساط
فوضعها بين يديه فلما دخل الحسن بن علي رضي الله
عنهما رحب بالبساط ومد يده اليه وقال مرحبا
بشاب سيد قريش واعطاه عشرة الاف درهم وقال
استعن بها على زمانك فلما خرج تبعه الحاجب فقال
له يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخدم هذا
السلطان ولسنا نامن بادرته وقد رايتك تحرك شفتيك
بشيء فما هو فقال له اعلمك على ان لا يعلم احد من آل معاويه
قال نعم قال اذا وقعت في شدة او مكروه او خفت
من سلطان فقل لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا
الله الكبير المتعال سبحان الله رب السموات السبع
ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين اللهم
جل ثناؤك وعز جارك ولا اله غيرك اللهم اني
اعوذ بك من شر فلان واتباعه واشياعه من الجن
والانس ان يفرطوا علي او يبغوا وروي الحسن
البصري رضي الله عنه ان عبد الله بن جعفر رضي
الله عنه لما اراد ان يهدي ابنته الى زوجها خلا بها
فقال اما اذا نزل بك امر قطيع من امور الدنيا والموت
فاستقبليه بان تقولي دعاء الكرب وهو لا اله الا
الله الحليم الكريم، لا اله الا الله رب العرش العظيم،
والحمد لله رب العالمين وقال الحسن رضي الله

عنه

عنه فبعث الى الحجاج فقلتهن فلما مثلت بين يديه
قال لقد بعثت اليك وانا اريد قتلك والساعة ما
من احد اكرم علي منك فسل حوايجك وروي ان
ملك الموت على نبينا وعليه السلام استاذن ربه
عز وجل ان يسلم على يعقوب عليه السلام فاذن
له فاتاه ملك الموت فسلم عليه فقال له يعقوب
بالذي خلقك اقبضت روح يوسف قال لا ولكني
اعلمك كلمات لا تسأل الله بها شيئا الا اعطاك
قال ما هي قال قل يا ذا المعروف الذي لا ينقطع ابدا
ولا يحصيه غيره فقالها فما طلع الفجر من غد هي
حتى اتاه البشير بالقميص وروي ان جبريل
على نبينا وعليه السلام نزل على يعقوب على نبينا
وعليه السلام فشكا اليه يعقوب ما هو عليه من
الشوق الى يوسف عليه السلام فقال له الا اعلمك
دعا اذا دعوت به فرج الله عنك قال بلى قال قل يا
من لا يعلم كيف هو الا هو يا من لا يبلغ قدرته الا هو
فرج عني فقالها فاتاه البشير بالقميص وقال
الحسن بن الحسن رضي الله عنهما لو عري من البلا احد
لعري منه آل يعقوب على نبينا وعليه السلام حاشهم
البلا ثمانين سنة فهبط الامين جبريل على يعقوب
عليهما السلام فقال له يا يعقوب تملق لربك قال

يا جبريل كيف أقول قال قال يا كثير الخير يا دايم المعروف
فقالها فاوحى الله تبارك وتعالى اليه لقد دعوتني
بدعا لو كان ابناك ميتين لانشرتهما لك وروي
انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان ليعقوب اخ مواخ في الله تعالى فقال ليعقوب
عليه السلام يا يعقوب ما الذي اذهب بصرك
وقوس ظهرك فقال اما الذي اذهب بصري فالبكا
على يوسف واما الذي قوس ظهري فالحزن على ابني
بنيامين فاوحى الله تبارك وتعالى يا يعقوب اما
تستحي تشكوني الى عبدي قال انما اشكو بثي وحزني
الى الله ثم قال يا راحم الشيخ الكبير اذهبت بصري
وقوست ظهري اردد علي ريحانتي يوسف اشمه
ثم افعل بي ما شئت فنزل جبريل عليه السلام وقال
ان ربك يقريك السلام ويقول لك ابشر وليفرح
قلبك فوعزتي وجلالي لو كانا ميتين لانشرتهما لك
فاصنع طعاما للمساكين وادعهم اليه فان احب
عبادي الي الانبيا والمساكين وان الذي ذهب
ببصرك وقوس ظهرك وصنع اخوة يوسف ليوسف
ما صنعوا انكم ذبحتم شاة فاتاكم رجل صايم فلم
تطعموه فكان يعقوب عليه السلام بعد ذلك
اذا اراد الغذا امر مناديه فينادي من كان يريد

الغذا

الغدا من المساكين فليتغدّ مع يعقوب فاذا كان صايماً
امر منادياً ينادي من كان صايماً من المساكين فليفطر
مع يعقوب على نبيّنا وعليه السلام وروي ان
جبريل اتى يوسف عليهما السلام فقال له يا
يوسف اشتدّ عليك الحبس قال نعم قال قل اللهمّ
اجعل لي من كلّ ما همّني واحزنني من امر دنياي
وآخرتي فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث لا احتسب
واغفر لي ذنوبي وثبّت رجاك في قلبي واقطعه
ممّن سواك حتى لا ارجوا احداً غيرك وقال
ولما اشتدّ كرب يوسف عليه السلام وطال سجنه
واتّسخت اثوابه وشعث راسه وجفاه النّاس
دعا بهذا الدّعا اللهمّ انّي اشكو اليك ما لقيت
من ودّي وعدوّي اما ودّي فباعوني واما عدوّي
فحبسني اللهمّ اجعل لي فرجاً ومخرجاً فاعطاه الله
تعالى ذلك وقيل انصرف يحيى بن خالد البرمكي
من عند الهادي وقد ناظره في تسهيل خلع العهد
على هارون فحلف يحيى انّه قد فعل وجهد فيه فامتنع
عليه هارون فقال له الهادي كذبت هذا من فعالك
والله لاصنعنّ بك وتوعده بكل عظيمة وصرفه
فجاء الى بيته وكلّم بعض غلمانه فاجابه بما غاظه
فلطمه يحيى فانفضت حلقة خاتمه وطاح الفصّ

فاشتدّ على يحيى وتطيّر منه واغتمّ ودخل عليه
السّاري الشاعر وقد اخبر بالقصّة **فانشد**
اخلاك من كل الهموم سقوطه، واتاك بالفرج انفراج الخاتم
قد كان ضاق ففكّ حلقة ضيقه، فاصبر فما ضيق الزّمان بدايم
قال فاعطاه مائة الف درهم وانصرف **وحكي** لمّا
خرج طاهر بن الحسين عفى الله عنه الى محاربة عيسى
ابن ماهان جعل ذات يوم في كمّه دراهم يفرّقها في
الفقرا ثمّ سهي عنها فارسلها فتبدّدت فتطيّر
بذلك واغتمّ غمّاً شديداً حتّى تبيّن في وجهه وكان
في عسكره شاعر فانشد **شعر**
هذا تفرّق جمعهم لا غيره، وذهابه منكم ذهاب الهمّ
شيء يكون الهمّ بعض حروفه، لا خير في امساكه في الكمّ

الباب الثالث والعشرون في حقوق السّلطان على الوزير في كلّ شان

قال الله عزّ وجلّ اخباراً عن موسى عليه السّلام واجعل
لي وزيراً من اهلي هارون اخي اشدد به ازري
واشركه في امري **وروي** عن النبيّ صلّى الله عليه
وسلّم انّه قال ما من احد اعظم اجراً من وزير صالح
يكون مع امام عادل يطيعه فيا مريذات الله
وقالت الحكما اعرف الملوك يحتاج الى الوزير،
واشجع الرّجال يحتاج الى السّلاح، واجود الخيل
يحتاج الى السّوط، واحدّ الشفار يحتاج الى المسن،

وقالوا صلاح الدنيا بصلاح الملوك، وصلاح الملوك
بصلاح الوزرا، ولا يصلح الملك الا باهله، ولا تصلح
الوزارة الا لمستحقها وقالوا افضل عدد الملوك
صلاح الوزراء الكفاة لان في صلاحهم صلاح
قلوب عوامهم لهم وقال بعض الحكما خير الوزرا
اصلحهم للرعية واصدقهم نية في النصيحة واشدهم
ذبا عن المملكة، واسدهم بصيرة في الطاعة،
واخذهم لحقوق الرعية من نفسه وسلطانه وقال
بعض الحكما الوزير الخير لا يرى ان صلاحه
في نفسه وسلطانه كاين صلاحا حتى يتصل بصلاح
الملك ورعيته وتكون عنايته فيما عطف الملك
على عامته وفيما استعطف قلوب العامة على
الطاعة لملكه وفيما قوام الملك والمملكة من تدبير
حتى يجمع الى اخذ الحق وتقديمه عموم الامن والسلامة
ويجمع الى صلاح الملك صلاح اتباعه واذا تطرقت
الحوادث ودهمت العظايم كان للملك عدة وعتادا
وللرعية كافيا محتاطا ومن ورايها ذابا ناصرا
يعينه في صلاحها ما لا يعينه من صلاح نفسه
دونها ومن حقوق السلطان على وزيره فهي ثلاثة
احدها قيامه بمصالح ملكه وهي اربع عمارة بلاده،
وتقويم اجناده، وتثمير امواله، وحياطة رعيته،

الثاني قيامه بمصالح نفسه وهي أربع أدرار كفايته،
وتحمل عوارضه، وتهذيب حاشيته، وإعداد ما يستدفع
به النوايب الثالث قيامه بمقاومة أعدائه وذلك
بأربعة أشيا تحصين الثغور، واستكمال العدة، وترتيب
العساكر، وتقرير الحدود، فيجب على الوزير أن يؤدي حقوق
سلطانه، ويوف شروط ائتمانه، ويحذر بادرة مواخذته
أن قصر، وسطوة انتقامه أن فرط، لأن بادرة الانتقام
أسرع من ظهور الانعام وقد قيل في حكم الفرس
ما أضعف طمع صاحب السلطان في السلامة، وذلك
أنه أن عف جنا عليه العفاف عداوة الخاصة،
وأن بسط يده جنا عليه البسط ألسنة المتنصحين
فلزم لذلك أن يكون حذره أغلب من رجائه، وخوفه
أكثر من أمنه ولئن تكدر بهما العيش فهما إلى السلامة
أدعى ومن حقوق السلطان على الوزير أن يدفع عن
رعيته من خوف واختلال فالخوف من نتايج الحيف،
والاختلال من نتايج الإهمال، وكلاهما من سوء
السيرة وفساد السياسة وهم قوام الملك المستمد
وذخيرة المستعد، وليس يستقيم ولن يستقيم ملك
فسدت فيه أحوال الرعايا، لأنه منهم بمنزلة الرأس
من الجسد لا ينهض إلا بقوته، ولا يستقل إلا بمعونته
وعلى الوزير لهم ثلاث حقوق احدها أن يعينهم على

صلاح

222

صلاح معايشهم ووفور مكاسبهم لتتوفر بهم مواده
وتعمر بهم بلاده، والثاني ان يقتصر منهم على حقوقه
ويحملهم فيها على انصافه ليكونوا على الاستكثار
احرص، وفي الطاعة اخلص، ولا يكلفهم في مقادير
الحقوق الى غيره ليكونوا له ارجا وعليه احنا والثالث
ان يحوطهم بكف الاذا عنهم ومنع الايدي الغالبة
منهم ليكون لهم كالاب الرؤف ويكونوا له
كالاولاد البررة، فانه كافل مسترعا ومسئول مواخذ
ولله عليه فيهم حق وللسلطان عليه منهم تبعة
فليغتنم الوزير لهم شكر احسانه، ويحمل بعدله
فيهم اثار سلطانه ومن حقوق السلطان
على الوزير ان يدبر امور اجناده فلا يستغني الوزير
عن تقليد سفير فيه وان كانوا يلاقونه ليحفظ
بالسفير حشمة وزارته ولا يقف اغراض اجناده
وقد انضاان عن لفظ كلامهم وجفوة طباعهم
والاغلب على تدبيرهم الراي والسياسة فيعتبر
هذا المختار لهذا التقليد ستة شروط احدها
الهيبة التي تقودهم الى طاعته لانه يقوم بتدبير
ذوي سطوة فيحتاج الى قوة لهيبته، والثاني ان
يكون من ذوي الراي والسياسة ليقودهم برايه
الى الصواب ويقفهم بسياسته على الاستقامة

والثالث ان يكون متواصلاً الى استعطاف القلوب
واجتماع الكلمة ليسلموا من اختلاف اومنافقة، والرابع
ان يكون بينه وبين الاجناد مناسبة في الطباع ومشاكلة
في الاخلاق يمتزجون في الموافقة ويختلفون في المباينة
والخامس ان يكون سليم القلب سليم الباطن صحيح
المعتقد لانه يصير اخص بهم ويصيرون اطوع له
والسادس ما اختلف باختلاف الحال فان كان في زمان
السلم اعتبر فيه الاناءة والسكون وان كان في زمان
الحرب اعتبر فيه الاقدام والسطوة ليكون مطبوعاً على ما
يضاهي حال زمانه فاذ ظفر من استكملها وبعيد ان يظفر
به الا ان يعان بالتوفيق وجب تقليده ولزمت مناصفته
في الحقوق التي له وعليه ليدوم ويستقيم فقد قيل
في منثور الحكم من قضيت واجبه امنت جانبه
ومن حقوق السلطان على الوزير ان يحفظ الاموال
ويجتهد في جمعها فالوزير يصان عن مباشرتها وانما
يحفظ دخلها بالهيبة والاستظهار، ويضبط خرجها
بالحاجة والاضطرار، وللتقليد على كل واحد منهما
شروط فاما شروط التقليد على مباشرة دخلها فخمسة
شروط احدها ان يكون مطبوعاً على العدل لينصف
وينتصف، والثاني ان يكون متديناً بالامانة ليستوفي
ويوفي، والثالث ان يكون كافياً ليضبط بكفايته

ولا يضيع بعجزه، والرابع أن يكون خبيراً بعمله يعرف
وجوه مواده وأسباب زيادته والخامس أن يكون
رفيقاً بمعاملته غير عسوف ولا خرق وحكي أن
الإسكندر كتب إلى معلمه يستشيره في عماله فكتب
إليه أن من كان له عبيد فأحسن سياستهم فوله
الجند ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فوله
الخراج ووصف عمر بن عبد العزيز زياداً فقال
كان يجمع جمع الذرّة، ويحنو حنو الأم البرّة، وهذه
أحسن سيرة العامل والطف حالة العامل يحظى به
من ولاه ويسعد به من ولي عليه وبمثلها يعم الصلاح
وتتم الاستقامة وأما شروط التقليد على مباشرة
خروجها بعد الأمانة التي هي مشروطة في كل ولاية
فمعتبرة بأحوال الخرج وتنقسم ثلاثة أقسام أحدها
ما كان داتباً عن رسوم مستقرة كأرزاق الجيوش
فللتقليد عليه شرطان معرفة مقاديرها ومعرفة
مستحقيها، والقسم الثاني ما كان عارضاً عن
أمور تقدمتها والناظر مأمور بها كالصلات
وحوادث النفقات فللتقليد عليه شرطان وقوفها
على الأوامر، ومعرفة أغراض الأمر، والقسم الثالث
ما كان عارضاً فوض إلى رأي الناظر ووكل إلى
تقديره، كالمصالح والنفقات والتقليد عليه أو في

شروطها لوقوفها على اجتهاده، وتقديره فيحتاج مع
الامانة الى ثلاثة شروط احدها معرفة وجوه الخراج
حتى لا يصرف في غير حق والثاني الاقتصاد فيه حتى
لا يفضي الى سرف ولا تقصير، والثالث استصلاح
الاثمان والاجود في غير تحيف ولا غبن ومن حقوق
السلطان على الوزير ان يمده برايه وينصحه ولا يغشه
فان الملك مع جزالة رايه، وصحة رويته محجوب
الشخص عن مباشرة الامور، فصار محجوب الراي
عن الخبرة بها فاحتاج الى بارز الشخص بالمباشرة ليكون
بارز الراي بالخبرة فليس الشاهد كالغايب، ولا الخبر
كالمعاين ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ليس الخبر كالمعاينة، والوزير اخص بهذه المرتبة
فكان احق بالراي والمشورة فللوزير في المشورة حالتان
احديهما ان يبتديه الملك بالاستشارة فيلزمه ان
يستشير برايه فيها سوا اختصت بملكه او تعدته
الى غيره وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ربما
اخطا البصير قصده، واصاب الاعمى رشده، وعلى
الوزير فيها حقان احدهما اجتهاد رايه في ايضاح
الصواب، والثاني ابانة صحته بتقليل الجواب،
ليكن محتجا فيكفي توهم الزلل ويسلم من ظنة الارتياب
والحال الثانية ان يبتدي الوزير بالمشورة على الملك

فله

فله فيها حالتان احديهما ان لا يتعلق بمشورته اجتلاب
نفع، ولا استدفاع ضرر، فهذا يجوز من الوزير، وتبسط
على الملك ان انكره فبحقه، وان احتمله فبفضله، فقد قيل
كثرة النصح يهجم على سوء الظن، والثانية ان لا
يتعلق بمشورته اجتلاب نفع واستدفاع ضرر فان
اختص بالمملكة كان من حقوق الوزارة، وان جاوزها
كان من نصح الوزير، وعليه ان يذكر سبب ابتدائه،
ويوضح صواب رايه، واذا استقر لا حزم على ما اقتضاه
الراي لزمه فيما يؤدي به من الاستشارة ويبدي به من
المشورة ان يكتمه عن كل خاص وعام لامرين احدهما
ان الراي يجب ان يظهر بالافعال دون الاقوال، لان
ظهوره بالفعل ضرر، وظهوره بالقول خطر، والثاني
انه من اسرار الملك الذي يجب ان يكتم في الصدور ويصان
في الظهور للجمع بين تادية الامانة، وطلب السلامة،
فان من افشا اسرار الملك خطر به ومن افشاها وقد
قيل كشف الاسرار، من شيم الاشرار، فلذلك قيل الواقية
خير من الراقية، ولقل ما تعفو الملوك عمن يفشي اسرارها
لتردده بين خيانة وجناية، واحسن احواله فيها ان
سلم ان يقضي فيدل او يخفي فيقال وقد قيل في اسفار
بني اسرائيل لسان الجاهل وقلبه واحد قيل في
منثور الحكم لسان الجاهل مفتاح حتفه

وقد قيل من وهن امرا اعلانه
قبل احكامه

وقد يسعد بكتم أسرارهم من تعدّى عن غيره من الفضائل
وتجرّد عمّا سواه من الوسائل، لأنه قد صار خازناً
لأهل الذخائر، ومؤتمناً على أنفس الودائع، فإذا سلم
من الإذلال بها فليترك الإقدام عند الملوك بمثل
الإذلال، ولقلّ مدلّ سلم من ذلّ، ولأن تزداد انقباضاً
إذا انبسط فتزداد إكراماً أولى بذي الحصافة من ضدّها
وقد قيل من بسطه الإذلال، قبضه الإذلال وقد
قيل في منثور الحكم إذا زادك الملك تأنيساً
فزده إجلالاً ومن حقوق السلطان على الوزير أن
يكون عيناً للملك ناظرة، وأذناً سامعة، ينهي ما شاهد
على حقّه، ويخبر بما سمع على صدقه، لأنه قد سوهم
بالملك وميّز بالاختصاص وندب للمصالح، فلزم أن
تخصّص بمصالح الملك فيقوم مقامه في مشاهدة
ما غاب، وسماع ما بعد لتقدّمه على من سواه، وعليه
في ذلك ثلاثة حقوق أحدها أن يديم الفحص عن أحوال
المملكة حتى يعلم ما غاب كعلمه بالحاضر
ويعلم ما خفي كعلمه بالظاهر فلا يتدلّس عليه حق
أمر من باطله، ولا يشتبه عليه صدق قول من كذبه،
فقد قيل الحق أبلج، والباطل لجلج، فإن قصّر فيها حتى
خفيت، واسترسل فيها حتى تدلّست، كان مؤاخذاً
بجرم التقصير، وجريرة الضرر، والثاني أن لا يعجل

مطالعة

مطالعة الملك بها ولا يؤخرها وان جاز تاخير العمل
بها لان عليه الانها وليس عليه العمل وقد قيل
في حكمة آل داود عليه السلام الذي يكتم جهله،
خير من الذي يكتم حكمته، واذا كان منه بمنزلة
عين الناظر، واذنه السامعة، التي يتجلى العلم
بها، وجب ان يجري معه على حكمها ليسترك
الملك ما يجب تعجيله، ويقدم الروية فيما يجوز
تاخيره، فان اخر الوزير اعلام الملك بها وقد حسم ضررها
كان للنصيحة مؤديا ومن الملك على وجل، ومن هذا
الوجه خالف وزير التفويض في قيامه بتدبيرها
دون المطالعة بها لان ذلك مقصور على الانها وذلك
مندوب للعمل، والثالث يوضح له حقايق الامور
ويساوي فيما بين الصغير والكبير، ولا يمايل قريبا،
ولا يحيف بعيدا، ولا يعظم من الامور صغيرا،
ولا يصغر منها عظيما، فان من خاف من صغار الامور،
ان تصير كبارا، او من كبارها ان يعود صغارا، اخبر
بحقايقها في المبادي مخبرا، وفي الغايات مشيرا،
فان اخبر بالغايات واعرض عن ذكر المبادي كان
تدليسا لخبره بمشورته فلم يؤد الامانة في خبره وان
لم يكن في مناصحته فكان بالانكار حقيقا وبالذم جديرا
ومن حقوق السلطان على الوزير ان يفتدي راحة

الملك بتعبه، ويقي دعته بنصبه، ولا يغيب إذا
أريد، ولا يسأم إذا أعيد، لأن لسان الملك إذا نطق
وعينه إذا رمق، ويده إذا بطش، فلا يبعد عن دعائه
ولا يضجر من ندائه، لأن عوارض الملك من هواجس
أفكاره، وتقلب خاطره، وقد يتجدد مع الأوقات ما لا
يعرف أسبابه، ولا يتعين أوقاته، فليكن على رصد
منها حتى لا تقف به أغراض الملك فيفضي إلى نفور
أو ضجر، وهو من كل واحد منهما على خطر، لأنه
قد يؤاخذ بالجرم قبل ظهورها، ويعاقب على الصغيرة
مثل كبيرها، إذا حكم بالهوى ووثب بالقدرة ومن هذا
الوجه خالف وزير التفويض الذي يجوز أن يتأخر بمباشرة
الأمور عن مواصلة الحضور، وهذا الوزير مقصور على
الحضور دون العمل فصار هذا أكثر ثقلاً وذلك أكثر
عملاً، وربما مل الملازمة فأعقبته أسفاً إذا فارقها
لأن في ملازمته للملك نصباً يقترن بعز، وفي
متاركته راحة تؤول إلى ذل، وما هما في التباين
بقريب فليختر لنفسه ما وافقها من عز يجتذبه
بالكد أو ذل يؤول إليه بالدعة فإنه إن صبر على
عادة الملك ظفر بإرادته من الملك وهو على الضد
إن خالفها، وقد قال أنوشروان ما استنجحت الأمور
بمثل الصبر، ولا اكتسب البغضاء بمثل الكبر، وقد

قيل

قيل من خدم السلطان، خدمه الاخوان، فاطرد على
هذا التعليل ان من تنكر له السلطان تنكر له الاخوان
لانه متبوع على تحكمه، ومساعد على توهمه اعلم
ايها الوزير امدك الله بتوفيقه، واهداك الى اقوم
طريقه يجب عليك ان تحذر في الدنيا من اربعة
اوجه احدها الحذر من الله تعالى فيما فرض، والثاني
الحذر من السلطان فيما عرض، والثالث الحذر
من الزمان فيما اعترض، والرابع الحذر من غلبة الاعداء
وسعي الدهاة، فاما الحذر من الله تعالى فهو عماد الدين
الباعث على الطاعة، والحذر منه هو الوقوف على اوامره
والانتهاء عن زواجره، ويعمل بطاعته فيما امر، وينتهي
عن معصيته فيما خطر، فلن ترى قليل الحذر الا متجوزا
في دينه، لا يرى رشدا في العاجل، وهو على وعيد في
الاجل، مع نفور النفس منه، وسراية الذم فيه وقد
قيل في بعض الصحف الاولى العزة والقوة يعظمان
القلب وافضل منهما خوف الله تعالى لان من لم
تردعه خشية الله لم يخف الوضيعة ولم يحتج الى
ناصر وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من حاول
امرا بمعصية الله كان ابعد لمن رجا واقرب لمجيء ما
اتقى وقال بعض الحكما خير الاخلاق اعونها على الورع
وقال بعض السلف انما لك من دنياك ما اصلحت

به مثواك وأما الحذر من السلطان فهو وثاب
بقدرته، متحكم بسطوته، يميل به الهوى فيقطع بالظن
ويواخذ بالارتياب، فالثقة به عجز، والاسترسال
معه خطر ولله در القايل

ومصاحب السلطان مثل سفينة، في البحر ترعد دايماً من خوفه
اذا دخلت من مايها في جوفها، ادخلها وماءها في جوفه

وقال آخر

اذا صحبت الملوك فالبس، من التوقي اجل ملبس
وادخل اذا ما دخلت اعمى، واخرج اذا ما خرجت اخرس

وقد قيل ثلاثة لا امان لهم السلطان، والبحر،
والزمان وقيل اذا تغير السلطان تغير الزمان
والحذر فيه في حالتي الرضى والسخط اسلم لانه
يستذنب اذا مل حتى يصير المحسن عنده كالمسي
فاستخلص رايه بالنصح واستدفع تنكره بالحذر وقد
قيل الخرق الدالة على السلطان والوثبة قبل الامكان
فاقبض نفسك اذا قدمك، وتواضع له اذا عظمك،
واحتشمه اذا آنسك، ولن له اذا خاشنك،
واصبر على تجنيه اذا غالطك، فهو على التجني اقدر،
فكن على احتماله اصبر، فربما كانت مجاملته لك مكراً،
وتجنيه عليك غدراً وقد قيل في بعض الصحف
الاولى حب الملك وهو له يشبه الظل الذي ينزل

علي الشعب وقد قالت حكما الهند مثل السلطان
في قلة وفائه للاصحاب وسخا نفسه عنهم مثل
الصبي والمكتب كلما ذهب واحد جاء آخر
وكذلك قيل في امثال كليله ودمنه صاحب
السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لمركوبه
اشد خوفا وأما حذرك من الزمان فانه يتقلب
بالوانه، ويخشن بعد ليانه، فيسلب ما اعطى، ويفرق
ما جمع وقد روي ابو حازم عن ابي بكر رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انظروا
دور من تسكنون وارض من تزرعون وفي طرق من
تمشون وقال بعض الحكما الدنيا اذ بقيت لك
لم تبق لها وقيل في منثور الحكم من عتب على الزمان
طالت معتبته، ومن لم يتعرض للنوايب تعرضت له،
وقال بعض البلغا ان الدنيا تقبل اقبال الطالب
وتدبر ادبار الهارب، لا تبقي علي حاله، ولا تخلو من
استحاله، تصلح جانبا بافساد جانب، وتسر صاحبا
بمساءة صاحب، فالكون فيها خطر، والثقة بها
غرر وقد قال قيس بن الحطيم

ومن عادة الايام ان صروفها، اذا سر منها جانب ساء جانب

وحذرك من زمانك يكون من اربعة اوجه احدها
ان لا تثق بمساعدته، ولا تركن الي مياسرته، فتغفل

عن الحذر والاستعداد، فربما انعكس فافترس، وغافص
فاختلس وقد قيل الدهر صروف، لست عنها بمصروف،
وقال ابو العتاهية

ان الزمان وان ، الان لاهله لمخاشن
لخطوبه المتحركا ، ت كامن سواكن

والوجه الثاني ان تنتهز فرصة مكنتك بفعل
الجميل وغرس الصنايع، واسداء العوارف، ليكونوا لك
ذخرا في النوايب، وخلفا في العواقب، ولا يلهيك
استكفاؤك عن الاستظهار، ولا يمنعك استغناؤك
عن الاستكثار، فقد قيل المرء ابن يومه، فلينتبه
من نومه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك
قبل سقمك، وغناءك قبل عدمك، وفراغك قبل
شغلك، وحياتك قبل موتك وقال سعيد بن اسلم

انما الدنيا هبات ، وعوار مستردة
شدة بعد رخاء ، ورخاء بعد شدة

والوجه الثالث ان تكف نفسك عن القبيح وتقبض
يدك عن الاساءة لتكفي رصد التراب، وغوايل
الهفوات، فتامن من وجلك، وتسلم من زللك، ولا
تطاول بالقدرة، فتغفل وانت مطلوب، وتامن
وانت مسلوب روي عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه

انه قال اتبع السيئة الحسنة تمحها وقيل في بعض
الصحف الاهية ويل للاثمة لان الشقا لازم لهم
الي يوم وفاتهم وقال بعض الحكما باعتزالك الشر
يعتزلك، وبالتصفه يكثر الواصلون وقال

مضر بن ربعي
الخير ابقى وان طال الزمان به، والشر اخبث ما اوعيت من زاد
والوجه الرابع ان تستعد لاختلاع، وتستظهر
لمعادك ولا تغتر بالامال فيخدعك الفوت، ولا تلهك
الدنيا فتصدك عن الاخرة فقل من لا يسعها فسلم
من تبعاتها المفوات غرورها، وعواقب شرورها،
وقيل في منثور الحكم طلاق الدنيا مهر الجنة
فكفر معاصيها بالتوبة، واجبر مساويها بالطاعة،
ولا تضيع حظك فيها، ولا تنس نصيبك منها،
واحسن كما احسن الله اليك روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال على كل مسلم صدقة
قالوا فان لم يجد قال يعين ذا الحاجة الملهوف
قالوا فان لم يفعل قال يامر بالمعروف وينهى عن
المنكر قالوا فان لم يفعل قال يمسك عن الشر فانها
صدقة واما الحذر من اهل الزمان فلان
الانسان محسود بالنعمة مغبوط بالسلامة
والناس على اربعة اطوار احدها خير عاقل يسالم

بخيره، ويساعد بعقله، فالظفر به سعادة والاستعانة
به توفيق، فاجتهد ان لا يفوتك وان كان قليل الوجود
لتحظى بخيره، وتستعد بعقله **وقال** بعض
الحكما من خير الاختيار، صحبة الاخيار، ومن شر
الاختيار، صحبة الاشرار، وقل ان يكون العاقل
الخبير، الا متحليا بالعلم، متزينا بالادب **وقد** قال
بعض الحكما لا ادب الا بعقل، ولا عقل الا بادب ومثلهما
كمثل الروح والجسد فالجسد بغير روح صورة والروح
بغير جسد ريح، فاذا اجتمعا قويا فنهضا والنهضا
فاذا اظفرك الزمان بمن تكاملت فضايله، وتهذبت
خصايله، فاتخذه ذخيرة نوايبك، وعدة شدايدك
بجده كفيل صلاحها، وزعيم بنجاحها، والطور الثاني
شرير جاهل يضيق بشره، ويضل بجهله، فاحذر مخالطته
فهي اعم من السم، وانفذ من السهم، فشره بجهله
منتشر، يضعف ان تورك، ويقوي ان شورك، فاكفف
شره بالابعاد، ولا تقربه بالتقريب، فيلحقك بضرر
شره وجهله **وقد** قيل في منثور الحكم من الجهل
صحبة ذي الجهل **وقيل** في اسفار بني اسرايل
ابعد عن الجهل لتجد الراحة فان حمل الرمل والملح
والحديد اسهل من المثوي مع الرجل الجاهل فضرر
الجاهل اعم من ضرر الشر لان قانون الشر معلوم

وقانون

وقانون الجهل غير معلوم، والطور الثالث خير
جاهل يسالم بخيره ويضر بجهله فقادر ان
شئت لخيره، ولا تستعمله لجهله، لتكون بخيره
موسوماً، ومن جهله سليماً وقد قال عبد
الحميد: لكل شيء لباب، ولباب النفوس الالباب،
والطور الرابع شرير عاقل وهو الداهية المنكر
يستعمل في الخطوب اذا اخربت على حذر من مكره
ويتاركه في الدعة على استدفاع شره وقد روى
عاصم عن ابي ذر عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ان الله يؤيد الدين بالرجل
الفاجر، ومثل هذا يستكف بمؤنة تمره ومراعاة ترضيه
فانه كالسبع الضاري اذا اجعته هاج، وان اشبعته
لان، ليكون مذخوراً للحاجة فان للزمان خطوباً لا
تدفع الا بشرار اهله، كما قال حذيفة بن اليمان
لرجل ايسرك ان تغلب شر الناس قال نعم قال انك
لن تغلبه حتى تكون شراً منه فتعرض لخطوب الشر
اذا طرقت فانه لها اخبر، وعلى دفعها اقدر، ولاهلها
اقهر، فان الحديد بالحديد يفلح وقد قال بعض الحكما
مخالطة الاشرار خطر، والصبر على صحبتهم كركوب
البحر الذي سلم ببدنه من التلف فيه لم يسلم بقلبه
من الحذر منه فان وجدت من هذه الداهية فتورا

فلكن منهم

في همّته، وقصوراً في منته، كانت سراية مكره انذر وتاثيره في الخطوب ايسر، وان كان عالي الهمّة، قوي المنّة، يطاول الى معالي الامور، كانت سراية مكره اوفى وتاثيره في الخطوب اكثر، فاعطه في كل حال من امره من الحذر والسكون، بحسب ما يقتضيه همّته، وتبعث اليه منّته، ليكون قانونك مستقيماً، ومن دها مكره سليماً، لا ينالك خور من سرف، ولا اشتغال من تقصير، فقد جعل الله لكل شيء قدراً، فهذا تفصيل ما اشتمل عليه العقد والحال والله اعلم

الباب الرابع والعشرون في حقوق الوزير على الملك الكبير

اعلم ايها الوزير امدك الله بتوفيقه، وارشدك الى اقوم طريقه، ان لسلطانك عليك حقوقاً، ولك عليه مثلها فامّا من حقوقه عليك تقدم ذكرها، وامّا من حقوقك عليه سنذكرها ان شاء الله تعالى فمن حقوقك عليه ان يعاملك بثلاثة اشيا احدها اذا ظهرت منك زلة واحدة ووجدت منك هفوة لا يعاجلك بالعقوبة لان الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين ما سلموا من الزلل الثاني اذا استغنى في دولته واتسع حاله في خدمته، لا يطمع في ماله وثروته، الثالث اذا سأله حاجة لا يتوقف في قضاء حاجته وينبغي ان لا يمنعه من ثلاثة اشياء وهي انه متى اختار ان يراه

لا يمتنع من رؤيته ولا يتسمح في حقه كلاما مفسدا وان
لا يكتم عنه شيا من سره لان الوزير الصالح حافظ سر
السلطان ومدبر امر الداخل والخرج وبه عمارة الولايات
والخزاين وزينة المملكة وشرف الهيبة وله الكلام
على الاعمال واستماع الاجوبة وبه يكون سرور الملك
وقمع اعدايه وهو احق الناس بالاستمالة وتفخيم
القدر وتعظيم الامر وقال انوشروان لولا اكرم
وزيرك لانه اذا دلك على امر لا يجوز لا يوافقك عليه
وذكر اقضى القضاة ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب
الماوردي في كتابه قوانين الوزارة حقوق الوزير على
السلطان ثلاثة احدها معونتك على نظرك وذلك
باربعة اشيا تقوية يدك، وتنفيذ امرك، واطلاق
كفايتك، وان لا يجعل لغيرك عليك امرا وقد قال
شابور بن اردشير في عهده الى ابنه هرمز ينبغي للوزير
ان يكون قوي الامر مقبول القول يمنعه مكانه
منك من الضراعة لغيرك، وتبعثه الثقة بك على بذل
النصيحة لك، ويشجعه ما يعرف من رايك على مقاومة
اعدائك، واحذرك ان تنزل بهذه المنزلة من سواه من
خدمك، والثاني من حقوقك عليه ان تثق منه باربعة
اشيا ان لا يواخذك بغير ذنب، ولا يطمع في مالك
من غير خيانة، وان لا يقدم عليك من دونك، ولا

يمكن منك عدوّاً عَهِدَ ملك إلى ابنه فقال إنك لن
تصل إلى أحكام ما تريد من تدبير ملكك إلا بمعونة
وزرائك وأعوانك فاعنهم على طاعتك بمباشرتك
وعلى معونتك بمساعدتك، والثالث من حقوقك عليه
أن يحفظك في منزلتك في أربعة أشياء أن لا ترتاب بباطنك
وظاهرك سليم فيؤاخذك بالظن ويعجز عن دفعه باليقين
فليس يؤاخذ بضمائر القلوب، إلا علام الغيوب قيل
لكسرى بن قباد إن قوماً من خواصك قد فسدت سرائرهم
فقال أنا أملك الأجساد دون النيات وأحكم بالعدل
لا بالرضا، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر، والثاني أن
لا يستبدل بك ونظرك مستقيم، فتقل ثقتك ويضعف
نشاطك ولا تجد من نفسك نهوضاً بما كلفك فإن
دواعي الطبع أغلب من مصنوع التكلف وقد اتخذك
لاستقامة وجدها بك فإن أضاع حقك بالاستبدال
ظلم نفسه وكان من غيرك على خطر وقد قال كسرى
الوزارة أبعد الأمور من أن تحتمل غير أهلها لأن الوزير
من الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه لأنه
مغلق الأبواب مستور عن الأبصار يحفظه في أمواله،
ويستر خلله في أفعاله، وحقيق بمن كان بهذه المنزلة أن
يكون محفوظاً وملحوظاً، والثالث أن لا يؤاخذك
بدرك ما جرى القضا وساقه القدر، فيجعلك غرضاً

في

في معارضة خالقه وهل انت الا كمثله فكيف تكون
افعال الله ذنوبا لعباده وقد قال بعض الحكماء الاسود
تطلب بالعناء، وتدرك بالقضاء وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى انفاذ قضائه
وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه
وقدره، والرابع ان لا يحملك ما ليس في قدرتك، ولا يكلفك
ما ليس في طاقتك، فلا يكلف الله نفسا الا وسعها وما
ذلك الا من دواعي التجني، ومبادي التنكر قال حكيم
الروم اول ما يبتدي تغير الملك في العين، فاذا ازداد
خرج الى اللسان فاذا ازداد خرج الى اليد فقد وضح لهذه
الجملة مقابلة حقوقك عليه بحقوقه عليك وقد
قال المعتصم من طلب الحق بما عليه ادركه غير ان حقوقك
عليه موضوعة على المواخذة باقلها لاستطالته عليك
بالقدرة فقصورك عنها بالنيابة فكن على ما اقتضاه
مناب الوزارة واعطه ما استحقه بسلطان الملك
فينجح سعيك له اداء سعيه عليك وقد وصف
سويذان في كتاب الملوك فقال هم اعينهم المصونة
عندهم واذانهم الواعية والسنتهم الشاهدة لانه
ليس احد اسعد من وزراء الملوك ولا اقرب الى الهلكة
من وزراء الملوك اذا هلكت الملوك فتدفع التهمة
عن الوزراء اذا صارت ضمائرهم لانفسهم ويحظهم

اليقين بهم حين صار اجتهادهم للملوك واجتهادهم لانفسهم فلا تتهم روح على جسد ولا يتهم جسد على روح لان زوال الفهما زوال نعمتهما والتيام الفهما صلاح صاحبهما وقال ابو عبيدة في امثاله من سلك الجدد امن العثار، ويجب ان يكون الوزير عالما عاقلا شيخا لان الشاب وان كان عاقلا لا يكون في التجربة كالشيخ والذي يتعلمه الناس من تجارب الايام لا يتعلمه الا من المشايخ والوزير زين السلطنة ويجب ان يكون الوزير صالحا طاهرا من الشين ويحتاج الوزير الى خمسة اشيا ليحمد خبره وتحسن سيرته التيقظ لينظر في كل امر يدخل فيه ووجه المخرج والعلم حتى تتضح له الاشيا الخفية والشجاعة حتى لا يخاف من شي في غير موضع الخوف والصدق حتى لا يعمل مع احد غير الصحيح وكتمان سر سلطانه الى ان يدركه وقال اردشير بن بابك يجب ان يكون الوزير ساكنا، متمهلا، شجاعا، واسع الصدر، حسن المقال، مليح الوجه، مستحيا، صامتا، حسن الصمت، متكلما، اذا تكلم احسن الكلام، ومع ذلك كله يجب ان يكون دينا تقيا، حسن المذهب، ليطهر نفسه وينفي عنها كل ما لا يحسن من الاعتقاد وينبغي ان لا يكون ذا حجاب، ليسهل الامر على الملا وان يكون متيقظا لينظر عواقب الامور، ويخاف من الدهور، وان

يتحفظ ان يصيبه ريب الزمان وغيره وكل ملك كان
وزير له محبا وعليه مشفقا كان ذلك الوزير كثير
الاعداء وكان اعداؤه اكثر من الاصدقاء ولا يجوز
للسلطان ان يسمع في حق وزيره كلام المتحرضين عليه
والباغين اليه ويجب ان يكون محمود الطريقة حتى
اذا راى في الملك خلة مذمومة غيرها وردها الى
العادة الحميدة من غير غلظة لان الملك اذا كان
على ما لا يريد اذا سمع ما يكرهه من التقريع عمل شرا من
ذلك والدليل على ذلك ان الباري تعالى جلت عظمته
لما ارسل موسى عليه السلام الى فرعون امر بقوله فقولا
له قولا لينا فالناس اجدر واولى ان يلينوا مقالهم وان
كان السلطان يخشن كلامه فلا يجوز ان يحقد عليه
ويضرب على كلامه في قلبه فان قدرته تطلق لسانه
فينطق بما يريد واذا كان الوزير محبا للملك صحيح
المقال حسن الفعال فلا يجوز ان يعد حسناته على الملك
ولا يمن بها عليه وقال اهل الفطنة اذا احسنت
الى احد وعددت احسانك عليه كان شرا من الامتنان
عليك تقريعا له وينبغي ان يعلم الوزير وسائر خاصة
الملك انهم مهما فعلوا من حسن فان ذلك باقبال الملك
وبركة ظله على الخلق واعلم ان كل فساد ينشا في
دولة الملك يكون من امرين احدهما من الوزير الخاين

والثاني من نيّة الملك الرديّة وقال انوشروان
شرّ الوزرا من حثّ السلطان الى الحرب، وحرضه على القتال
في موضع يمكن ان تنصلح للحال بغير حرب لان على سائر
الاحوال تفني ذخائر الاموال وفيها تبذل كرايم
النفوس ومصونات الارواح وقال ايضا كل
ملك كان له وزير جاهل فمثله كمثال الغيم الذي يبدو
له ولا يندي ولا يمطر وفي كتاب وصايا ارسطاطاليس
كل امر ينقضي على يد غيرك بلا حرب ولا خشونة
فهو خير مما تقضيه بيدك بالحرب والغضب والعلما
يضربون هذا المثال فيقولون ينبغي ان تمسك الحيّة
بيد غيرك لا بيدك وترتيب الوزرا انهم مهما امكنهم
ان يتحاربوا بالكتب فليتحاربوا فان لم تتات الامور
بالاحتيال والتدبير فيجتهدون في تاتيها باعطاء
الاموال وبذل الصلاة والنوال ومتى اخذ منهم
عسكر عفوا عن ذنوب الجند ولم يستعجلوا بقتلهم
لانه قد يمكن قتل الاحيا القتلى وان الرجل يصير
رجلا اربعين سنة ومن ماية رجال واحد يصلح
لخدمة الملوك وان اسر احد من الجند من اصحاب
الملك كان على الوزير ان يفكه ويفتديه ويخلصه
ويشتريه ليسمع الجند بصنيعه فتقوي قلوبهم
اذا باشروا حروبهم وعلى الوزير ان يحفظ ارزاق

الجند

الجند كل واحدٍ منهم على قدره وان يدرّب الرّجال الشّجعا
بالات الحرب وان يخاطبهم باحسن كلام ويلين لهم
في الكلام فانّ الجند قد قتلوا كثيراً من الوزرا في
قديم الزّمان، وسالف الاعوام، ومن سعادة السّلطان
ويمن طلعته وقوّة جدّه ان يسهّل الله له وزيراً صالحاً
ومشيراً ناصحاً وقال صلّى الله عليه وسلّم اذا اراد
الله بامير خيراً قيّض له وزيراً صالحاً صادقاً صبيحاً
ان نسي ذكره وان استعان به اعانه فينبغي ان
يكون وزير الملك وعمّاله الذين في البلدان وارباب
دولته ان يكونوا على هذه الصّفة وان يحفظوا
رسوم المتقدّمين وطرايقهم وان يلتمسوا الاموال
الذي تؤخذ في اوقاتهم من الرّعيّة على العدل بحسب
طاقتها، وقدر قدرتها، وان يكونوا في تصيّدهم
كصايد الكركي لا قاتل العصفور ولا يجوز لهم
ان يحرصوا على سؤال الميراث ما دام الوارث
موجوداً فالطّمع في ذلك مشوم غير جايز ويجب
عليه استمالة قلوب الرّعيّة والحشم نهبا الفوايد
والنّعم وليعلموا ان كفايتهم وسموّ
مرتبتهم وصلاحهم منوط بصلاح الرّعيّة
وليحسن ذكرهم في الدّنيا وينالوا جزيل
الاجر في العقبى، والله اعلم بالصّواب

الباب الخامس والعشرون في الحكم والحكايات على لسان الحيوانات

ذكر الشيخ ابو المحاسن رحمه الله في كتابه فاكهة الخلفا، ومفاكهة الظرفا، قال كان في بعض الغياض، اسد مرتاض، عظيم الصورة، كريم السيرة، وافر الحشمة، عالي الهمة، كثير الاسما والالقاب، غزير الخدم والاصحاب، كبير بين الامرا والاصحاب، والوزرا والنواب، يدعى في جوانب مملكته، واطراف ولايته، بحيدرة، وبيهس، والضيغم، والدوكس، والصعب، والضرغام، والعنبس، والطيثار، وهمس والغضنفر، والهرماس، والغضبان، وابي العباس، والهزبر الى سائر الاسما والالقاب والكنى، وهو مطاع في ممالكه، وولايته واقاليمه، مترشف بثغور الامثال، شفاه اسلته ومراسيمه، وله من خواص الندما، وكبرا الجلسا، نديمان كنديمي جذيمة، يلازمان حضرته ويلجان حريمه، احدهما ثعلب يدعا ابا نوفل، والاخر ضبع يسمى ابا هنبل، طبعهما لطيف، وشكلهما ظريف، ومحاضرتهما مرغوبه، وصحبتهما مطلوبه، وكان في خدمته دب هو وزيره، ومعتمده ومشيره، كافل امور مملكته، ومدبر مصالح رعيته، والملك مفوض امور الرعيه اليه، ومعتمد لما يعلم من كفايته عليه، ومشغول ليلا ونهارا بعشرة نديميه، فاتسع خيال

الغدير

الوزير، وأخذ في مجال التفكير، إلى أن النديمين، لكونهما
ناصحين قديمين، ربما يصدر منهما عند الملك ما يحط
منزلته، ويفسد أن الحسد الذي لم يخل منه جسد
صورته، واستحوذ عليه هذا الخيال، واتسع في ميدانه
المجال، فكان خايفاً على وظيفته ومنصبه، مترقباً
منهما ما يكون عزله بسببه، فنشأ من ذلك في خاطره
لهما حسايف، أورثته قساوة، وجذبته إلى عداوة،
ووقر في قلبه ذلك وتأكد، وطال عليه من الدهر الأمد،
فكان يترقب لهما الفرص، ليوقعهما من الغصص في
قفص، ويسابقهما قبل أن يتعشيا به، ويتغدى بهما
قبل أن يتعشيا به، ويقول لا بد من تنظيف الطريق،
قبل حصول التعويق وما أحسن قول من قال
ومن لم يزح عن دربه الشوك قبل أن يطاه فلا يعتب إذا شاك رجله
وأقل الأقسام، أن يبعدهما عن حضرة الملك الهمام،
فاتفق أن في بعض الأسحار، تجاذب الملك ونديماه
أطراف الأسمار، فأثر فيهم السهر، لطيب السمر
في ضوء القمر، وحلاوة ما جنوا به من ثمر، فأخذت
الملك عيناه، فاستند إلى متكاه، فانحل من طرفه وكاه،
فلم يتمالك أبو نوفل أن ضحك، لما غنت زمارة رمانة
الملك، فتنبه الملك لضحكه، وتعجب من جراءته
وفتكه، ثم أشتمر متناوما، لينظر ما يصدر منهما،

فابتدر اخو نهشل وزجر وقال ويلك ماذا رايت ،
واي عجب سمعت ووعيت ، حتى ترتبك في الضحك اما
علمت ، وقرأت وفهمت ، ان الضحك بلا سبب ، من قلة
الادب ، وان الحشم وساير الخدم ، ومن نادم الملوك
وجالسهم ، يحترم امورهم ويعظم مجالسهم ، سواء
غابوا او حضروا ، ناموا او سهروا ، قاموا او قعدوا ، استيقظوا
او رقدوا ، وقد قيل دفع قلم العتاب ، والضبط والحساب ،
عن الصبي والمجنون ، والعاشق المفتون ، وكذلك السكران ،
والنايم لا سيما السهران ، وعذر النايم يا مسكين ، اوضح
من عذر الباقين ، فان النوم اخو الموت ، وفيه ما ليس في
غيره من الفوت ، وقد قال صاحب الشرع ، زكا منه الاصل
والفرع ، حفظه الله بجنود الصلاة والسلام وحرسه ،
يعتذر عن النايم العين وكاء السنه **وقال** ذو الصدق
والتصديق ، في رفع قلم التكليف عن النايم حتى يستفيق ،
وانما اعتبر الشرع احوال النيام ، وساواهم باليقظى صونا
لبعض الاحكام ، نحوا من خمس وعشرين مسالة ، ضبطها
من الفقها الكملة ، ولقد طالعت في كتاب الاخلاق ،
ان الله الكريم الخلاق ، حيث جعل جنسا من الامم ، في
طبايع وصفات متساوي القدم ، فلا يعيب احد احدا
ولا يزدريه ، ولا ينقم عليه عيبا هو فيه ، على الخصوص
اذا صدر من الملوك شي يعاب ، فلا يحمل ذلك منهم الا

تمالي

علي الفضل والصواب، وكل ما كان في غير الملوك معتبه،
اذا صدر من الملوك يعد منقبه، ويجب علي من جالس
الملوك، وكان له في خدمتهم سلوك، واختصوا بمحاضرتهم،
واستسعدوا بمناظرتهم، ان لا يبصروا منهم الا
المحاسن، ولا يخبروا عنهم الا المحاسن قيل من
جالس الملوك بغير ادب جلسه، فانه خاطر بروحه وعرض
للبلاء نفسه وقال الله الاعظم، في كتابه المحكم،
لنبيه صلي الله عليه وسلم فاستقم كما امرت، ولهذا قال
عليه الصلاة والسلام شيبتني هود واخواتها وما ساد
احد في العجم والعرب، الا بسلوك طريق الادب وقال
عليه الصلاة والسلام ادبني ربي فاحسن تاديبي قال
المغفلي ابو نوفل، اذا طهر القلب من الخيانه، وعاملت اليد
بالامانه، وتنقي العرض من العيوب، وكان اللسان غير
كذوب، وزكت النفس بالحلم، وعرت عن الجهل بلباس
العلم، يصلح لها ان تسخر بكل احد، وتفخر علي اكبر من
يكون ولو انه الاسد، وانا اذا طا رنهرم الصفات
طيري، فلا علي اذا ضحكت علي غيري قال اخو نهشل
لا تقل ذاك لا، واستعذ بالله من العجب والخيلا، واعلم
يا ذا الكرامات، ان الجاهل يعرف بثلاث علامات،
احدها يا محبوب، ان يري نفسه عاريا عن العيوب،
والثاني يا فوق الخير، ان يري نفسه اعلم من الغير،

والثالث أن يرى أنه انتهى في فنون العلم والتنهي، وبلغ أعلى المراتب، وهذا من أكبر المعايب وقالت الحكما إذا رأيت نفسك عاريا عن العيوب، وتصديت لتتبع عثرات الناس بالغيوب، وفتشت عن عيوبهم بالجيوب، فأنت حينئذ غارق في بحر الذنوب، وبالذي أنت طالبه مطلوب، وانظر يا ذا السكينه، ما قاله مالك رضي الله عنه حين دخل المدينه قال لم يدرك من الفضل آثارا، ولا من الفضلا غبارا، من رأى لنفسه مقدارا، وما دمت أنت بهذه الصفه، لم تشم رايحة المعرفه، وقيل ليكن جل مطلوبك، حرصك على تفقد عيوبك، وقم في ذلك على نفسك وذاتك، مقام حسادك ورقبائك وعداتك، وقال ذو هدى، وما قال سدا شعر

لكل فتى خرج من العيب ممتال، على كتفه منه ومن أهل دهره
فعين عيوب الناس نصب عيونه، وعين عيوب النفس من خلف ظهره

قال أبو نوفل لقد صدقت، ونصحت إذ نطقت، فجزاك الله عني خيرا، ووقاك ضررا وضيرا، ولكن يا أخي وقعت هفوه، على سبيل السهو، وحصلت زله، على غفله واللفظ إذا خرج من غير نظر، كالسهم إذا رمي على الوتر، لا يمكن رده، ولا وقوفه وصده وقال الشاعر

القول كاللبن المحلوب ليس له، رد وكيف يرد حالب اللبنا

ولكن الذنب والاجترا، إذا لم يشتهرا، لا يتوجه العتاب،

ولا يستحق مرتكبهما العقاب، اذا استغفر واناب،
وانا وان وقع مني الخطا، آمن بحمد الله من سوء الجزا، ومن
المواخذة بالجريمه، وان كانت عاقبتهما وخيمه، لانها
بينك وبيني، وانت بمنزلة روحي وعيني، ورفيقي
وصاحبي، ومارع حقي وجانبي، فسري عندك مصون،
وامري عن الاشاعة مخزون، وقد قالت الحكما ذوو التجارب
لا تودع السر الا عند صاحب، صديق صدوق، محب
شفوق، وانت هو ذاك الموثوق، فاطرحه من سويدا
قلبك في سفال الصندوق، فان استمر سري عندك ساكنا،
صرت من وبال عاقبته آمنا، ولا يبعد ذلك من شفقتك،
وسابق صداقتك، ووفائك بالمروه، وقيامك بحقوق
الاخوه، وامثال احسانك ان لا تخيب لصاحبك القديم
مرجوه قال اخو نهشل، اعجب لابي نوفل، كيف
يغفل، اما سمعت يا غافل، قول القايل من علامات
الجاهل، ان يقرض ماله باللطف، ثم يتقاضاه بالفظاظة
والعنف، وان يودع سره، وخفاياه وامره، عند من
يحتاج يتضرع اليه، ويقسم في اخفائه واستكتامه
عليه، ثم يحلفه ان لا يبديه، ولا يذكره لاحد ولا ينهيه،
وقد قالت الحكما، لا تستودع لاحد سرا، فان فعلت
فاتك السر، لان كتمانه قيد هم وعنا، وابداه كيد
هلاك وبلا وقال بعضهم

كلّ سرٍّ جاوز الاثنين شاع، كلّ علمٍ ليس في القرطاس ضاع،
لم يقصد بالاثنين، الّا الشّفتين، وكلّ سرٍّ تحرّك به
اللّسان، انتشر في الكون والمكان، وناهيك يا سامر،
قصّة الحرامي مع الطّامر قال ابو نوفل، كيف
ذلك يا اخا الهشل، قال بلغني انّ رجلاً من الحراميّة،
واللّصوص القرّاديّة، كانت نفسه ذات الخيانة،
محرّضة على الدخول من حواصل الملك الى الخزانة، فانّها
لرؤية الخزانة مشتاقة، ولمعانقة فاسق التحرّم
عشّاقة، وكان جاهداً في ان يعطيها، من تمنّاها ما
يرضيها، ولكن كانت نجوم الحرّاس بالرّصد، ولرجوم
ذلك الشّيطان كالمعد، وكتم هذا السّرّ عن الاخوان،
ومضى عليه برهة من الزّمان، وهو يكابد اكتتامه،
يخاف من سوء اختتامه، والمقدّر كاين، والخايف
خاين، الى ان طفح عليه ما قصد، وغلا خمر سرّه في قلبه
وقذف بالزّبد، فطلب صاحباً يتلفّظ به اليه،
ويعتمد في اكتتام سرّه عليه، واختار في تجربته،
فقرصه برغوث في بجن تر، فمدّ يده اليه، وافشى
بسرّه معتمداً عليه، وقال في خاطره، عند افشاء
سرائره، لا لهذا اللسان، يقدر على البيان، وعلى تقدير
ان لو كان، فانّه مثل ولدي، تربّى من دم كبدي، ولحم
جسدي، واطّلع على عورتي، فلا يقصد عشّي

ولا يكشف ستري، ولا يهتك بسري، ثم ادنى فاه
حتى وافاه، وقال يا ابا طاهر، وكاتم السر في السر آيس
اني عزمت كالمنهمك، على الدخول الى خزاين الملك
لاستصفيها، وآخذ ما فيها، فاكتم هذا السر عني
وامصص ما شئت من الدم مني، ثم طرحه في سراويله
واستمر في نيته على اباطيله، ثم قصد في بعض الليالي
كان يحاوله على التوالي، ويرصده في المكامن، من الدخول
على الخزاين، فلاحت له فرصة فانتهزها، واستعمل
دقايق صنعته وابرزها، وانتقل من ذلك الى المبيت
ولطى تحت سرير الملك كالعفريت، والملك نايم على السرير
على الفراش الحرير، معانق الظبي الغرير، وخرزة التاج
عند راسه تتقد، كانها سراج يتقد، قال فقصد
اللص اخذها، واقتطاعها وفلذها، فامهل القوم
الى ان يغرقوا في النوم، وبينما هو مفتكر فيما به، خرج
البرغوث من ثيابه، ودخل الى جسد السلطان، وقرص
لسان القرص عليه ما كان من شان، فنهض الملك من
مرقده، فراى نقاطة على جسده، فطلب النور، لينظر
الامور، وحضرت الخواد، فراين برغوثا طاد
ونزل تحت السرير، فقصوا اثره في المسير، فوجدوا
الحرامي الكبير، فربطوه كالاسير، ووقع في اليوم
العسير، بالامر الكبير، وصار كقول من قال

مشى برجليه عمدا الى مصرعه، ليقضى الله امرا كان مفعولا
وانما اوردت هذا المثال، يا ابا نوفل، لتعلم ان سرّا في
الفؤاد، لا يؤمن عليه الجماد، فضلا عن متحرك من حيوان،
ونعوذ بالله ان كان من جنس الانسان، وقد قيل في المثل
للحيطان آذان، ومن امثال العجم الاوباش، للديوار كواش،
فلمّا انقضى هذا الكلام، وكان الاسد استوفاه ووعاه
على التمام، وقد ثار في احشائه لهبا، نهض من مرقده
ممتليا غضبا، واشتحال وتحول، وامر بابي نوفل فقبضوا
عليه، ووضعوا الغل في رقبته والسلاسل في يديه
ورجليه، وامر الى السجن برفعه، بعد التنكيل به وصفعه،
فتشوش خاطر صديقه، وجليسه ورفيقه، ثم انفض
المجلس النظيم، ودخل الملك الى الحريم، فتوجه اخو نهشل،
الى السجن المقفل، ولام صاحبه ابا نوفل، وزاد في
التعنيف، وقال ايها الاخ الظريف، الم تعلم ان الشخص
اذا تكلم يضبط كلامه عليه، ويعود محصول ما يلفظ
اليه، وقد قال الرب المجيد، ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد، وان كثرة الكلام، تضر بالنفس اكثر ما يضر
بالبدن الطعام، وكل هذا المصاب، انما جاء من الاعجاب
وكثرة الكلام والغرور، وعدم التاويل في عواقب الامور،

وانشد شعر

ما ان ندمت على سكوت مرة، ولقد ندمت على الكلام مرارا

وقال

238

وقال حكما الهند، وبراهمة السند، ما دام الكلام في الفواد، لم يبد منه على اللسان باد، فلم ينصب منه سائل حرف، من صدفة الاذن في وعا ولا ظرف، فهو كالبنت البكر، المشهورة الذكر، كل احد يخطبها، ويميل اليها ويطلبها، ويتمنى ان يراها، ويترشف لقاها، فاذا القي الى المسامع، ووعاه كل ناظر وسامع، فهو كالعجوز الشوها، الملازمة صباحا ومسا كل احد يفر منها، فاذا تكلمت اسكتت وان سمعت اعرض عنها،
وقال بعض الحكما اللسان اسد، وهو حارس الراس والجسد، فان حبسته حرسك، وان اطلقته افترسك،
وقالوا ايضا الكلام ما لم يبد اسيرك، فاذا تكلمت به فانت اسيره وقالت الحكما ايضا السكوت يستر عيب الجهل ويعظم حرمة الملوك، ولقد اذيت نفسك، وتسببت فيما اوجب حبسك، واقلقت ودودك، واشمت حسودك، ولقد كانت حصتي من بلاويك ومما دهاك من شر عنايك، اعظم من كل حصه، وقصتي في ذلك اعجب قصه، اذ انت رفيقي وزميلي، وفي حضرة الملك ومنادمته عديلي، نشانا على ذلك، وسلكنا في الموافقة والمرافقة اقوم المسالك، وانت كنت المرجو لمخافي، وايابي في مطافي، ومشتكي حزني، ومشتفي شجني، ومحرم اسراري، واعظم

اسْتتاري، وَرِوَايَة اخبَاري، فِي اخبَاري، وزاوية اسْفَاري، فِي اسْفَاري، ومن اين لقي مثالع صَديقاً، وَاجد رفيقاً شفيقاً، وانت صَاحب السرّا، ومصَاحب الضرّا، وانشد وقال

ومن اين القي بعد سبعين حجة، رفيقاً كمن راضعته قهوة الصّبا
اديباً اريباً لم اسل مقامه، ولا ملني يوماً حكيماً مهذباً

ويعزّ عليّ، ويعظم لديّ، اذ اراك في هذه الحاله، ثمّ اجري سحايب دمعه الهطاله وانشد

وَمَا علي الحرّ انكي اذ يري حزناً، في محنةٍ ضاق عنها دونه الحيل

ولقد تحيّرت في هذا الامر المهول، وَمَا ادري قصاراه الي مَاذا تؤول، وليلة هذا الغم الصّراح، عمّاذا يسفر فيها الصّباح، فانتكي لذلك ابو نوفل وبكي، وتضرّع الي الله وَاشتكي، وَقال يا اعزّ الاصحاب، وَاحبّ الاحباب، لقد اثّر عندي مَا قلت من الكلام، اكثر ممّا اصابني من الالام، كيف يغتفر لاحد الجانيين، وَيطلق لاحد المقيّدين، واني يعتذر بالقضا والقدر في احدي القضيتين، وَهل شيء في عالم الكون والفساد، خارج عمّا قدّره الله تعالي واراد، وكلنا في هذا اسويه، والعبد مقهور مع المشيئه، ولكن الجدّ اذا اقبل، ولاحظ بسعده وتفضل، فكل حركة تصدر من العاجز، يعجز عن مقاومتها البطل المبارز، وكل قول يتفوه به الجاهل،

سيم

يرع دليل معانيه ادلة العقلاء في مجاهل ومذاهل ،
ودعاميص ذوي الاراء المصيبة النواهل ، تلقى من
عقنقل الحيرة في مجاهلها مناهل ، فيصير كل وجهة اليها
قابل ، وكل لسان بها قايل ، وقوام كل سعد وقبول اليها
ما يل **شعر**

واذا السعادة لاحظتك عيونها ، نم في المخاوف كلهن امان
واصطد بها العنقاء فهي حبايل ، واقتد بها الجوزاء فهي عنان
ونعوذ بالله من ليل السعد اذا ادبر ، وصبح الخمول اذا اسفر ،
فان اللبيب ، اذ ذاك يخطي ما كان يصيب ، ويفعل
ما لا يرتضيه باقل ، وكان جهد النفس ، زيادة في العكس ،

وقال الشاعر

واذا تولى الجد يحتاج الذكي ، في رايه قبل الزوال سراجا
وانقلاب الدهر وانعكاس الزمان ، شيمة معهودة ،
وخصلة معدودة **شعر**

ومن ذا الذي ما غره صرف دهره ، فاضحى كريما ولم يبكه سنه
وانا كنت غافلا ، وان لم اكن جاهلا ، وقد يكون الشخص
عما يحققه ذاهلا ، وذلك لما كان عودني الزمان ،
والفته من سالف الدوران ، من ارخاء العنان ،
واسبال ذيل النعم ، والاحسان الدايم والكرم ، فمشيت
على ما كنت اعهده ، وفي نفسي اجده ، وايضا كانت لذة
عشر تك ، ونعيم صحبتك ، وحسن مرافقتك ، ويمن

موافقتك، انساني كل بلية، وآمنت بذلك عن كل رزية،
فدهاني من التنكد، ودهمني على غفلة من التوزع والتبدد،
مثل ما اصاب ذلك الهدهد، فسأله اخو نهشل، سرد
ذلك المثل قال ابو نوفل، ذكروا ان الله مجري الخير
علّم بعض عبيده منطق الطير، فصاحب منها هدهدا،
وازداد ما بينهما توددا، ففي بعض الايام مر بالهدهد
ذلك الامام، وهو في مكان عال، ملتفت على ناحية
الشمال، وهو مشغول بالتسبيح، يسبح الله بلسانه
الفصيح، فناداه يا صاحب التاج، والقباء الديباج،
لا تقعد في هذا المكان، فانه طريق كل فتان، ومطروق
لكل صايد وشيطان، ومقعد ارباب البنادق، ومرصد
اصحاب الجلاهق، قال الهدهد انا عرفت ذلك، وانه
مسلك المهالك، قال فلاي شيء عزمت على القعود فيه،
مع علمك بما فيه من دواهيه، قال اري صبيا، واظنه
غبيا، نصب لي فخا، يروم لي فيه نخّا، وقد وقفت
علي مكايده، ومناصب مصايده، وعرفت مكيدته اين
هي، والي ماذا تنتهي، وانا اتفرج عليه، واتقدم
بالضحك عليه اليه، واعجب من تضييع اوقاته،
وتعطيل ساعاته، فيما لا يعود منه عليه نفع، ولا يحصل
في قفاه سوي الصفع، واسخر من حركاته، وانبه من يمر
علي خرق غباوته، فتركه الرجل وذهب، وقضي حاجته

وانقلب

وانقلب، فرأى الهدهد في يد الصبي، ويلعب فيه لعب
الخالي بالشجي، ولسان حاله، يلهج بمقاله شعر

كعصفورة في كف طفل يهينها، تقاسي حياض الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل فيرثي لحالها، ولا الطير مطلوق الجناح فيذهب

فناداه وقال يا أبا عباد، كيف وقعت في شرك الصياد،
وقلت لي انك وعيت، ورأيت من نكرم ما رأيت، قال اما
سمعت ان الهدهد اذا نقر في الارض يعرف مسافة ما بينه
وبين الماء ولا يبصر شعيرة الفخ، وذلك لينفذ ما كتبه
الله تعالى وقدره، من قضائه وقدره، وناهيك في قضية
القضا والقدر، قصة آدم ابي البشر، عليه السلام
واحتجاجه مع موسى الكليم، عليهما الصلاة والتسليم،
لما جرت عليه احكام القضا والقدر، غطى بحجاب نسيانه
فلم ترجمال طلعة مصلحته عين البصيرة ولا البصر
فتمشت مشيئة الله السابقة في علمه، وجرى ما لم تدركه
فحول العقول في ميدان ارادته من سوابق حكمه وحكمه،

وانشد

يا سايلي عما جرا، والعين مبصرة القدر
اوما سمعت بان اذا، جاء القضا عمي البصر

وانا لما اغتررت بحدة بصري، ذهلت عما يجول في فكري،
فتغطت حدقة استبصاري، فوقعت في فخ اغتراري،
ثم قال ابو نوفل، وقد اثر فيه ملام ابي نهشل،

دع عنك لومي فان اللوم اغرا، وداوني بالتي كانت هي الداء، وانما اوردت هذه الحكاية، لتخفف عني ما في تقريعك وتوبيخك من نكاية، وتعلم ان الامور كلها، جلها وقلها، جارية على حسب ما قضاه الله تعالى وقدره، وزبره في سابق علمه في اللوح المحفوظ وسطره، واذ كانت الاحكام في هذا الباب، تضاف الى العلل والاسباب، ولا شك في هذا ولا ارتياب، فقد مر ان الذهول اشغلني عن الفضل بالمفضول، وان كان هذا العذر غير مقبول، فان الجهل لا يكون حجة، ولا تخلص السالك الى سواء المحجة، وقد طال الكلام، والحق بيدك والسلام، واما الان فجل المقصود، اللطف المعهود، وقديم الصداقة، واكيد المحبة والعلاقة، وتعاطي عطف الخواطر الملكية، ورجوعها الى ما كانت عليه من الصدقات السنية، والعواطف الملوكية، واقل الاقسام الخلاص من هذه البلية، وعلمك قد احاط يا اوثق مناط، اني شخص وحيد، بين ملازمي الخدمة فريد، لم يكن لي اخ سواك، وانت مشتكاي وانا مشتكاك، وهذا اوان الفتوة، وزمان المروة، وعدم التخلي عن الاخوان، والانبعاث بالهمة الثابتة الاركان، والسعي في خلاص الصاحب القديم، من مخاليب هذا البلاء العظيم، واسالك بسالف الخدمة، والمودة ذات

القادمة

القدمه، ان لا تذكر ما سلف، من التقصير الموجب للتلف، فاني معترف، اني للذنب مقترف **شعر**

جاوزت في اللوم حداً قد اضربه، من حيث قدرت ان اللوم ينفعه

واني اذا تفكرت، وتصورت ما وقع وتذكرت، واذ كان مضى، يضيق بي الفضا، واغرق في عرق الحيا، وتسود في عيني الدنيا، وكانه في هذا القبيل، عني قد قيل

شعر

كان فوادي في مخاليب طائر، اذا ذكرت يشد به قبضا

وهذا القدر من الايلام يكفي، فاني استحلي عنان مرارة حتف، ثم علا زفيره وشهيقه، وبدا من لهيب قلبه بريقه، ومن وادي جفنه عقيقه، حتي خيف عليه غريقه وحريقه، ورق له عدوه وصديقه، وبكي لبكائه فريقه ورفيقه، وقال له اخو نهشل، اعلم ايها الاخ المفضل، اني لم اقل ذلك الكلام، للعذل والملام، فضلا عن ايحاش قلب وايلام، ولكن لما تالم جناني، اجري الله ذلك علي لساني، ولم يكن لذلك الحديث باعث، ولا قصد عابث او عايث، ولكن وفور المحبة وفرط الصدق اوجب التلفظ بذلك النطق، وكيف لا ادرك دقيق هذه المعاني، وانا من ثمار فضايلك جاني، واما بذل الاجتهاد، من اهل الوداد، فهل يخطر ببالك غير ذلك، ويابي الله والاخلاق الكريمه، وما علمته مني من همة

وسيمه، وهمة وشيمه، وفواضل فضايل من فوايح عصا
خصايلك اقتبستها، وشوامل شمايل من روايح ايصالك
احتبستها، ان اتخلف عن التعلق باهدابها، او اغلق ابواب
مقاصدها في وجوه طالبيها، وانا ان لم ابذل مجهودي،
واصرف موجودي، في مساعدة خلي وصديقي، وصاحبي
ورفيقي، وارعا حق المروة، والصداقة القديمة والاخوة،
والا اي فايدة في وجودي، لوالدي ومولودي، وطارفي
وتليدي، وصديقي وودودي وقد قيل اربعة اشيا
فرض عين، في شريعة المروة على المحبين الاولى المشاركه
في النوايب، وتعاطي دفعها من كل جانب الثانيه
اذا ضل احدهم عن طريق السداد، يردونه الى سبيل الرشاد،
ولا يتركونه على غير الصواب، بل يستعطفونه بالطف
خطاب الثالثه اذا صدر من احدهم نوع جفا يتلافونه
بالوفا والصفا، ولا يتركونه على شفا، ولا ينسون الوفاء
القديم بالجفا الحادث، فربما يتفرع على ذلك ما يوكد من
العوايث، الرابعة لا يواخذون المقصر في حالة الغضب
بل يرجون عقوبته الى ان يطفى اللهب، فربما يتعدى
بواسطة الغضب الحسد، فيقع بسبب ذلك بين
الاصحاب نكد ثم اذا با نوفل، قال لاخي نهشل،
المبادرة اولى التلافي، كيلا يسبق حسود الى تلافي،
وهذا المصاب انما جاء بغتة، واخذ قلوبنا واسماعنا

يوثر

بغتة

بهته، فاعمل فكرك القويم، وتوجه الى التدارك بقلب
سليم، فقال ها انا اذهب الى الفوز بهذا المطلب النافع،
واقوي العزيمه واجتهد في دفع الموانع، واول ما ابتدي
بقصد الملك، وانظر ما يصدر قولاً وفعلاً منه في هذا
الامر المشتبك، فابني على ذلك ما يناسبه، واجاريه
فيما يميل خاطره اليه ولا اجاذبه، ثم توجه الى الملك
ودخل عليه، فوجد الدب جالساً بين يديه، وقد بلغه
قضية النديم، وانه قد حل به العذاب الاليم،
فاغتنم الفرصه، وبادر ليتمم على ابي نوفل القصه،
ويتعاطى في امره قصة وحصة، فاراد اخو نهشل ان
يفتتح الكلام، ثم افتكر في انه ربما يعاكسه الدب
في المرام، وانه اذا قام في المناقضه، فلا يمكنه مقابلته
بالمعارضه، وان سكت في السكوت كالرضى، وان وافق
فعلى غير مراده مضى، فامسك عن الكلام، وراى
السكوت مقتضى المقام، ثم امعن النظر، واجال قداح
الفكر، فراى انه ان فال المجلس، من غير ان يفصح بشيء
وينبس، ربما يفوت المقصود، او يسابق بالمعاكسه عدو
او حسود، لا سيما مثل الوزير، الرفيع الخطير، صاحب
الراي والتدبير، وهو عدو قديم، وفي طريق الخزي
نظير عديم، وان بادر الملك بكلام، ربما يقع من قلبه
بمقام شعر

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى، فصادف قلبي خاليا فتمكنا
فيتلقاه الملك بقبول، فيصول كما يختار في ميدان الفتك
ويجول، فتتعقد الامور وتتعصد، وتتعقف الاخلاق
الاسدية وتتعود، فراى الاولى المبادرة بالكلام، والوقوف
في مقام الشفاعة انسب بالمقام، فان عارض احد عرف
ان جوهر كلامه عرض، وان اعتل احد في ذلك علم ان
سبب علته مرض، ويعلم ببديهة العقول، ان شفاعته
في حق صاحبه اقرب الى القبول، لانها خاليه عن الفضول
وانه ليس له غرض، ولا هي لاجل عرض، وكان الملك
قد سمع كلامه، بعد معرفته مرامه، والقاية على ابي
نوفل عذله وملامه، فكلامه بلا شك مقبول، وما لاحد
عنه عدول، وكان الدب منتظرا خروجه من عند
الملك، حتى يختلي بالكلام معه وينهمك، فادرك
اخو هشل هذا المرام، فوقف في مقام الدعا وبادر
بالكلام، ثم قال بعد اداء وظايف الدعا، والقيام بما
يجب من مراسم الثنا، العلوم الشريفه، والارا المنيفه
محيطة من عادات الملوك العظام، واخلاق السلاطين
الكرام، العفو عن الجرايم، والاغضاء عن العظايم، لا
سيما اذا صدر ذلك عن احد من المخلصين، والعبيد
المختصين، عن سبيل السهو والخطا، لا على سبيل العمد
والاجترا شعر

من

من ذا الذي ما ساء قط، ومن له الحسنى فقط

وكان العبد الاقل، ابا نوفل، الواقع في الخطر الخطير، المعترف بالذنب والتقصير، متوقع من صدقات مولانا الملك عفوها ومراحمها، وما اعتادها من حلمها الشامل ومكارمها، وتحتم على الملوك القيام بالشفاعه دون سائر الخدم والجماعه، اذ كان رفيقا نديما، ومصادقا قديما، ولم يقصد المملوك بذلك الا سوق الحسنات الكثيفه، في دفاتر الصدقات الشريفه، وقصد الخير وانتشار صيتها في الافاق والاطراف، بالعلم والحلم والعفو والصفح والفضل والعدل والالطاف، فلان الاسد من هذا الخطاب، وعرف ان قصد الشافع انما هو الثواب والصواب، فاطرق مليا، ولم يحر من الاجوبة شيا، فتاثر الدب الخبيث، والعدو القديم لهذا الحديث، وخاف ان يفوت المنا، وان يكون السكوت رضى، والاطراق علامة الحلم، والسكون في الحرب دليل السلم، ومن فوت الفرصه، وقع في غصه، ومتى يقع ابو نوفل المحتال، في مثال هذا الاعتقال، وما اظرف مقال، من قال شعر

وان رايت غراب البين في شرك، فاذبح وكل ودم الافراخ في عنقي

وقال بعضهم

اذا صادفت الاعداء بما لا وفاتهم، اذا لم تطاهم اصبحوا امثال ثعبان

وناهيك برغوث اذا صدته ولم، تجد فركه اشد بليلة سهران
ويا ما تقاسي من اذاه ورقصه، على ضعفه ان صار داخل اذان
وانبري وانبرم، وتصدي للمعاكسه ذاك البرم، وغطي
دساسي لومه بنقوش الكرم، وقال اعلم ايها النديم القديم،
واوفي خديم، ان الواجب على جميع الخدام، ان يكونوا في
الصدق متساويي الاقدام، ولا يقدموا على نصح الملك
غرضا، ولا يطلبوا سوى رضاه على النصيحة عوضا،
ولا يصادقوا الخاين، ولا يصدقوا المماين، ولا يواطئوا
الخاطي، والمذنب المتعاطي، ولا بالكلام الواطي، ولا
يخفوا الخيانة والجنايه، ولا يراعوا في ذلك اذني رعايه،
فمساعد السارق سارق، ومعاضد المارق مارق،
والقيام مع الجاني جنايه، واخفا الجنايه نكايه،
وفي هذا الكلام كفايه، ومن اعتذر عن جناية جان،
لاسيما اذا كان في حق ملك او سلطان، فهو شريك
فيها، بل اعظم جرما من متعاطيها، لان عظم الجنايه،
يا ذا الدرايه، انما هو بحسب المجني عليه، وان ذلك
الوهن عايد اليه، لا على مقدار الجاني، وانت لا تجهل
هذه المعاني، ولهذا قال بعض الافاضل ان معاصي
العباد، يا ذا الرشاد، ليس فيها صغير، وانما كل ما
يخالف الامر كبير، وذلك بالنظر الى جناب الآمر العظيم
القاهر، تعالى وتقدس قال اخو نهشل، كلام مولانا

الوزير هو المفضل، وما اشار به هو الصواب المعدل،
ولكن مولانا الوزير، علمك الخطير خبير، اننا كلنا
محل الخطا والتقصير، ولا يسع الكبير والصغير، الا
الحلم الغزير، والعفو عن كثير، وقال لي من هو البري من
الهفوه، والذي لا يتوقع من الملاك عفوه، وان لم تقع
الشفاعه، في الجاني وذوي الخلاعه، ويخالف سنة
الجماعه، والمحسن لا يحتاج الي شفاعه، ومن يجبر المكسور
وياخذ بيد العثور، فما يجد عند انكسار جابرا، ولا
اخذا بيده حين يصير عاثرا، وقد قال مصنف كتاب
فاكهة الخلفا شعر

اذا اصبحت فينا ذا اقتدار، وامرك في رقاب الخلق جاري
اقل واقبل عثارا واعتذارا، فمن يقبل يقال عند العثار
فما زال الصغار تروم عفوا، وغفران الكبائر من الكبار

واحسن العفو يا ذا السلوك، عفو السلاطين والملوك
لا سيما اذا عظم الجرم، وكبر الاثم، فان العفو اذ ذاك
صادر، من ملك ذي سلطان قادر، مع قوة الباعث
علي المواخذه، وقدرة شامله نافذه، وغير الملوك،
من العاجز والصعلوك، عفوهم انما هو عجز وخشيه،
او لتمشية غرض ومشيه، والملوك انما يوثر عندهم
الخلال الحميده، والخصال الشريفة السعيده، وقد
قسم الحكما والحكام، ما يقع من الذنب والاثام،

اربعة اقسام، فاسمع يا كبير، هفوة وتقصير، وخيانة
ومكروه، وحرروا ذلك وضبطوه، وذكروا لكل جزاء
مقرره، فجزاء الهفوة العتاب، وبه نطق الكتاب،
وجزاء التقصير الملامه، على ما اورث من ندامه،
وجزاء الخيانة العقوبه، فان في ارتكابها للعاقل
صعوبه، واعظم بعقابها مثوبه، وما يرتكب المكروه،
الا الغافل المعتوه، وجزاؤه ايضا المكروه مثله،
وهذا على مقتضى العقل وعدله، والذي صدر في
سابق القدر، من المخلص ابي نوفل، انما هو هفوة بها
زل، وجزاؤه على هذا الحساب، انما هو العتاب، وقد
استوفاه وزياده، وفي هذا لمولانا الملك الاراده،
فان شاء عاقب على الذنب اليسير، وان شاء عفى عن
الجرم الكبير، والهفوة لا يكاد يسلم منها الخواص،
فضلا عمن هو في شرك العبودية والاقتناص، ولان
يوثر الفضل عن الملك، وعلى طريق عفوه يسلك الدرب
المنسلك، خير من ان يوثر عنه لنفسه الانتقام، ويخلد
ذلك على صفحات الايام، ولا شك ان سيرة العفو
والفضل، افضل من القصاص والعدل، وذلك هو
الاليق بالحشمه، والاوفق للحرمه، والاجدر
لناموس السلطنه، والابقى على مر الدهور والازمنه،
ولقد كان جماعة من عظماء الملوك والاكابر،

يجعون

يَبْتَهِجُونَ بمن يتعاطى الذنوب والاجرام من الاصاغر ، لا سيما لمن يتعرض لذات الملك ونفسه ، ويستعين بطوايف على فساده من ابناء جنسه ، فاذا قدروا عليهم عفوا ، وتلذذوا بالصفح والاحسان واشتفوا ، وحسبك ابا جهينه ، ومن فضله اعذب من بينه ، وواقعة ابن سليمان ، المخلدة على مر الزمان ، وما تضمنت من مكارم الاخلاق ، التي تعطرت بها الافاق ، فتوجه الاسد اليه وسال قال اخبرنا ابا هشل ، كيف كان ذلك المثل ، مثل ابن سليمان وما تضمن من مكارم الاخلاق التي تعطرت بها الافاق ، قال لما انتهت ايام بني امية ، وتطرزت خلع الايام باعلام الدولة العباسية ، واشرق بصبح طلعة ابي العباس السفاح ، في دياجير الدهر ايمن صباح باحسن فلاح ، اختفت نجوم افلاك بني امية ، وكواكب من بقي من تلك الزواهر المضية ، وكان منهم ابراهيم بن سليمان ابن عبد الملك بن مروان ، وجعل السفاح يتطلبهم ، ويرغب من يدري بهم ويرهبهم ، الى ان ظهر سليمان ، وكان من امره ما كان ، فحكي انه كان بالحيرة ، مختفيا وهو في حيرة ، قال ففي بعض الايام ، تراءيت وانا على سطح فرايت سواد اعلام ، فوقع في نفسي ، وغلب على حدسي ، انها بسببي وقد جاءت لطلبي ، فتنكرت في الحال واختفيت ،

وخرجت من الحيرة والي الكوفة اتيت، فدخلتها خايفا
اترقب، ولم يكن لي فيها مترصد ولا مترقب، ولا صديق
اركن اليه، ولا صاحب اعول عليه، فصرت في تلك
البلاد، كالشاعر الذي انشد في بغداد شعر

بغداد دار لاهل المال طيبة، وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران امشي في ازقتها، كانني مصحف في دار زنديق

فادّاني المسير، الي باب كبير، منظر جليل، وداخله
دهليز طويل، ليس فيه احد، من الحجاب والرصد، فدخلت
اليه، وبه مكان فجلست عليه، واذا برجل وسيم، جميل
الشكل جسيم، علي فرس جواد، مع طايفة من الاجناد،
فدخل الي الدهليز من الباب، وفي خدمته غلمانه
والاصحاب، الي ان نزل عن دابته، وانفرد عن جماعته
فلما راني في وجيف، قال من الرجل قلت مخيف، علي
دم وقد استجرت بديارك، ونزلت في جوارك، فقال
اجارك الله، فلا تخف من سواه، ثم ادخلني حجرة لطيفه،
تشتمل علي اشيا ظريفه، قد جعلها مضيفه، فمكثت
عنده حولا، في نعمة صولا، واجول في مكارمه جولا،
ولا يسلني فعلا ولا قولا، بل كان يركب من الاسحار،
وينزل اذا انتصف النهار، وذلك كل يوم، لا ياخذه
عن ذلك سنه ولا نوم، فسالته بعض الايام،
ونحن في اهنا مقام، وقد صرت محرم سره، ومراة

قلبه

قلبه وصدره، عن ركوبه ونزوله، وموجب تنقله
وحلوله، فقال أنا إبراهيم بن سليمان، بن عبد الملك
بن مروان، قتل أبي صبرا، وأورثني لذلك نكدا وضرا،
وأوهج في فؤادي لهبا وجمرا، وقد دارت ببني أمية
الدوائر، وبلغني أنه في الكوفة مختفٍ حائر، فأنا كل يوم
أركب إليه، وأطوف عليه، لعل الله تعالى يوقع به،
لأشفي قلبي بقتله من كربه، فآخذ بثاري، وأكشف عن
عاري، وأطفي لهبي، وآخذ ثأر أبي، قال ابن سليمان،
تعجبت من قضاء الرحمن، وكيف ساقتني رجلي، إلى
شبكة أجلي، وأمشاني القدر برجلي، إلى من هو دائر على
قتلي، فاستحييت منه ومن الله، وكرهت عند ذلك
الحياة، فسألت الرجل عن اسم أبيه، لأتحقق ما يبديه
وينهيه، فأخبرني فعرفته، وتذكرت أني قتلته،
فقلت يا هذا قد وجب علي حقك، وأنا غريمك ومسترقك،
وقد قرب الله خطاك، وأنالك منتهاك، فقال وما ذاك
فقلت أنا إبراهيم، الذي على طلبه تهيم، وأنا قاتل
أبيك، فافعل بي ما يرضيك، وخذ ثأرك، وأطف
نارك، واشف أوارك، فقال كأنه طال بك الجفا،
وأضر بك الاختفا، فأردت بالموت الخلاص،
واعتللت بدعوى القصاص، فقلت لا والله الذي
علم السر وأخفاه، بل قلت الحق، ونطقت بالصدق،

وخلاص الذمة في الاولى، اخف من قصاص الاخرة واولى،
وانا فعلت بابيك الاذا، في يوم كذا ومكان كذا بسبب
كذا، قال فلما علم ذلك مني، وتحقق انه صدر عني،
احمرت عيناه، وانتفخت شفتاه، وقامت عروقه،
ولمعت بروقه، وازبدت شدوقه، واطرق الى الارض،
وكاد يأكل بعضه البعض، وجعل يرجف ويرعد، وينهض
ويقعد، ويزار كالاسد، ويتململ كريشة يقلبها الريح
في قاع البلد، واستمر على ذلك زمانا، يتامل ما يفعله
اساءة واحسانا، الى ان سكنت رعدته، وبردت همته،
فامنت سطوته، وخمدت سورته، ثم اقبل علي، ورفع
راسه الي، وقال اما انت فستلقى ابي غدا، فيقتص لك
منك جبار السما، واما انا فلا اخفر ذمتي، واضيع جواري
وحرمتي، ولا يصل اليك مكروه مني، ولكن قم واخرج
عني، فلست آمن نفسي عليك، فاني لا اقدر بعد اليوم
ان انظر اليك، ثم دفع الي الف دينار، وقال استعن
بها فيما تختار، فلم آخذها ولا نظرت اليها، وخرجت
من داره فلم اعرج عليها، ولم ار اكرم من ذلك الرجل ولا
احلم، ولا اعظم مكارم منه ولا احشم وانما اوردت
هذه الحكاية، وفي الله مولانا الملك شر النكاية، ليعلم
ان الذنب الكبير، يستدعي العفو الكثير، ممن قدره عظيم
وحسبه جسيم، ونسبه كريم، كما قيل في محكم الكتاب

الحكيم

الحكيم، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي
هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم، وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا
ذو حظ عظيم **فقال** الوزير ناموس السلطنة
وحرمتها، وابهة المملكة وحشمتها، لها
شروط، كل منها محدود محوط، لا بد من اقامة اركانها،
وتشييد بنيانها، يجب على الملوك ذلك، ويفترض القيام
به على سلاطين الممالك، والاخلال برعايتها وهن في
الولاية، فلا غنى عن العمل بها ومراعاتها احسن رعاية
فمن ذلك انه لا يسامح جماعة، ولا يغفل عنهم وعن
كيدهم ساعة فساعة، ولا يركن اليهم في اقامة ولا سير،
فانه لا يصدر عنهم للملك ولا للمملكة خير،
منهم من يعزل عن منصبه، من غير وقوف لعزله عن
سببه، ومنهم من يوالي اعداء الملك، فانه ذو اجترام
منهمك، ومنهم من يراعي مصلحة نفسه، ويقدمها
على مصلحة مخدومه في حالتي رخاءه وباسه، ومنهم
من يطلب على خدمته مكافاه، فان لم يكافا ترك
الموافاه، ومنهم من يتعرض سقطه، لموجب سخطه،
ومنهم من يفشي سره، ولا يراعي خيره وبره، ومنهم
من ينتقص حرمته، وينتهك عظمته، ومنهم
ذو الطبع اللئيم، المفسد في الحريم، ولا شك ان

ابا نوفل المهمل المغفل، قد ارتكب بعض هذه الصفات، وهو متلبس ببا قي هذه الحركات، وهذا يدل على لوم اصله، وشوم محله، وسوء طويته، وافساد نيته، ومن اكرم اللئيم فهو الملوم، وهذا امر معلوم، وانه قيل شعر
اذا انت اكرمت الكريم ملكته، وان انت اكرمت اللئيم تمردا
فقال اخو هشل الفقير، لا تقال ذا ايها الوزير، فان ابا نوفل عبد خديم، ومخلص قديم، وظريف نديم، ومحرم صدوق، ومقدم شفوق، امين ثقة، ذو وفاء ومقة، محب ناصح، وجليس صالح، لم يعلم مولانا الملك عليه الا الخير، ولم يزل يسير في طريق العبودية احسن سير، ولم نطلع عليه بشيء يشوبه، ولا يشينه في درايه ولا يريبه، بل هو ملازم وظايف عبوديته، مباشر لما يجب عليه من شرايط خدمته، لم يصدر منه ابدا غش لمخدومه، ولا خروج عن امتثال او امر مرسومه، فان صدر منه هفوة نادرة، او جفوة سادرة فحكم مولانا الملك لا يقتضي، بل ولا يرتضي، اطراح هذه الاوصاف المتعاضدة، لاجل هذه الزلة الواحدة، وقد قيل شعر
فان يكن الفعل الذي ساء واحدا، فافعاله اللاتي سررن الوف
مع انه قد حصل له من كسر الخاطر، ومن احتراق القلب وكلفة الماطر، ما لا يجبره الا العواطف السلطانية،

والمراحم

والمراحم الشريفة الملوكية، ونظرة من الحنو والعطف،
وذرة من الشفقة واللطف، تكفيه ومن أليم الجفا
تنجيه، وبعد شرة الممات تحييه، ولا فالو نعرف أحدا
يجبر وهن ذلك الكسير أبدا، والآراء السلطانية تزيد
العلو، ولعالي مقامها درجات السمو، والعطف
والحنو، ثم عطف قايلا وعلى الادب، وقد حفر في طريق
مكيدته لايقاعه الجب، أما أنا مع قلة البضاعة،
واحتقار مقامي بين الجماعة، أقمت نفسي بما يجب
عليها في مقام الشفاعة، ولا أقصر فيها ولا أرجع
عنها، وأخوت تخصل من يشفع شفاعة حسنة
يكن له نصيب منها، وأسأل صدقات مولانا أبي
الكماس، المساعدة في إنجاز هذا الالتماس، وأن يكون
شريكا في إحراز هذا الخصل، والوصول إلى أنواع الفضل
من هذا الفضل، وأن يرد عنا فيه، ومن يشفع شفاعة
سيئة، وأرجو من وزير الممالك، أن لا تقع مخالفة في
ذلك، فإن من سكن الكرم في ربعه، لا يصدر منه
إلا ما يليق بكرم طبعه، واللئيم يتكلف، بل يتعسر
عليه ويتعسف، إذا شرع في مكارم الأخلاق،
ويتعاطى منها ما لم يقسمه له مقسم الأرزاق،
فترى وجوه محاسنها في مكامنها، تستتر منه
بنقاب النشوز، وأبكار خدورها الحسان في قصورها

تتراءى لعينه للحول في صورة أشوه عجوز، فلا يطاوعه
لسانه في طيب المقال، ولا يبعثه جنانه إلى مباشرة
أحسن الفعال، والناس على دين ملوكهم، سالكون طريق
سلوكهم، وحيث كان مولانا الملك مجبولاً من الشفقة
الكاملة، والمراحم الشاملة، فكلنا يجب على ذمتنا،
ويلزم ذمة همتنا، أن نتخلق بأخلاقه العلية،
ونتشبث بأهداب شمائله المرضية، ونتعاون
جميعاً على التزيين بملابسة ملابسها البهية،
ونستضيء بل نهتدي في دياجير المعاش ببدر دراري
أفلاك صفاتها الزكية، فإن العبد فيما يتعاناه، مجبول
من طينة مولاه، وأن الله جل وعلا، لا يضيع أجر من
أحسن عملا، قال فالجم الدب الساقطة، بما فعله معه
من المغالطة، ثم أمسكوا عن الكلام، وانتظروا ماذا
يصدر من الضرغام، فلم يبد خطاباً، ولا أنهى جواباً
سوى أن قال، صلوا في الرحال، ولا تبدوا ولا تعيدوا،
ولا تنقصوا في هذه القضية ولا تزيدوا، حتى أمعن
فيها النظر، وأستشير فيها مصيب الفكر، فمهما
أستقر عليه الرأي، وأرشد إلى اتباعه هداي، أطلعتكم
على سر حاله، وتقدمت إليكم بامتثاله، فلما انصرفوا
توجه أخو هشل إلى الجبس، وذكر لأخيه ما جرى بينه
وبين ذلك النحس، ثم قال له ابشر بالنجاح، والصلاح

والفلاح

والفلاح، فقد رأيت في جبين الملك للفوز أنور صباح،
ولا شك أن الله الغفور، يجري على يدي ولساني من
الأمور، ما يجلب السرور، ويذهب الشرور، فكن
أوثق صبور، وأن حصل في الطريق، عقبة تعويق،
فلا يكن في صدرك حرج، فأن وراها باب الفرج،
وأن الظفر مقرونة بالصبر، والعسر مشفوع باليسر،
وقد أجاد، صاحب الانشاد شعر
اصبر على ما جرا من سابق قدما، فمركب الصبر بالامهال يلحقه
فشكر له جميل سعيه، ثم أعرض عن مشيه وغيه،
فقال كنت أرى أن هذه القضية توخر، ويرجى السعي
في أمرها ولا يذكر، وسبب ذلك أن الطالع قد أدبر
والحظ عن المساعدة قد تأخر، وإذا تحرك الشخص
والسعد ساكن، وتبسم الدهر وهو باك، وطلب
شكر مسالمته وهو شاك، فهو كقاطع البحر بالمراكن،
والباني على سبخة أماكن، لا يصلح له عمل، ولا ينجح له
أمل، فيشبه إذ ذاك الحمار، المعصوب العينين في
المدار، يقطع في المسير زمانه، ولا يفارق مكانه،
كذلك من تعاطى الأعمال، والسعد غير عمال، فلا
يستفيد، إلا التعويق والتبعيد، ففي تلك الحال،
ينبغي الاستمهال، لا الاهمال، إلى أن يتوجه السعد
بالاقبال، فعند ذاك، مد الشباك، وصد السمك

فان السعد اتاك، والدهر وافاك وآماك، وناهيك
قصة كسري القديم، مع وزيره بزرجمهر الحكيم،
فسال اخو هشل، بيان ما نقل، اخوه ابا نوفل قال
بلغني ان كسري اراد التنزه، فثني الي حديقة عنان
التوجه، وطلب الحكيم بزرجمهر، وجلسا تحت
دوحة زهر علي بركة ما، اصفي من دموع العشاق
وانقي من قلوب الحكما، ثم طلب طايفة من
البط، ليلعب قدامه في البركة وينغط، وجعل
ينادم وزيره، ويتلقف منه حكمه المنيره، ويتفرج علي
الطير وهو يلعب، ويتامل في انواع حكم الصانع القديم
ويطرب، وصار يعبث بالخاتم في اصبعه، ويسرح
في رياض الصنع سوايم منظره ومسمعه، فسقط الخاتم
من اصبعه وهو ساه، وشاهد بزرجمهر هذا الامر فما
ابداه ولا انهاه، فالتقمته بطه، وغطت في الماء
غطه، وكان فيه فص ثمين، وكسري به من المغرمين
فلما سود قلم الاقتدار، بياض النهار، واكمل مشقه
علي قرطاس الاقطار، اذن كسري للوزير بالانصراف،
وقد اسبغ عليه نعم الالطاف والاسعاف، ودخل
كسري الي الحرم، وافتقد من اصبعه الخاتم، فلم يذكر
ما جري له، ولا وقف علي كيفية الحاله، فارسل يطلب
الوزير البارع، وسال منه علي خاتمه الضايع، وكان

الوزير

الوزير قد نظر في الطالع، فرأى أن الكلام في أمر الخاتم
غير نافع، فلو تكلم بصورة الواقع، ذبح جميع البط
وما وجد لأن الطالع مانع، فكتم أمره وكلمه بكلام
لحقيقة الجد جامع مانع، ثم انصرف وذهب، واستمر
كسرى على الطلب، ولم يزل بزرجمهر يراقب الأوقات،
وينظر في أحوال الساعات، إلى أن استقام الطالع،
وزال من السعد المانع، وتيمن الفال، وحال الوبال،
فتوجه بزرجمهر إلى خدمة مخدومه، وأخبره بما كان
مخفيًا من أمر الخاتم في جيب مكتومه، وأنه سقط من
إصبعه، وهو على البركة في موضعه، فبادرت
بطة إلى الغطة، فخطفته وابتلعته، بعدما التقفته
فأحضروا البط جميعه، وذبحوا من عرضه واحدة
بديعة، فوجدوا الخاتم في حشاها، ولم يحوج إلى ذبح
سواها، ثم سأل كسرى الحكيم الأديب، لم لم يخبر
بهذا الأمر الغريب، في أول وقوعه وصدوره، وما
موجب تأخيره، فقال كان إذ ذاك الجد في انعكاس،
والسعد في انتكاس، والطالع في سقوط، والنجم في
هبوط، وأما الآن فالطالع استقام، والسعد كالخادم
أقام، ونجم السعود خال، عن الهبوط والوبال، وفي
استقامة السعد وإقباله من بعد، يفعل الشخص ما
يشاء، فالدهر معه جار سواء جار أو ما شاء، وإنما

اوردت من هذا التنظير، لتعلم ان معاناة التقديس
امر خطير، وخطب عسير، فربما يفرغ الانسان
جهده في المبالغه، ويكون الامر فيه ممانعة ومراوغه،
فينعكس المرام، ولم يحصل سوى اضاعة الايام، ولم
اذكر هذه المفاوضه، الا على سبيل المعارضه، لما
اعلم منك من وفور الفضيله، وان مقاصدك على كل
حال جميله قال اخو هشال الامر كما زعمت،
واشرت به ورسمت، ولكن اخشيت ان لم ابادر،
يسبقني عدو غادر، او حسود ماكر، او مبغض مكابر،
فينهي الى المسامع ما ليس بواقع، فلم تشعر ايها البطل،
الا وقد ولج قلب الملك ما اختل، واستقر فيه انواع من
مكر ودخل فيصير كما قيل
اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى، فصادف قلبي خاليا فتمكنا
لا سيما وقد تقرر في الامثال، عند غالب الرجال، ان
الدعوى لمن سبق، لا لمن صدق، وبالجملة يا ابا عويله،
اذا كانت مقاصد الشخص جميله، فان الله تعالى
ينجحها، ولا يفضحها، ويدبرها، ولا يدمرها، وان
كان في الظاهر، وعند البادي والحاضر، يظهر
في بعض القضايا نوع هم وغم، ولكن ذلك السر لم يقف
عليه الا مدبر العالم، واذا فوض الشخص الامور، الى العزيز
الغفور، الذي هو مدبر الطالع والغارب، وفي الحقيقه

رب المشارق والمغارب، وعلم ان مقاليد الامور بيد
تدبيره، وان ملوك الارض واملاك السما تصرف
تحت تصريف تقديره وتسخيره، استراح في كل المطالع،
واخلص التوكل فنجاه الله من كل الوقايع،
واوصله الى ما رام من مطالبه، وحسبك قضية
الناصح الاستاد، مع الخاين جاسوس بغداد، وهي
طويلة طايله، في مجلدة كامله، وايضا لم ار فاتح لفا
السلطان، في امرك يا اعز الاخوان، الا لئلا انسب
الى تهاون وتوان، وما من شروط المروة، والصداقة
والاخوة، ان يتخلف الفطن، في مثل هذا الوطن، عن
مساعدة الاصحاب، ومعاونة الاحباب، لا سيما
صديق مثلك، وحبيب متسم بفضلك، واني لم ادع
من انواع الاجتهاد، وما يحسن بيانه في الاضداد،
ولا ابق اداه شيا الا فعلته، ولا امرا الا قد سته
ولا فكرا الا استعملته، وبذلت في ذلك روحي
وجهدي، ومالي ورجالي، واني مباكر باب الملك
وملازمه كاحسن من سالك، فان رايته مكرما مقامي
مصغيا الى كلامي، خاطبته بما يليق، وسلكت في الشفاعة
وحلو العبارة اوضح طريق، وان شاهدت في خلقه
شكاسه، وفي طبعه شراسه، وصعوبة وشماسه،
سلكت سبيل حسن السياسه، وفي الجملة استعمل

تحته

علم الفراسة، في حكم نظير وقياسه، واستعين بالاحباب
والاودا، واغالط المعارضة والمناقض من الاعدا،
واقصد النجح وارقبه، واراقب السعد واخاطبه، واسلك
مع كل احد ما يناسبه، فالعدو اقتله، وفي الحبس ادخله،
والعذول افتله، والمحب احتله، والمبغض ابتله،
ومن تصلب في المدافعة امثله، الى ان ينقضي هذا الامر،
وينطفي هذا الجمر، ويقبل مبشر الاماني بالطبل
والزمر، ثم انه بات مفكرا، وبادر الصباح مبكرا،
الى ابواب السلطان، قبل سائر الخدم والاعوان،
فوجد الدب قد سبقه، وجلس من عين الملك في الحدقه،
وقد فوق سهم الكيد، وصوبه الى شاكلة الصيد،
ولم يبق الا اطلاقه، ليشد من الموحي اليه وثاقه، فقبل النديم
الارض واعلن سلامه، وقطع على ابي جميل الخبيث
كلامه، وعارض ملامه، وناقض مرامه، وقال
ادام الله ايام السعاده، واعوام الحسنى وزياده،
المستمده من ايام بقا مولانا السلطان، وعمر دهره
المخلد على تعاقب الزمان، واوطى قمم الامم مواطي
قدمه، واطاب بطيب حياته معايش عبيده وخدمه،
كانت المواعيد الشريفه، والاراء المنيفه، بالتمام
في امر عبدها القديم، وخديمها الفقير العديم، وجالب
سرورها ابي نوفل النديم، مع ما كان لا يمحا، وعلى صفحات

الرضى واضحا، من شمائل الاخلاق الملوكية، ومكارم
الشيم السلطانية، ان مراحمها ستاخذ بيدي
العاثر، وتقيل عثرته بحسن المآثر، بحيث تشرح
للحاسر، وتربح للخاسر، والمملوك يسال مراحمها،
ويرجو مكارمها، ان لا يخيب ظنه، وان يجبر
بتحقيق ظنه وهنه، وان تجري مماليكها وعبيدها،
على ما عودوها من الصدقات قديمها وجديدها، ثم
انشد، والى الرضى ارشد يقول شعر

ارجو ابا العباس ان يروي، عن ثغره الضحاك نورا يقتبس
فاقرا ان تبسم ضاحكا من قولها، متهللا ونحوي ولا تقري عبس

فتبسم ابا العباس ابتسامه، ظهرت منه بالرضى علامه،
فاشتد الدب من الغيظ، وكاد يتميز من الغيظ، وعلم
ان عقد امره انفرط، ونجم سعده من فلك السعد سقط،
وانه لم يكتسب من كامن القساوة، الا هاتيك العداوة،
وانكشف عند مالكه ما وطاه من مغطى، وقد كان احد
حديث ذلك الموطا، وغلب عليه الوجد في الحال، فخرج
عن دايرة الاعتدال، وسكر من خمرة العداوة فطفح وسطح
وعربد فقال، كل من ستر على اعداء الملك، فهو في الخيانة
والجناية مشترك، وكل من شفع في الجاني، فهو في قيد
العصيان عاني، بل هو اشد من المباشر، اذ هو معاشر
للمتعاطي ومكاشر، والابقا على المعاصي شر منها،

وَالرضى بكفر الكافر فتنة يفرق عنها، وما اظنك ايها النديم
والعارف القديم، لمعرفة هذا القدر عديم، فاذا ابيت
الا الاضرار، ومساعدة الفجار، ومعاونة الاشرار،
فانت حينئذٍ مستخف بهيبته وَلي نعمتك، منتقص
حرمة مالك رقبتك، طالب لاختلاله، مستهون
بمقام جلاله، راضٍ بتسليط الانذال، والاوغاد
والارذال، على انتهاك حرمته، وابتتاك استار
حشمته، ونحن لا نرضى بذي الذمامه، ولا نكيد للخالف
ولا كرامه فعند ذلك استشاط الغضنفر، وتاثر
لكلام الوزير وتغير، وزاوره وزفر، زفرة ونحر، وكاد
ان يثب على ابي جهبر، ثم انه تماسك، وتناهى الغدر
وتناسك، وقال يا ابا سلمه، كبرت كلمه، غيبت الاصحاب
والنميمة بين الاحباب، وساءت حركه، وبئست ملكه،
تناسي الحقوق، وتحاسي العقوق، واطراح جانب الصديق
الصدوق، والرفيق الشفوق، واضاعة خدمة الخديم،
لا سيما النديم القديم، ولم تزل الاصاغر تستمطر مراحم
الرؤسا والاكابر، ولم تبرح الملوك تعطف على
مسكينها الصعلوك، انسيت ما قلت لك، في حقيقة
من مالك، وانشد وقال شعر
ليس المليك الذي تشقى رعيته، وانما الملك من يحفظ الخدما
وايضا لم تزل الاصحاب تساعد اصحابها، وتستعطف

عليها

عليها ملوكها وأربابها، وترفع بحسن السفار، من
ستائر الدهشة حجابها، ويشترون بذلك الأجر العظيم
والثواب الجسيم، والثناء العاجل، والجزاء الآجل،
في صحائف مخاديمهم، ويعدّون ذلك أعظم معاليهم
ويبذلون في ذلك الجهد، ويبلغون فيه غاية الكدّ،
وذلك مما يجب عليهم، ويتقدّم بالمحافظة عليه
إليهم، يستعطفون الأكابر، يستعبدون الأصاغر،
يحبّون بسمر الأوائل يعلمون الأواخر، فأيّ فائدة
واستفادة، أيها الوزير أبا قتادة، في رعيّة ملك
لا تتّفق قلوبهم، ولا تستتر بينهم عيوبهم، ولا يظهر
بالصفا جيوبهم، ولا يتساوى في الوفا حضورهم
وغيوبهم، تراهم في الغيبة يفتّ بعضهم بعضا
فتًّا، ويمزعون لحومهم قتًّا، كبهائم لاقت في مرعاها
قتًّا، وفي الحضور تحسبهم جميعا وقلوبهم شتّى،
إن كان أخو نهشل، ساعد أخاه أبا نوفل، فذاك شيء
يجب عليه، ويندب إليه، فإن صاحبه القديم
وجليسه القويم، وإن تخلّى عنه، فماذا يرتجي منه،
وجو النوائب، هو محك الأصحاب ومجمر المصائب
تظهر من تبر الصداقة اللباب وقد قام في هذه
النوائب بعدّة أشياء كلها عليه واجب أحدها القيام
بحوائجه، والسعي في خلاصه من هذا الأمر الكريه،

ثانيها ساق الي صحايف الحسنات، وقصد رفع الدرجات ثالثها طلب رضي خاطري، وما يشرح صدري، ويسر سرايري رابعها مباعدتي عن الاثام، وخلاص ذمتي من الوقوع في الحرام، فربما يحملني العود والخلق الشرود علي التعدي في الحدود خامسها اشتهار اسمي بالفضل، وعدم المواخذة بالعدل، فيشيع في الافاق، عني مكارم الاخلاق سادسها انتشار صيته بحسن الوفا، والقيام بحقوق الاخوان وعدم الجفا سابعها انه غرس في قلوب الاماثل محبته، وزرع في ادواح الافاضل مودته، وان كان صدر من ابي نوفل ما صدر، فانه اعترف وعنه اعتذر، فنعامل معه بالظاهر، والله يتولي السراير، كما انشد وقيل

شعر

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا، ان بر عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من ارضاك ظاهره، وقد اجلك من يعصيك مستترا

ولو بلغت هذه الحكاية، غاية الشر والنكاية، ما تداني واقعة الملك الصالح، عن عدو المودي المسامح، فقبل الارض، وقام في مقام العرض، وسال الملك الدب بيانها، ليعلم بحسن التصرف وزانها، ويقيس عليها اوزانها قال ذكروا ان بعض السلاطين، قصده له عدو من الشياطين، يحرض عليه الاعادي، ويفسد

عليه الحاضر والبادي، ويجتهد في اقامته ومسيره،
وازالته عن سريره، ويجمع عليه العساكر، فيقابله
ظاهراً بالتواكر، وباطناً بالمواكر، وما افسد منه ما
فسد، الا بداعي الحرص والحسد، فجعل الملك يسترضيه
بالهبات ولا يرضى، ويستدنيه بالصلات ولا تزيد
صلاته الا بعدا، وانشد شعر

وداريت كل الناس الا لحاسد، مداراته عزت وعز نوالها
وكيف يداري المرء حاسد نعمة، اذا كان لا يرضيه الا زوالها

فاضطرب الملك من امره، واشتغل لايقاعه بتدبيره،
وجعل ينصب له شرك الوقايع، ويجتهد في ايقاعه
بكل دان وشاسع، وذلك الباغي احرص من الغراب،
واشهر من الكلاب، والملك لا يقر له قرار، ولا يطيب
له عيش بالليل ولا بالنهار، فكان من حسن الاتفاق،
ان علق ذلك الطاغي ببعض الاوهاق، فحمل الى حضرة
الملك، وهو في قيد الهلاك مشتبك، فلما راه في قيد
النكد، بادر الى الارض فسجد، وقال الحمد لله المغيث،
حيث امكنني منك ايها الخبيث، اترى هذا في المنام،
فهو اضغاث احلام، ام سمح الزمان باهل العدوان،
ثم شرع في السب والتجريح، والتوبيخ والتقريع، واقسم
بفالق الاصباح، وخالق الارواح، ورازق الاشباح،
ليذيقنه كاس الباس، وليجرعنه من خمرة المنية

امقر كاس، ثم امر الجلاد، ان ياتيه بما له من النطع والسيف
والعتاد، وليفعلن مع ذلك من الجراح، ما فعله المصطفى
مع سراق اللقاح، فعلم ذلك الزنديق، انه قد وقع في
الضيق، وانه لا ينجيه من ذلك اخ ولا صديق، ولو
افتدي بشفيق، ولا حميم ولا بشقيق، فضلا عن مال
ولا امثال، او خيل ورجال، فلما غسل يديه من العيش،
بدا في السب والطيش، فشرع في السباب، ودخل من
الشتم في كل باب، ورفع بفاحش الكلام الصوت،
وقال ما بعد الموت موت، فسال الملك احد الوزرا، ما
ذا يقول من الافترا، هذا الظالم البحتري، الباغي المفتري، فقال
يدعوا بدوام البقا، ورفعة مولانا الملك والارتقا،
ويقول ما احسن العفو عند المقدره، واللطف والكرم
ايام الميسره، وان لم يكن مجال للمعذره، ولو جعل
العفو شكر القدره، كان اولا واعلا، مقاما في
مكارم الاخلاق واحلا شعر

ما احسن العفو من قادر، لاسيما لغير ذي ناصر

ويترحم على اسلاف مولانا السلطان، الذي كان
سيمتهم العفو عن ذوي العصيان، وكان ذلك منتهي
لذتهم، وغاية امنيتهم، وما اجدر مولانا الملك
ان يحيي مكارم سلفه، ويجعل العفو كلمة باقية
في خلفه، ولا زال يقول، من هذا المنقول، حتى لان له

القلب

القلب القاسي، ورق قلب الملك الجاسي، فامر باطلاقه
ومن باعتاقه، وكان احد الوزراء وارکان الامراء،
شخص يعاكس هذا الوزير، ويناقضه فيما يراه ويشير،
وبينهما مرت اسباب عداوة، اخلى في مذاقتها
من الشهد والحلاوة، وكل يترصد للاخر زلة، يستوقع
لايقاعه في شبكة البلاء غفلة، فحين راى شقة الحال،
نسجت على هذا المنوال، وجد فرصة للمقال، فتقدم
وقال، ما احسن الصدق، واين كلام الحق، خصوصا
في حضرة المخدوم، وهذا امر معلوم، عدو مبين،
وحسود مهين، لم يدع من انواع العداوة شيئا الا
تعاطاه، والافساد صنفا الا وهياه، وقد اهلك
الحرث والنسل، وبدل جنتي الصلاح من الفساد بخمط
واثل، الى ان مكن الله تعالى منه، وكان تفريع الخواطر
الشريفة عنه، ثم انه في هذا المقام، بين خواص
الناس والعوام، يسلب الاعراض من الامراض، ويجهر
بالسوء من القول، ويصرف في الخنا والسب ما له من قوة
وحول، كيف يحل السكوت عن جرايمه، وتغطية
مساويه وعظايمه، فضلا ان تنجلي سيأته في خلع
الحسنات، وتتحلى سوءها سوء حظ ادعيته بملابس
احسن الدعوات، ومع هذا الطلب له التوقيع والخلاص
من شرك الاقتناص، وهو على ما هو عليه، من الاساءة

المنسوبة اليه، ام والله يا مولانا الامام، والسلطان
الهمام، ما قال الا كذا وكذا من الكلام، وتناول العرض
المصون بالسب والدعا والملام، فتغير خاطر الملك
وتشوّر، وتفكّر في خاطره وضميره وتكدّر ثم قال
ايها الوزير، ذا الصدق في التخبير، والله وحقك،
ان كذب هذا الوزير عندي خير من صدق تلك، فانه بكذبه
ارضاني، والى طريق الحق هداني، واصفى خاطري من الكدر،
واطفى ما كان يلتهب من غيظي من شرر، ونجاني من دم كنت
اريقه، لا يهتدي الى كيفية استحلاله طريقه، فاصلح
بذلك ذات البين، وصار المتعادين احسن محبين، وخلّد
ذكري بجميل الصفات، وسلك بي طريقة اجدادي
الوفات وامّا انت كدرت عيشي، واثرت غيظي
وطيشي، واسمعتني الكلام المرّ، ومسّني منك الضرر،
واما انا فقد اعتقت هذا واطلقته، فلا ارجع في ايذائه
وقد اعتقته، وقد ثبت على هذا الوزير حقوق، لا ينكرها
الا ذوي عقوق، ولا يسعها الاوراق والرقوق، فكذبه
عندي خير من صدق تلك، وباطله احلى على قلبي من حقك،
ولهذا قال ذو الافضال، ما كل ما يعلم يقال وانما
اوردت هذا الكلام يا كرام، لتعلمون ان السلطان
بمنزلة الامام، وان كان له تبع في القعود والقيام، ولا يتم
الا بتمام الاتفاق، بين الرفاق، فاذا كانوا الجماعة

مجتمعين

مجتمعين، طايعين لامامهم مستمعين، اشتقام
القيام، وانتهوا من جميل التحيات الى السلام ولا
ولا يقع لهم انتظام، مع مخالفتهم لحال الامام، هذا
قايم وهذا قاعد، وهذا راكع وهذا ساجد، وهذا نايم
وهذا هاجد، وايضا السلطان بمنزلة القلب
والراس، وبمنزلة الاعضا روسا الناس، وباقي الرعية
خدم للراس والاعضا، منتظرين لما تبرز منه المراسيم
من الزجر والامضا، فاذا اتفقت الاعضا واصلحت،
انتظمت امور كل من الناس والرعية انصلحت، واذا
وقع اختلاف وتباين في الاعضا، صار كل من الراس والقلب
والرعية مرضي، ولقد صدق من قال صلى الله عليه وسلم
وارضي، المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا،
وخلاصة هذا الكلام، ان قصدي ان تكون احوال رعيتي
على النظام لا يقع بينهم شقاق، ولا تنافر ونفاق
ثم ابو نوفل فى كيفية حياته ونجاته، فقد
انتهت وتمت عقوبته، واخذ حده حده، ولا يليق
ان اردّه، وهذا الذي ورثته عن اسلافي، وهو الخلق
اللايق بمحاسن شيمتي واخلاقي واوصافي، فلما سمع
الوزير هذا الكلام، وجرح فواده نصل هذا الملام،
ندم غاية الندم، وعلم انه قد زلت به القدم، وانه لا
حاجته قضى، ولا على صديقه ابقى، ولم يستفد بما

ابدى من النقم، سوى اظهار معادات ابى العتهم، وانه ان تخلص من حبسه وكربه، ورجع عند الملك الى منادمته وقربه، لا بد ان يتصدى لمعاداته وسبه، ولا يفيد بعد ذلك افعاله، ولا يسمع فى ابى نوفل اقواله، فانصرف من عند الملك الظنشار، لا يدرى اين يضع قدمه من الافتكار، حتى وصل الى منزله، واختلى فى فكر بعمله، فادى مصيب الرواد من الاراء، ومفيد القصاد الى السرا، الى السعى فى مصالحة ابو نوفل، وازالة مما وقع من الغبار فى وجوه الصداقة، فتخالل، ثم ادى افتكاره، واورى من زند ارايه شرار، الى ان الذى وقع منه اشتهر، وعلم منه اصحاب البدو والحضر، فاذا طلب من بعد الصلح، فذلك غاية القبح، اذ كل من فى بحر بحث، تحقق ان ذلك جود وعجز، فصار يتزيد هذه الافكار، ويتامل ما فيها، من تحقيق الانظار، وتدقيق الاسرار، وبين ما هو فى بحر الافتكار، يلطمه الموج ويصدمه التيار، دخل عليه صفى صادق الوداد، وهو ظبى اغن يدعى مبارك الميلاد، ذكى الجنان فصيح اللسان، دقيق النظر، عميق الفكر، ذو راى صواب، وشفقة كاملة على الاصحاب، فراه مطرقا الى الارض فى فكر طويل وعرض، فسلم عليه، وتقدم بالسوال اليه، عن تشوش باله، وتوزع حاله، وطلب الوقوف

على ما ناله، لينظر في عاقبة مآله، فأخبرهم بموجب ذلك،
وأنه قد سدّت في وجهه المسالك، فقال مبارك
الميلاد، يا صحيح الوداد، أنت زعمت أن مولانا
السلطان، قد ترك أبو نوفل النّدمان، واطّرحه اطّراحا
لا رجعة فيه، وأنه بعد اليوم لا يذكره ولا يدنيه،
وأن عثرته لا تقال، وغصّته لا تزول وقصّته لا
تقال، هيهات يا أبا الشهران الملوك إن لم يعرفوا
حقوق خدمهم، ولم يثبتوا في ديوان إحسانهم
قدم قدمهم، خصوصاً هذا الملك العظيم، الذي
أنفاس شيمته تحيي العظام الرّميم، ونحن قد أفنينا
عمرنا في خدمته، وإذا قابلنا برد عفوه وحلاوة كرمه،
وغدا إذا واخذنا إنما هو غوادي حلمه وروايح شيمه،
مع أن أبا نوفل، لم يقع في محذور معضل، يوجب
تناسي ذممه، وابتذال حرمته وحرمه، وأنه استغفر
وأناب، واعتذر وتاب، فقال أيها الوزير الأكرم
إن ذا النهى والحجى إذا أراد الشروع في أمر يتأمل من مبدئه
غايته ومنتهاه، وهذا التقدير، كالجلوس المقصود على
السرير، فإنما تنبعث لصنعة النفوس، إذا علمت
بحصول الرفعة من الجلوس شعر
فهيّاك والأمر الذي إن توسّعت، موارده ضاقت عليك مصادره
أما بلغك يا أخي، وأكرم سنخي، حكاية التاجر البلخي،

فقال الوزير، اخبرني بكيفية هذا التنظير،
قال مبارك الميلاد، بلغني ان احد العباد، ممن طاف
البلاد، انه كان في مدينة بلخ تاجر، كثير العروض والمتاجر،
عريض المال والجاه، غزير الضياع والمياه، تكاثر نقوده
الرمال، وتباهي خزاينه معادن الجبال، وتفاخر جواهر
درر البحار، وتسامي بضايعه تلول القفار، ثم تراجع عنه
الحظ، وعامله الزمان بعادة طبعه الفظ، وادبرت
عنه من الدنيا القوابل، ونزلت بساحته موجوق بالاعداء
ام النوازل، وولت وفود معايشه فكادت تنقد السلاسل،
فصار كلما عامل معامله انعكست عليه، حتي نفد جميع
ما بين يديه، فلم ير لنفسه الا التغرب عن وطنه، ه
والاقامة في سكن غير سكنه، فاخذ بعضا من المال،
وخرج من بلاد الشرق الي الشمال، وداوم في الارض علي
الضرب، حتي انتهي الي بلاد الغرب، فاقام بها دهرا،
يتعاطي معاملة وتجرا، الي ان زاد ماله واثري،
ورجع اليه بعض ما ذهب من يديه، ثم اشتاق الي
بلده، ورؤية زوجته وولده، فتجهز اليها وسار حتي
نزل عليها، واراد الدخول الي داره، فاوبقه مشير
افتكاره، الي اعمال النظر، في حالة القضا والقدر،
وانشد الزمان، بلسان البيان، وقال **شعر**
للكون دايرة من قبلنا وضعت، لا بي تضيق ولا من دهرك اتسعت

والسر في جيب غيب الله مكتتم، فلست تدري يد التقدير ما وضعت
فراي ان يتمشيا، متنكرا مختفيا، ويتوصل الى داره، ويتجسس
احوال كباره وصغاره، وما حدث عليهم من الحوادث، وتقلبات
الزمان العابث، فتوجه لما اظلم الى داره وهو يترنم بقوله

شعر

بالله قالي خبرك ، فلي زمان لم اراك

الى ان وصل الى الباب، وما عليه حاجب ولا بواب، فراي
الباب مقفلا، والقنديل عليه مسبلا، وكان يعرف
للسطوح دربا خفيا، فاستطرق منه وارتفع مكانا
عليا، واشرف من الكوة، فراي ربة البيت المرجوة، فوق
سرير الامان، معانقة فتى من الفتيان، كانهما لفرط
العناق، كانا ميتين من الم الاشتياق، فبعثهما قيامة
التلاق، فتلازما والتفت الساق بالساق، ولسان
حال كل منهما يروي عنهما شعر

عانقت محبوب قلبي حين واصلني، كانني حرف لام عانقت الفا

فبادر الى وهلة لغيبوبة عقله، اذ ذاك الشاب
الظريف، معاشر حريف، افسد زوجته، مغتنما
غيبته، وانه في تلك الليلة، استعمل قوله وانشد
يقول شعر

لا تلق الا بليل من تواصله، فالشمس نمامة والليل قواد

فسل السكين، وقصد ذلك المسكين، وصمم على نزوله الى

البيت، وأثارت الفتن بكيت وكيت، ثم استشاب وهله،
واستراد عقله، وأخذ يتفكر، ويتأمل ويتدبر، واستحضر
أحوال قرينته، وأنها في العفة مجبولة من طينته، وأنه لا
عليها إلا الخير، وعدم ميلها عن حلالها إلى الغير، فطلب
قبل الفضيحة، لزوجته مندوحة، فإنه مدة غيبته
طالت، وزوجته إن كانت حالها حالت، فلا بد أولا من
الوقوف عليها كيف استحالت، ثم كف عن الذبح، ونزل من
السطح، وقصد جارة داره، وزوجة جاره، وطرق
بابها، واستنطق كلابها، فخرجت إليه عجوز، وكانت
إلى داره بجوز، وسألت من هو وما مراده، وعن أين
إصداره وإيراده، فقال إني رجل غريب، ليس لي بهذه
البلدة قريب، وبلادي أرض مكة، وكنت أتردد إلى هذه
السكة، وأعامل التجار، وكان لي في هذه المحلة محب وجار
من التجار الكبار، كنت آوي إليه، وأنزل في قدومي عليه،
اسمه فلان، وقد مر علي زمان، وعاقني عنه نوايب
الحدثان، والآن قدمت على هذا المكان، وقد قصدت
داره، ولا أدري أي الجار داره، فلم أعرف له خبرا،
ولا رأيت له عينا ولا أثرا، فهل تعرفين كيف حاله،
وإلى ماذا آل أماله، فقالت نعم زالت عنه النعمة والجاه
الحال، إلى الترحال، فرحل منذ سنين، وكنا في جوار
من الآمنين، وانقطع عنا خبره، وعن زوجته عينه

وانت

وأثر، وطال عليها منتظر، فدعتها الضرورة والأعدا
إلى عرض حالها على الحكام، فأذن لها قاضي بلخ في إبطال
نكاحها بالفسخ، ففسخت نكاحها واعتدت،
فطلبت نصيبها واستبدت، ولقد أوحشنا فراقه،
وآلمنا اشتياقه، غير أن زوجته قامت مقامه،
وأفاضت علينا إحسانه وإنعامه، وهي متشوقة إلى
رؤيته، متشوقة إلى مطالعة طلعته، ومتلهفة
أيام وصاله، متأسفة على ترشف زلاله، فلما وقف
على صورة الحال، سجد شكرا لله ذي الجلال، وحمد الله
على الثبات، في مثل هذه النائبات، وإنما أوردت
هذا المثال، لتعلم طريقة التأمل في المآل، والتفكر
في عواقب الأحوال، فقال الدب دعنا من الكلام،
والأخذ في الملام، وأسعدني في التدارك، فإنك
نعم المشارك، قبل انقلاب العنان، وانقلاب
الزمان، وخروج زمام التلافي من أنامل الإمكان،
وانتقال حل عقدته من اللسان، والبنان إلى الأسنان،
فقال مبارك الميلاد الرأي عندي يا أبا قتادة
المبادرة إلى الصلح والإصلاح، ليحصل النجح والفلاح،
والأخذ في المصافاة، وسلوك طريق الموافاة،
والعمل به باطنا وظاهرا، والاستمرار عليه أولا
وآخرا، ونمحو آثار العداوة، وتناسي أسباب الجفا

والقساوة، واستيناف المودة الصافية، والمحبة
الوافية، وصرف الروح بخود روس فقد الخلة الكافية
الشافية، حتى يقول من راى وسمع الحمد لله آلت العاقبة
الى العافية، واعلم انه لا يصفو لك صاحب، وخاطر
للتكدر عليه مصاحب، ولا يخلص لك صديق، ما
دام تبني له اسوء طريق، والقلوب في المحبة تتجازى،
ان حقيقة فحقيقة وان مجازا فمجازا، وكل شيء بمقدار
وميزان، وكما تدين تدان، وكلما يوجد من تحبه ويبغضك
وتربه ويرفضك، وتصفو له ويتكدر، ولا تتغير عليه
ويتغير، ودونك يا ذا الكرامات، ما قاله صاحب
المقامات **شعر**

وكلت للخل كما كال لي ، على وفاء الكيل او بخسه

وقال آخر

العين تبدي الذي في نفس صاحبها، من المحبة او بغض اذا كانا
والعين تنطق والافواه صامتة، حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وانا ما اقول هذا الكلام، الا من قول خير الانام، عليه
افضل التحيات واكمل السلام، الارواح جنود مجندة
ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وانما
يقع التعارف من الجهتين، والتناكر من الطرفين، ولا
تغالط نفسك، ولا يخيل في عقلك، ان يحبك من
تكرهه، ويزينك من تشوهه، ويقربك من تقصيه،

ويقبلك

ويقيك من ترميه، ويرفعك من تضعه، ويأخذ بيدك
من تدفعه، وقال شعر

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلًا، ما لم يروا عنده آثار إحسان

ثم إن غالب الإخوان، في هذا الزمان، مسلوب
الإنسانية وإن كان في زي إنسان، من أحسنت إليه
أسا، ومن ترققت له قسا، ومن نفعته ضرك، ومن
أمنته غرك، ومن سكنت أوامه بزلال فضلك حرك
وقد أرشد، من أنشد هذا الشعر

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا، وبينه ود ولا نتعارف
فما سامنا خسفا ولا شفنا أذى، من الناس إلا من نود ونألف

وإذا كان هذا فيمن تحسن إليه، وتسبغ سوابغ فضلك
عليه، فكيف يكون حال من تضمر له النكال، وتتمنى وقوعه
في شرك العقال، إني تراه يصفو لك، ويتقاضى سؤلك
ومأمولك، وهو مترقب غيلة غولك، متوقع منك أن
يصيب مقتولك، فماذا عسى تبلغ منه سؤالك وسؤلك
وترى من محبته وودّه مرومك ومحصولك وإنما
وإنما أوردت هذه المقدمات، وإن كانت من فضلات
علمك ورشحات قلمك أسنى مقدمات، إلا لتعاطي
أسباب الصلح أولا في نفسك، ثم تستعمل الوسائط
فيه من أبناء جنسك، فينتج المقصود، ويصفو الورد
المورود شعر

فان القلوب مرآيات الصفات، كما ان السيف مرآة وجه الذوات
فقال الدب انا القى الذمام، في هذا المقام، لنيل
المرام، الى يد تدبيرك، واكتفي في رعي رياضه برايه
رايك وتقديرك، فان فكرك نجيب، وسهم رايك
مصيب، فافعل ما تختار، واذ قنا من اراي رايك
المشار، فقال نقسم اولاً باللطيف الخبير، انك
اصفيت الضمير من الغش والتكدير، حتى يفيد سعيي
ولا يخيب رعيي، وابذل مجهودي في نيل مقصودي
وابني على اساس، واسلك مع الناس مسلك الناس
فبادر الى اليمين، واشهد عليه الكرام الكاتبين،
انه صقال مرآت محبته، وجلا طريق مودته، عن صدا
المداهنة، من غبار المداعبة المباينة، وانه يكتفي
من غدير الغدر بما جرى، ويطوي حديث الشحنا
فلا يسمع الواشي بذلك ولا درى، فليبد لمبارك
الميلاد، جهده في الصلح وسعيه المعتاد، وعقد على
ذلك العهد، وتوجه مبارك الميلاد من بعد، فقصد
منزل خوفشال، فراه في نار همومه في مشعال، وقد
غرق في بحر الافكار، هايم لا يقر له قرار، فسلم عليه
وتقدم بالسوال عن خاطره اليه، وآنسه بالمحادثه
وتذاكر ما وقع من الدب، وكيف اظهر نواقض الحب
وبارز بالعداوه، وابرز بادي حركه موجبات

القساوم، ثم اخذ نهشل في العتاب، وفتح لمبارك
الميلاد من جهة صاحبه وعتابه الباب، فاعترف
عن صاحبه، بان الظلم في جانبه، وانه كان حصل له
من الوهم الكاذب، ما اورثه الوقيعة في جانب
المصاحب، وانه ندم على ذلك، واعترف بان فعله
حالك، ولم يسعه الا الاعتذار، وجبر ما وقع لابي
نوفل من الانكسار، بالسعي في مساعدته، والقيام
معه في جماعته، والتوجه الى حضرة المخدوم، والتلافي
بر هم التصافي ما سبق من جراحات الكلام والكلوم،
ثم اذا خضر من الخواطر الشريفة الاغصان، واثمر في
رياض العفو لجاني الخدم فواكه الرضا، تستانف سوق
المحبة عقود المبايعة، ويروج تاجر الصداقة على
مشتري الحشمة في مظان رغباتها بضايعه، الى ان
يتزايد الوداد، ويتاكد بين جميع العالم الاتحاد، فانهض
يا رئيس الاصحاب، وانيس الاحباب **شعر**

والعمر اقصر مدة، من ان يدنس بالعتاب

ثم نهضا جميعا، واتيا ابو نوفل سريعا، فوجداه في
في اوحج مكان، واوهج زمان، محفوفا بالاحزان،
مكتنفا بالاشجان، وما حال من جفاه اوداه، وشمتت
به اعداه، واقصاه مولاه، وكان غرضه السلطان
فسلما عليه، وجلسا اليه، واعتذر مبارك الميلاد،

بعد تباشير الوداد، ان موجب تقصيري في السوال عنه وتاخيري، ان قلبي الوامق، وطرفي الوادق، لم يطاوعا على روىيته في تلك الحال، ولا سمحت قدمه بالتقديم اليه وهو مشغول البال، ثم تفاوضوا في اسباب الصلح، وقصدوا ابواب النجح، فتجاذبوا اطراف الطرايف، وتفكهوا على موايد التحف واللطايف، ولا زالوا ينسجون خلع الوفاق ويمزقون شقق النفاق، الى ان انعقد اطراف المحبة والوداد وانحلت عقود الحقود والاكياد، وتحقق كل احد من كبير وصغير، ومامور وامير، وجليل وحقير، بخلوص خالص المحبة بين النديم والوزير، وما احسن من قال شعر

ولما ان ترى الفجر يحكي ، جبين الحب او راى الكئيب

فتوجه الوزير ومبارك الميلاد، واخو نهشل ورووس الاجناد، مع ساير الامرا والوزرا، والاعيان والكبرا، حتى وصلوا الى السدة العلية، والحضرة السلطانية الملكية، فقبلوا ارض الطاعة، ووقفوا في مقام الشفاعة، وذكروا النديم ابو نوفل، بما يستعطف به الخاطر المفضل، حتى عطفت عليه مراحمه، وانمحت من جريدة الانتقام جرايمه، وسمح باحضاره لديه، ليسبل ذيل العفو والكرم عليه، ثم يشمله ثوب الرضى وخلع العفو عما مضى، فاسرع نحو ابو نوفل البشير، بما اتفق من الجماعة مع الوزير، ثم وصل القاصد،

وهو

وهو له مراصد، فتوجه منشرح البال، منبسط الآمال،
حتى دخل على الحضرة كالدولة والاقبال، وقبل الحد آله،
ووقف في موقف الجلاله، لا يرفع طرفا، ولا ينطق
حرفا، فوسم بالتشريف والخلع، ليرفع عنه التخويف
والهلع، فتضاعفت الادعية الصالحه، والاثنية
الفايحه، وانشد يقول شعر

بغاديه من ذكره قد تمسكت، بطيب ثنا يحيى الزمان روايحه

واقيمت حرمته، واشتهرت عليه فطنته ثم ان
الملك انتقل من مجلس العاص، الى المجلس الخاص، واجتمع
بالخواص، وعم الخطاب لكل ناص، وحدث وقاص،
وقال ليعلم الوزير والنايب، والامير والحاجب، والصديق
والصاحب، والجندي والكاتب، والمباشر والمحاسب،
والرجل الاتي والذاهب، وليبلغ الشاهد الغايب، ان
مقتضى الرياسه، في الشرع والسياسه، على ما قدره حكما
الملوك، وسلكوا بعباده الله تعالى احسن السلوك، ان
لكل احد من الغني والصعلوك، لا سيما من له من الامر
شيء، او نوع مباشرة على ميت او حي، من له مقام معين
معلوم لا يزايله، ومكان بين لا يقايله، قال الحي القيوم
ذو الملك الديوم، حكاية عن متصرفي ملكه الديموم،
وما منا الا له مقام معلوم، على هذا جرت سنته،
ووردت كلامه وعلت كلمته، وبه امر الشرع، والانسان

مُدني الطبع، والواجب على كل احدٍ من اقامه الله، في
خدمة ملكٍ ولاه، أو سلطانٍ علاه، أن يلازم
مقامه، ويلاحظ في صنف جماعته أمامه، ويراقب
ما يصدر عنه، فقد قيل إياك وما يعتذر منه،
فإذا أراد أن يتكلم بكلام، بحضرة الامام، او بحضور
أحدٍ من الخواص والعوام، يسير كلامه أولاً بمسبار
الفكر والتدبير، ويعير بمعيار التأمل والتبصير،
ثم يسبكه في بوتقة الفصاحة، ويسبكه في قالب
الملاحة، ويصوغه بآلات حسن الانسجام، ويرصعه
بجواهر مقتضى المقام، فإذا وضع هذه الصياغة،
وقعدت على صورة سبكة نقوش البلاغة، وأخرج له
غواص الفكر من بحر المعاني والبيان، فرايد أفكار لم
تظفر بها أصداف الأذان، وخرايد أبكار لم
يفترعها فحول الأذهان، إذ دانت بها من حور جنان
الجنان، ومقصورات خيام الدهور والأزمان، أنايه
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان، فاجتلت مهابة
القلوب والأرواح، والأموال والأشباح، واشتمال
الخواطر، وسحب الأيادي المواطر، فصار الدهر من
بعد رواته، واشتاق ما يرويه عنه معلقة بأذان
نباته، وإن وقع والعياذ بالله ما يورث الندم والحزن،
حصل في سوق باطنه وظاهره الغبن والغبن، وأصابه

ما اصاب نديم فغفور، حين ابتلي بعظايم الامور،
فنهضت الجماعة وللارض قبلوا، عن كيفية هذه القصة
سالوا **فقال** الملك ذكر المخبرون، واخبر المذكورون
انه في قديم الزمان، كان عند فغفور الختن نديمان،
كامل المعاني والبيان، ذو نغمة جزيله، وصورة جميله
وفضايله فضيله، مبرز في العلم، كامل المروة والحلم
محبوب الصورة، مشكور السيرة، طاهر السريرة
ثقيل الراس خفيف الروح قد جال وجاب، وبال
الاعدا والاصحاب، وترشح لمنادمة الملوك والامرا
ومجالسة السلاطين والوزرا، وهو خصيص لملك
الختن والصين، مقبول عند الملوك والسلاطين،
فاتفق له في بعض الايام والليالي، انه كان عند جناب
ملكه العالي، وعنده جماعة من العلما، وطايفة
من الاخصا والندما، وهم يتعاطون كووس اللطايف،
ويتواطون على ما في الدنيا من طرف وطرايف، ويتذاكرون
عجايب الاقطار، ويشنفون الاسماع بخصايص
الامصار، فقال النديم، رايت في بعض الاقاليم
من الاقاليم الحاميه، والبلاد القاصيه، حيوانا
كبيرا سريع السير، متردد شكله بين شكلي الجمل
والطير، يضرب به في الذبذبه المثال، فيقال فيمن
يتعاطى التعلل في الكسل، اذ قيل له احمل يقول

م المراد بالوبال هنا الاختيار
يعني اختيار اعداده واصحابه
بالفتح شر ادهم في العداوة
والصداقة كه الهى

انا طير وان قيل له طر يقول انا جمل، وذكروا ان اسمه النعام، وسائر اوصافه واعضائه على التمام، فتعجب الحاضرون من هذه الصفات، والاشكال والهيئات،
قال واعجب من هذه الصفات، وتلقط الحصيات، وتختطف الحديد المحماة فتزدردها، ولا يتألم لذلك فمها ولا جسدها، يذيب كل ذلك معدته، ولا يتأثر له لسانه ولا ترقوته، فانكر بعض الحاضرين هذا المقال، لكونه ما شاهد هذه الاحوال، ولا رأى ولا سمع خبر طير يأكل النار، ويبتلع الاحجار، ونسبوه الى المجازفة في الاخبار، فتصدى لاثبات ما يقول بطريق المنقول والمعقول، فلم يسعف كلامه القبول، على ما الفته منهم العقول، لان الحيوانات، بل سائر الجمادات، اذا اتصلت به النار، محت منها الآثار، وهذا طير من الاطيار، من لحم ودم فكيف لا تحرقه النار ذات الشرار، فاتفق الجمهور على تكذيب هذه الاخبار، وقالوا المثل المشهور، وانما هو موضوع على لسان الطيور، فيمن يتردد بين الامور، فيقال هذا الفقير كالنعامة لا يحمل ولا يطير، ومثل هذا المضرب، يا شيخ المشرق والمغرب، قولهم طارت به عنقا مغرب فقال النديم، الفاضل الحكيم، انا رأيت هذا بالعين، فلم يزدهم الا تأكيد المين، وقالوا

لقد

لقد لزمت الغلط، فوقع من أعينهم بهذا الكلام أن
قالوا هذا كذاب وسقط، فحصل لذلك النديم من
الخجالة والندم أمر عظيم، واستمر في حصن حتى منعه
السلطان من الدخول إلى القصر، وصار بين الأصحاب
يشار إليه بالكذاب، فلم يسع ذلك الأستاد إلا السفر
من تلك البلاد، والتوجه إلى العراق وبغداد، وأخذ من
طير النعام عدة، واستعمل عليها رجالا مستعدة
ونقلها إلى الصين، في عدة سنين، تارة في البحر وأخرى
في البر، وقاسا أنواع من البؤس والضر، وتكلف جملة
جملة من الأموال، وتحمل مع المشاق مئن الرجال، فانتهى
به السير، إلا وقد مات غالب الطير، فوصل إلى حضرة
ملك الخطا، واشتهر في المملكة أن النديم القلاوني
أتى، فاجتمع الناس لينظروا، وأمر الملك الخاص والعام
ليحضروا، وأحضروا النعام، في ذلك المحفل العام
وطرح لها الحديدة المحمية فخطفته، والجمر والحصا
فالتقمته، فتعجب الناس لذلك، وسبحوا الله مالك
الممالك، وعلم الصغار والكبار، أنه يخلق ما يشا
ويختار، وشمله الملك بمزيد الإنعام، واعتذر إليه
عما مضى من ملام، وزادت رفعته، ونفدت كلمته
إذ قد أثبت مدعاه، وحقق بشاهد الحسن معنى ما ادعاه
ففي بعض الأوقات، تذكروا ما فات، وأنجز بهم

الكلام، الى ما مر من حديث النعام، فقال النديم ايها
الملك الكريم اني تكلفت على هذه الاطيار، كذا وكذا الف
دينار، وقاسيت من المشقة في الاسفار، وعاينت من
من شدايد الاخطار، ما لا يقاسيه عبدان النار، واستمررت
في هذا العذاب المهين، في سجن المشاق بضع سنين، حتى
بلغت تحقيق مرامي، وتصديق كلامي، ولولا عناية
مولانا السلطان، لما ساعدني على مقصودي الزمان،
ولما زال عني اسم الكذاب، الى يوم الحساب، فتبسم
السلطان وقال لقد اتيت بمحاسن وما قصرت ولكن
كلمة تحتاج الى اثبات تصديقها، وللخروج عن
عهدة تحقيقها، الى صرف المال الجزيل، وتجشم مشقة
العريض الطويل، وتحمل منن الرجال، وركوب الاخطار
والاهوال، وازعاج الروح والبدن، واضاعة جانب
كبير عمر الزمن، لاي معنى يتفوه بها العاقل، ولماذا
ينطق بها مستمع او ناقل وانما اوردت هذا
المقول، ليعلم ارباب العقول، من جلسا الملوك
العظما، ورؤسا الامرا والزعما، خصوصا خواص
القدما، وعوام الندما، ان شيئا يحتاج فيه الى تعب
النفس، وقيد ونكال وحبس، ثم استعمال من جماعة،
واصحاب يتقدمون الى الشفاعة، لا ينبغي للعاقل ان
يحوم حوله، ولا يعقد عليه فعله وقوله فتقدم

265

مُبَارك الميلاد، وبذل في وظايف الدّعا والاجتهاد،
وَقال انّما كان عاقبة هذا الامْر، واطفاء نارية هذا
الجمْر، وادايه الى انتظام عقود السّعْد، واشتماله
على جميع الخواطر من بعْد، بها من الخواطر الشّريفه،
وَشرف ملاحظتها المنيفه، وتوجّه مُساعدتها لخدمها
وشمول عواطفها على عبيدها وحشمها، واقبال
طالعها السّعيد، ولولا ذاك ما انتظم شمل ايها
العبيد، فالمنّة في هذا كلّه للصّدقات الشّريفه،
والعواطف الرّحيمة المنيفه، ونظير هذا الشّان،
ماجري للخارج على الملك انوشروان فسال الملك
المطاع، عن هذا المصاع، فقال ذكر في التّواريخ، يا
عالي الشّماريخ، انّ كسْري انوشروان، جاهرهُ احد
الملوك بالعصيان، وانتدب لمحاربته طايفة من
الاعوان، فتوجّه كسْري اليه، ووثب وُثوب الاسد
الضّاري اليه، ورأى التّواني في امْره والتّاخير،
من جملة الاخلال والتّقْصير، وقابله قاتلا وقاتله
قايلا شعر

اذا استحقرت ذي من تعادي، بمالك من يد وندا وطاقه
فما استحقرت اذ اهملت الا، امورك وهو ذا عين الحماقه

فلما توافقا، واصطدما وتثاقفا، انكسر ذو الطّغيان،
ونصر الله انوشروان، وقبض على العدو، وحصل

الأمان والهدو، وقضى طايره، وتفرقت عساكره،
وحمل وقد سيم خشفا وكسرا، إلى الملك العادل كسرى
فتقدم بالإحسان إليه، وجعل العفو شكر القدرة عليه،
وبالغ معه في اللطف والإحسان، وأنزله عنده في
بستان، ترتع النزاهة في ميادين رياضه، وتكرع
الفكاهة من رياحين حياضه، وأفاض عليه من خلع
الإنعام، وأدرّت الإفضال والإكرام، ما أزال
وحشته، وأذهب دهشته، وأبدا استيحاشه، وأبعد
استغباره، فلما حصل أنسه، وهدأت نفسه، أخذ
في تبخيره، وأبلغه إلى مأمنه وتجهيزه، فأبى إلا الإقامة
بدار الكرامة، وسأل الصدقات، وما لها من عميم
الشفقات، بمجاورة محلها، والإقامة تحت ظلها،
واغتنم مشاهدتها، والتشرف بيامن مطالعتها،
مدة أيام، فإنها محسوبة من العمر العزيز بأعوام، فأجاب
مسؤوله، وأستنجزت مأموله، وكان في ذلك
البستان نخلة كنخلة مريم، قد يبست من الهرم، ولما
تهاورتها يد القدم، فلا تصلح إلا للضرم، فأرسل
يسأل الصدقات الجزلة، أن يهبه تلك النخلة، فاشترك
كسرى عقله، وأجاب قصده وسؤله، ووهبه تلك
النخلة، فكان كل يوم يتوجه إليها، ويجلس تحتها
ويعتمد عليها، وهو في أرغد حال، وأيمن بال،

فبعث

٥

فبعد عدة شهور، كاتب الى التوجه الدستور، فاستدعا
واكرم مثواه، واجاب قصده ومتمناه، واسبغ عليه
نعمه وفضله، وساله عن موجب سواله النخله،
وسبب طلبه الاقامه، ثم سواله التوجه بالسلامه
فقال اما سبب الاقامة بهذا البلد، فلجوار
الملك الامجد، والاستحسان بمشاهدة وجهه الاسعد،
فان طالعه قوي سعيد، ومجاورته للسعادة تفيد،
ويحصل منها لمجاورته المزيد، فاردت ان يكون لي منها
نصيب، ويلاوحظي منها سهم مصيب، وانشد
يقول شعر
فان تلمم بقفر عاد روضاً، وان تمرر بملح كان شهدا
وان يخطر ببالك نحس نجم، يعد في الحال من روياه سعدا
فصرت مشمولاً بميا من ظلها، مغموراً بفايض وابلها
وطلها وامّا طلبي النخلة اليابسه، فاني تفالت
لها من حظي مساعدة ومناحسه، فكنت اتردد اليها،
واعول في ذلك عليها، فما دامت في محول، كان جدي
وسعدي في نحول، الى ان رايتها اخضرت،
واطلعت واستكرت، فاقبل سعدي وحيا، وعاد ان بعد
مات حيا، وتساقط على نخله سعدي من ثمرات
السعادة رطباً جنيا، فعلمت ان طالعي الهابط عاد
الى الاوج، ورسولي حظي دخل في دينه ناس الايناس

فوجاً بعد فوج، وآمال جدّي أن ازدوج ببكر الآمال
فكان لها أحسن زوج، كل ذلك، أي أحسن حالك،
بسعد فالك، وجوار دار جلالك، ومشاهدة أنوار
جمالك، واستماع كلامك، وانتجاع كمالك، فمن بعد
إسعاد السعد، كل سهم آمال فوّقته ونحو شاكلة
قصد، إذا أطلقته أصبت الغرض، وحزت جوهرة
بلا عوض، فإذا أسعف السعد النفس، لا يسعفها
منه نحس وإنما أوردت هذا القول، يا ذا الكرامة
والطول، ليعلم الحضار، والسادة النظار، أن
استقامتنا وسعدنا، وانتظام أمورنا وجدّنا
إنما هو بالتفات الخاطر الشريف، وشمول أحوالنا
بملاحظتها المنيفة، واستدامة بركاتها، وميامن
حركاتها، كما قيل، في ذي القبيل شعر
تلقى الأمان على حياض محمد، ثولاء مخرفة وذيب أطلس
لا ذي تخاف ولا لها جرأة، تهدي الرعية ما استقام الرئيس
وكما أن الرعية لا يستقيم حالها إلا بالملك الراعي،
فإنها كالرعية لا تنتظم لها أمر إلا بالراعي شعر
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم، ولا سراة إذا جهالهم سادوا
كذلك الملك ذو الدرجات العلية، لا يصير ملكاً إلا
بالرعية، ولو لم يكن العاشق مشوقاً، لم يكن المعشوق
معشوقاً، ولو لم يوجد الرامق بالآمال مسوقاً، لم يصير

الملك

الملك المامول مرقوقا، وغني هذا المغني، في رياض المعاني
اعني، وانشد يقول **شعر**

واخصوصبت فيك يهذ سناه، كاعظمهم اذ من هواك يعظما
فلا تحتقر ان تملكت امرهم، فلولا الهوى ماكنت ملكا مفخما
ففي موكب العشاق منك وظيفة، لكل فلا يبغي لها متقدما
وكل له وجد يليق بحاله، وكل له حال بعشقك مغرما
الم تر ان الله اوجد حكمة، ذبابا وعقبانا وبقا وضيغما
وكل له نفع وضر مخصص، فسبحان من قد خص طودا وعمما

والله تعالى لكمال قدرته، ولاسبال ذيل رحمته، خلق
الكبير الاعلى، محتاجا الى خدمة الصغير الادنى، وجعل
الحقير الادنى، محتاجا الى رحمة الكبير الاعلى، ولهذا اعظم
الخالق من خلق الخالق، واحوج الخلق الى الخلق، وهو غني عن
الخلق، وقيل ايها الملك السني، الانسان بطبعه مدني،
وبمقدار كثرة الرعيه، واشتراكهم في الصفات الرضيه،
وانقيادهم لاوامر ملكهم السميه، تصير درجة الملك
عليه، كما كان، في زمن نبي الله سليمان، صلوات الله
وسلامه، عليه وتحيته واكرامه، ولقد جرى في عصر
بين الطيور، مفاوضة بين اللقلق والعصفور فسال
ملك الاساد، عن تلك المفاوضه مبارك الميلاد، فقال
بلغني يا سلطان الاسود، ان نبي الله سليمان بن داود، عليهما
السلام، كان في سرايته، مع خواص اركان دولته،

فمرّ بذلك الطلب، على شجرة الدلب، لقلق بها عش، قد بناه باحسن خش، وقد اشتوكى في عشه عصفور، واختمى بجوار من موذيات ابي مذعور، فكانا يتخاصمان ويتقاولان، ويتواصمان ويتصاولان، فوقف النبي الكريم، واستوقف الجند العظيم، ليسمع ما يقولان، وينظر كيف يتجولان، فسمع اللقلق يقول، وهو يجول ويصول، ويخاطب العصفور، بجمع من الطيور، اشكو لحسن الصنيع، حيث ان لك في حصني المنيع، لا حية ترقى اليك، ولا جارح ينقض عليك، ولولا ان لك عندي مناخا، ما ابقت الحية لك ذاتا ولا افراخا، وانما سلمتم بجواري، وبقيتم بكم داري، فوثب ابو محرز، وتوسط الجمع وهو يجمز، ونادى بين الاطيار، انسيت يا خديج اي جار، وانا في المدار، حول هذه الديار، اناء الليل واطراف النهار، القط النمل الكبار والصغار، ولولا انا حارس مناخك، ما ابقى لك النمل اثرا ولا افراخك، فكل منا محتاج الى جاره، متغبط بجواره، آمن به في مسرته ومطاره، فارتفع بيننا هذا التنكد، ولا يمن منا احد على احد، فالحقوق ما تضيع بين الجيران، كما ترعى بين الاصحاب والاخوان، وكما تدين تدان، ومع هذا كلنا نصلي على نبي الله سليمان، ملك الانس والجان، وسلطان الطيور والحيوان، فان يحسن عدله اعتدل الزمان، ويبين فضله

صالح

صلح الكاين والمكان، فنحن ايضا كذلك، نشكر الله رب
الممالك، اذ من الله علينا بهذا السلطان المالك، ملك
الوحوش الاكابر، وكاسر السباع الكواسر، المشفق على
الضعفا والاصاغر، فلم يخلو من فضله سبع ولا طاير،
ثم نهضوا ووقفوا، ودعوا للملك وانصرفوا
فقد آن للقلم ان يخلع ما اسود من بروده، ويرفع
راسه من ركوعه وسجوده والعبد يسال من كل واقف
على هذا الكتاب من السادة الافاضل، وناظر اليه من
العلما الكمل الاماثل، ان يبسط العذر في فهاهة
الفاظه الباقليه، ويغض الطرف عن ركاكة عباراته
الظاهرة، ويستحضر قول القايل شعر

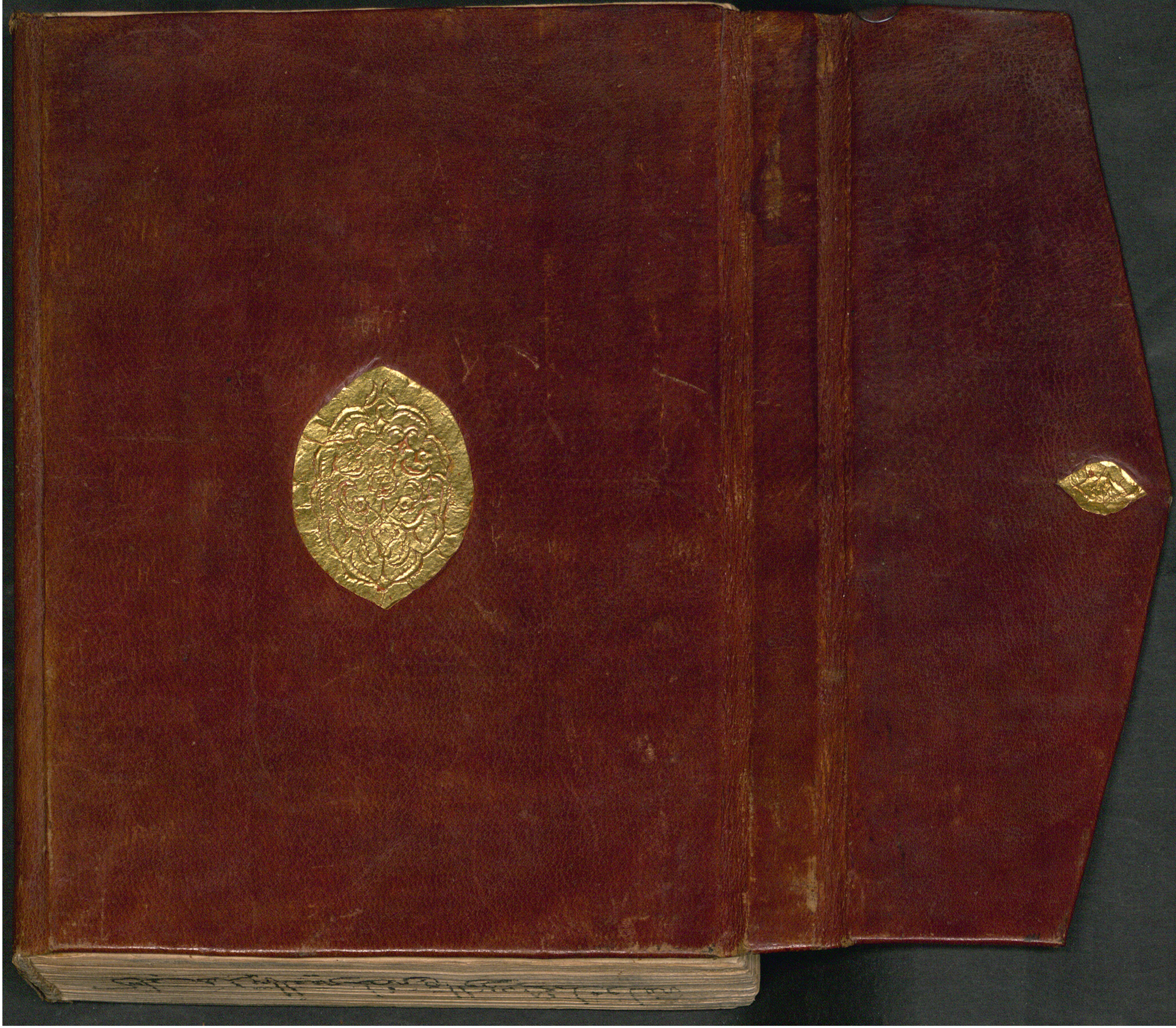
لئن ابصرت في نظمي فتورا، ووهنا او قصورا في المعاني
فلا تنسب لنقصي ان رقصي، على مقدار تنشيط الزمان

وبعد فالعذر عند خيار الناس مقبول، ومنهم
العفو مامول ومسول، ونسال الله العناية والتوفيق،
والوصول بالهداية الى اقوم طريق، وان يكون لنا في الاهل
خليفة وفي السفر نعم الرفيق، وان يجعلنا من خير
حزب وفريق، والحمد لله على الدوام، ونساله كما يسر لنا
حسن الابتدا ان يرزقنا حسن الختام، وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وحسبنا الله ونعم
الوكيل، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وقد كان الفراغ من تاليف هذا الكتاب
علي يد مؤلفه في يوم الاحد المبارك
خلاة تسعة ايام من شهر جمادي
الآخر سنة ثلاث وثلاثين
ومايه والف، من هجرة من
له العز والمجد والشرف
وصلي الله علي سيدنا
محمد وعلي آله وصحبه
وسلم تسليما
كثيرا والحمد لله
رب
العالمين
آمين

شعر

بخير ارتجي صحبي دعاء ، اذا انتم قراتم من سوادي
لعل الله يغفر لي بفضل ، ويوصلني الي اقصي مرادي



ن الفراغ من تاليف هذا الكتاب
سولفه في يوم الاحد المبارك
تسعة ايام من شهر جمادي
الآخر سنة ثلاث وثلاثين
ومايه والف ، من هجرة من
له العز والمجد والشرف ،
وصلي الله علي سيدنا
محمد وعلي آله وصحبه
وسلم تسليما
كثيرا والحمد لله
رب
العالمين
آمين

شعر

دعاء ، اذا انتم قرأتم من سوادي
ضال ، ويوصلني الى اقصى مرادي